دعوة الحق

المشروع والمنكر

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية ويشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية

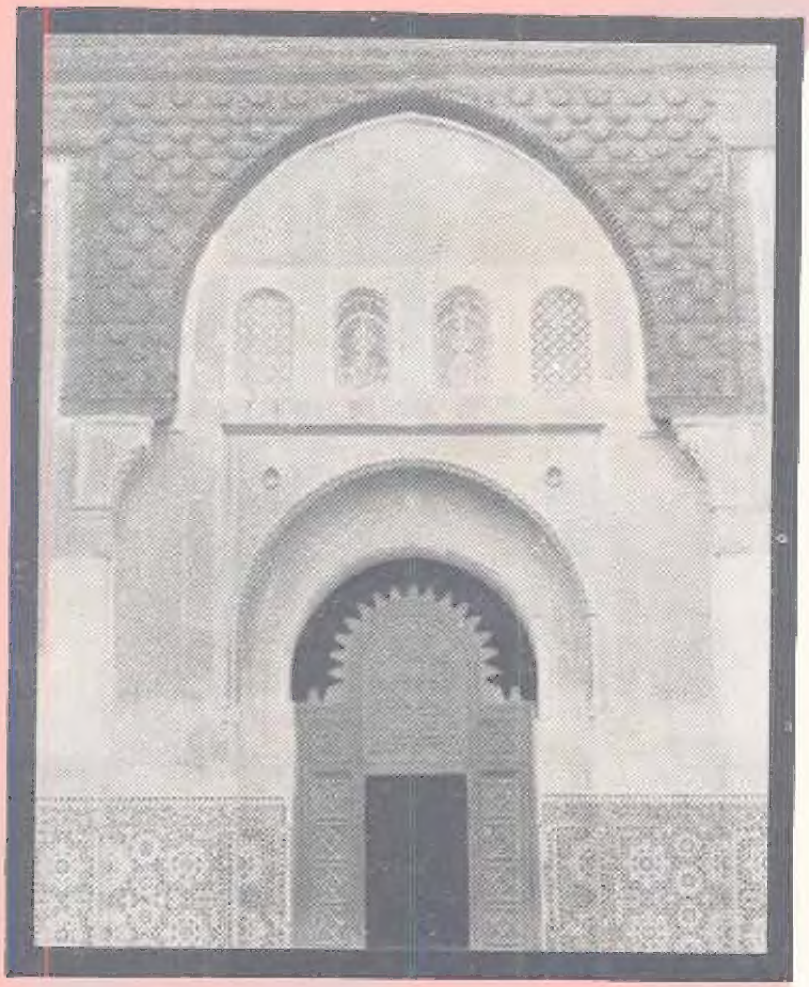

على هامش الاجتماع الأخير لوزراء خارجية الدول الإسلامية :

لماذا السارية المفعول

الإسلام والالتزام الخلقي عند الفرد والجماعة

مدخل إلى الظاهرة القرآنية

معركة بجنبة

العدد الخامس • السنة 18 • جمادى الثانية 1397 - يونيو 1977 • ثمن العدد 3 دراهم

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية
الرباط

دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الخامس
السنة الثامنة عشرة
● جمادى الثانية 1397
يونيو 1977.
ثمن العدد : 3 دراهم

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « **دعوة الحق** » ـ مديرية الشؤون الاسلامية
ص ب : 375 ـ الرباط ـ المغرب
الهاتف : 235،85 ـ 338،30

الاشتراك العادي عن سنة 30 درهما ، والشرفي 100 درهم فأكثر .

السنة عشرة اعداد - لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :

مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 · 485 الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485-55 à Rabat

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان اعلاه :

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

فهرس العدد الخامس - السنة الثامنة عشرة

صفحة		
1	الافتتاحية : الشورى والفكر	دعوة الحق
5	خطاب صاحب الجلالة بمناسبة تدشين الحملة الانتخابية	
10	كلمة السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية في المؤتمر السادس لرابطة العلماء	
13	الاسلام والالتزام الخلقي عند الفرد والجماعة	محمد العربي الخطابي
19	القاضي ابو بكر بن العربي ـ 9 ـ	سعيد اعرب
29	« لماذا » سارية المفعول	احمد زياد
35	ابواب الموحدين برباط الفتح	د. عثمان عثمان اسماعيل
43	المدخل الى الظاهرة القرآنية	محمود شاكر
51	تعقيب على الرد على مقال « احمد بابا التمبكتي »	د. شوقي عطا الله
54	الاسلام والنصر	محمود شيت خطاب
59	نحو جعل البحر الابيض بحيرة سلام	المهدي البرجالي
64	من اساليب الحرب الفكرية والنفسية	عبد القادر البوشيخي
66	الشاعر الوزير محمد بن موسى : دراسة في شعره	محمد المنتصر الريسوني
71	الروح والايمان	محمد حمادي العزيز
79	القرآن امام التاريخ	عبد الله الجراري
88	معلمة الاسلام	انور الجندي
94	معركة طنجة	محمد بن محمد العلمي
98	رد الذهبي على ابن القطان الفاسي (2)	فاروق حمادة
115	لمحات تاريخية عن شفشاون	عبد القادر العافية
124	يسألونك في القرآن الكريم	اسماعيل الخطيب
128	منهجية تدريس اللغة العربية (3)	محمد حمزة
135	الاسلام في مواجهة التحديات	توفيق علي وهبة
139	نغم من الخلد	د. عبد المنعم خفاجي
	قصة قصيرة :	
145	طريقة بليسنجتون	احمد عبد السلام البقالي
	ديوان المجلة :	
156	على هدي القلب	عمر بهاء الدين الاميري
157	مراكش	عبد الواحد اخريف
158	مشاعر الالهام	د. زاهر الالمعي
160	شهريات العالم الاسلامي	دعوة الحق
166	شهريات الفكر والثقافة	دعوة الحق

الافتتاحية :

بسم الله الرحمن الرحيم

الشورى والفكر

● دخل المغرب مرحلة جديدة من تاريخه المعاصر بالاحداث الحاسمة التي ابتدات بالمسيرة الخضراء وانتهت اليوم باستكمال عناصر الديمقراطية بعد انتخاب البرلمان الجديد . وينتهيا الشعب لخوض المعركة المقبلة في ظروف مواتية ومناخ صحي لمواصلة البناء الاقتصادي على هدى الاختيارات الاساسية المستمدة من تعاليم القرآن استئنافا لدورنا التاريخي واستمرارا في الطريق الذي اخترناه عن اقتناع ويقين وتطلعا الى اقامة المجتمع الاسلامي بالعلم والايمان .

لقد استغرقتنا معارك التحرير والوحدة وشغلتنا بالصراعات الشاقة التي خضناها مع جبهات الارهاب الدولي المستتر وراء الواجهات الايديولوجية الخادعة . وصرفتنا شواغل ومشاكل السيادة عن مسؤولية البناء التقليدي للكيان الديمقراطي ، وان لم يؤثر ذلك على ايماننا بمعطيات الدستور او ينال من حماستنا وعزمنا وارادتنا .

وعلى الرغم من ضراوة المعركة وشراسة التحديات التي واجهناها من الاشقاء والاصدقاء على السواء فلم نعمد قط الى الاجراءات الاستثنائية وفرض الديكتاتورية والارهاب بحجة او باخرى ، ولم نقف تيار الحرية المتدفق بدعوى من هذه الدعاوي التي يتعلل بها انصار الاستبداد لقهر الشعوب ، مع ما كان يخوله لنا القانون من اسكات كل صوت يعلو فوق صوت المعركة ، وهو منطق وجيه ومتفق عليه ولا يثير اية شبهة . وظلت الحرية الطابع المميز للحياة السياسية والاجواء الفكرية ، واستمرت الاحزاب والنقابات قائمة تمارس نشاطاتها في وضح النهار ، واستمرت الصحافة تكتب وتنتقد ، والكتب تنشر ، والندوات والمحاضرات تقام ، والتجمعات واللقاءات تنظم في جو منفتح اثار اعجاب الصحافة العالمية ان

لم نقل آثار خوفها . ولذلك لا يصح القول ان الديمقراطية انتكست أو توقفت وتستأنف اليوم مسيرتها . ذلك ان المغرب لم يحد قط عن طريق الشورى والديمقراطية الاسلامية طيلة عهود التاريخ . وحتى قبل اقرار الدستور الجديد للمملكة كانت البلاد تسير وفق سياسة رشيدة تقوم على التعاون والتشاور وتبعد اشد البعد عن الاكراه والارهاب والقهر والاستبداد والحجر على الافكار . واستمر التطور الاجتماعي في تصاعد مطرد ، ولم يعرف المغرب في عهد من عهوده حالة واحدة من حالات « فقر الدم السياسي » التي يختفي فيها القانون بصفة رسمية ويرتع فيها الظلم وتمتهن كرامة الانسان وتنتهك الحرمات التي اوصى الله ان تصان على النحو الذي عانت منه شعوب كثيرة في المشرق والمغرب .

وليس صحيحا ان المرحلة الديمقراطية الراهنة هي تجربة جديدة ، لاننا في هذه الحالة نقرن المغرب بالدول حديثة العهد بالحكم وتسيير شؤونها بنفسها ، كما هو الشان مثلا ببعض الدول الافريقية ، ولكن الصحيح اننا اعطينا نفسا جديدا لواقع قائم ولم يرتفع قط ، وجددنا الحيوية والحماس والعزم على المضي في الطريق ذاته . بمعنى ان ما يتم اليوم في المغرب تقنين للديمقراطية وليس اقرارا لها من لا شيء . وهذا هو منطلق الاختلاف بين تاريخنا وبين تاريخ كثير من البلاد النامية بالمفهوم الاقتصادي للمصطلح ، لا بالمفهوم الايديولوجي والحضاري والفكري .

ومنذ ان قامت الدولة المغربية وشعبنا يتشبث بالشورى تشبثه باسباب الكرامة وعوامل العزة ، ويتعلق بالاستقلال تعلقه بالقيم والمقدسات، وينزع الى الحرية نزوعه الى الحياة ، فما قهر ولا أهين ، وما استكان ولا استسلم ، وكلما حاصرته الاطماع ازداد التفافا بالعرش ، وارتباطا بالمقومات والمقدسات . واكسبه ذلك صلابة ومناعة وحصانة ضد المؤثرات الخارجية .

وحينما وقعت الواقعة وفرضت عليه الحماية الاجنبية فرضا لم يرضخ للمستعمر ، ولم يلق من يده السلاح الا بعد مرور اثنتين وعشرين سنة لا ليتنازل ويذعن لارادة المغتصب وانما ليبدأ معركة جديدة انطلقت اساسا من رحاب بيوت الله وعمت انحاء البلاد من اقصى الصحراء الى البحر الابيض المتوسط . ثم عاد مرة اخرى الى السلاح ليبدأ مرحلة متميزة من المقاومة المسلحة استمرت في اقليم الصحراء وسيدي ايفني الى ما بعد اعلان الاستقلال . وينشغل بمعارك وطنية على مستوى التنمية والبناء والتشييد ويتفرغ فيها بقواه وطاقاته دون ان يغفل لحظة واحدة عن وراءه مهاما شاقة عليه ان يتحمل تبعاتها ليستكمل الوحدة الترابية للمملكة . حتى اذا ما حانت ساعة العمل التحريري هبت عناصر منه الى السلاح لتواجه الاستعمار في الصحراء . وتطورت الاحداث تباعا لتنتهي بالمسيرة الخضراء ودخول عامل صاحب الجلالة الى الصحراء وسقوط آخر معقل صليبي وماركسي بجنوب المملكة . وتتوالى الجهود بعد ذلك على جبهات سياسية وديبلوماسية الى ان حان الوقت الملائم لدخول المعركة الديمقراطية وظهورنا معززة بالنصر العسكري والمكانة الديبلوماسية المرموقة بين دول العالم .

● فلم يعرف المغرب الفراغ . ولم تفقد الدولة زمام الامر في لحظة من اللحظات او تحت ظروف قاهرة حتى يقال اليوم اننا نبدا المرحلة الديمقراطية من الصفر ، فهذا القول يتعارض ـ على طول الخط ـ مع حقائق التاريخ ومنطق الاحداث وشهادات الواقع .

● فكيف ـ اذن ـ حافظ المغرب على كيانه المعنوي في ظل الضغوط الاجنبية ومؤامرات الخصوم واطماع الاشقاء والاصدقاء ؟

● ما السر في هذا الصمود الحضاري الذي يقل نظيره ـ ان لم نقل ينعدم بالمرة ـ في العالم المعاصر ؟

ان الامر لا يخرج عن قدرة الانسان المغربي وطاقاته الذي كلما داهمه شر فزع الى اسلامه وعرشه ولاذ بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها واخذ باقوى الاسباب الى العزة والكرامة والثبات فلم يذب في كيان اجنبي ، ولم يفقد هويته الحضارية حتى في اشد المراحل ظلاما وقتامة وياسا .

وليس في الامر ـ قبل هذا وذاك ـ اي نوع من التجريد المثالي كما يسارع البعض الى اتهامنا كلما واجهناهم بهذه الحقائق . ولكن القضية قضية وعي راسخ وايمان قوي ادانهما العقل والوجدان ، الوعي المؤمن الحاضر اليقظ المتحفز المتفاعل مع الواقع ، والايمان الواعي الحركي المتبصر الصادق الحي .

ولقد تمخض عن هذا التفاعل الايجابي المؤثر رسوخ مبدا الشورى واستقامة الخط الفكري وانفراد البلاد بمميزات وخصائص في الحياة السياسية والاجتماعية تعتبر في الواقع القاعدة الراسخة للصرح الحضاري الشامخ الذي نستظل به تحت قيادة امير المؤمنين الحسن الثاني .

● شورى قرآنية وديمقراطية اسلامية .

● وفكر اصيل يغذيها ويزكيها ويضبط مسارها ويكيح جماحها ان اقتضى الحال .

واذا كان العدل اساس الملك فان الشورى قاعدة العدل . وهما معا روح الاسلام وخلاصة مبادئه وتعاليمه . وهكذا يكون الاسلام المنطلق الاول لجميع المعارك التي يخوضها المغرب .

لقد قال جلالة الملك في خطاب افتتاح الحملة الانتخابية الاخيرة : « ان الشورى العمود الفقري للمجتمع الاسلامي » . وبذلك اتضح الخط الفاصل بين الاسلام والايديولوجيات اليهودية المتآمرة ضد الانسانية .

واذا كان المجتمع الاسلامي يقوم اساسا على العقيدة والفكر والسلوك والتطبيق الرشيد والمتفتح للاصول الرئيسية المجمع عليها ، فان للشورى

التي جرى مؤخرا تاطيرها في اطار البرلمان خلفية فكرية ، بمعنى ان الفكر الاسلامي بمثابة بوصلة السير في طريق الشورى .

وهذا يكفي لتبيان الملامح المميزة للديمقراطية المغربية ، فهي ليست شرقية ولا غربية ، لانه سواء في المعسكر الرأسمالي أو الشيوعي فشلت الديمقراطية واوشكت ان تكون مجرد نظرية في الحكم تفتقد القابلية للتطبيق لفساد الايديولوجية السائدة والعقيدة السياسية المستبدة بالانسان .

والامر في المغرب على خلاف ذلك تماما . باعتبار ان ديمقراطيتنا مستمدة من القرآن ومستوحاة من السنة ومستلهمة من تجارب اربعة عشر قرنا من الحضارة والسيادة الفكرية .

● وهكذا فان المغرب المسلم ليس في حاجة الى استيراد نظرية للحكم قابلة للخطا والصواب . لان الحكم ليس عملية كيماوية كما لا تحتاج ان نقول ، ولكنه وعي وايمان واحساس بالمسؤولية وتفاعل مع الفكر والحياة .

الشورى - اذن - اصيلة في شعبنا ، وضاربة في عمق مجتمعنا ، لم نتخل عنها اطلاقا،ولم نستبدلها بالذي هو ادنى . والديمقراطية باعتبارها مصطلحا معاصرا لمفاهيم ومضامين الشورى الاسلامية ليست تجربة جديدة بالنسبة لنا .

(دعوة الحق)

جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله في خطاب افتتاح الحملة الانتخابية

• الديمقراطية هي العمود الفقري للمجتمع الإسلامي كما أراده النبي صلى الله عليه وسلم

• نحن دولة إسلامية، ولذلك لا بد أن نغير المنكر في قارتنا.

● اكد جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله في الخطاب السامي الذي وجهه الى الامة بمناسبة بدء الحملة الانتخابية على الطابع الاسلامي الصرف للديمقراطية المغربية ، وقال حفظه الله في وضوح كامل ان الشورى هي العمود الفقري للمجتمع الاسلامي كما اراده النبي صلى الله عليه وسلم .

وتحدث جلالة العاهل الكريم عن التضامن بين جميع فئات الشعب في هذه المرحلة المتميزة من تاريخ المغرب وقال ان من خرج عن الجماعة خرج عن الجادة . وقال جلالة الملك ان هذه الانتخابات تجيب الى رغبة من رغباتنا والى مطمح من مطامحنا ، ولم يطلب منا ذلك قهرا ولم نعطه تحت ضغط ، وان ملوك الدولة العلوية الشريفة عرفوا دائما بالاستجابة الرشيدة لتطلعات الشعب المغربي .

وتطرق جلالة الملك الى الوضع في زائير فقال اننا دولة اسلامية ولا بد ان نغير المنكر في قارتنا . وهي اشارة ذكية من جلالة الملك الى ضرورة محاربة كل تيار دخيل على الشعوب الافريقية ومهدد لعقائدها ومقدساتها .

وفيما يلي النص الكامل للخطاب الملكي السامي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وءاله وصحبه

شعبي العزيز

اعتدنا ان نخاطبك جريا على عادة القناها وسنة سننّاها كلما اعتبرنا أن الداعي يدفع الى مخاطبتك بشيء له صلة بمستقبلك او يمس بمصيرك ومآلك .

ومما لا شك فيه أن الفترة الزمنية التي ستجتازها شعبي العزيز في هذه الايام المقبلة من الفترات الحاسمة في حياتك كشعب وفي حياتك كعنصر من عناصر العالم والمجتمع العالمي سواء في قارتك او في جهتك .

اننا حينما نقول ان الفترة التي ستجتازها فترة مهمة وحاسمة نعتبر انها ستكون لك بمثابة امتحانين: الامتحان الاول في حسن فراستك عندما ستختار فلانا دون فلان لا لان لك قرابة او صلة او صداقة بفلان ،

ولكن لان نظرياته وتفكيراته وتخطيطاته وتصميماته تطابق وتساير مصلحة البلاد حسبما تعتقد وكيفما ترى .

اما انا شخصيا فمطمئن جدا على حسن اختياراتك ذلك انني كلما دعوتك لركوب طريق او للقيام بعملية او لبناء صرح جديد من بناءات امجادك لم تسارع فقط للتشييد والبناء ، ولكن تسارع وانت فاهم كل الفهم واع كل الوعي مقاصدنا ومراميا الشيء الذي يدل ان دل على شيء على ان المغرب ولله الحمد شعب واع شعب يعرف اختياراته ، وحينما يقرر اختياراته يعرف كيف يختار السبل للوصول اليها .

ان الانتخابات المقبلة ، شعبي العزيز التي اردنا ان تنتهي يوم ثالث يونيو المقبل باقتراع ، اقول ان هذه الانتخابات تجيب تماما الى رغبة من رغباتنا والى مطمح من مطامحنا ، ذلك انه لم يطلب منا ذلك قهرا ولم نعطه تحت ضغط بل كان دائما الشان في اسرتنا ولله الحمد ، كلما شعرنا بحاجة من الحاجات او تطلع من التطلعات كان دائما ولله الحمد القائم بأمورك الصاهر على شؤونك وراحتك هو الذي يبادر فيجعلك تسير سيرتك دون ان تعتقد ان ما هو بين يديك جاء بالارغم او بالضغط ، ولكن تحس احساسا عميقا ان ما اتاك وما جاءك انما هو نتيجة لتجاوب عميق اصيل تاريخي بين ملوكك وبينك انت شعبي العزيز .

انني قلت مرارا بعد مرار ان الديموقراطية ليست شيئا جديدا بالنسبة لنا ، بل هي العمود الفقري للمجتمع الاسلامي كما اراده النبي صلى الله عليه وسلم . ذلك ان الشورى والعمل بالجماعة هما شيئان لهما معنى خاص ولهما مدلول في القانون والدستور . فالشورى ليست شورى استشارية والعمل بعمل الجماعة ليس عملا اختياريا بل الشورى تلزم والجماعة تلزم . ومن خرج عن الجماعة خرج من الجادة .

وما معنى الجماعة ؟ ، معنى الجماعة هو ان يخضع الاقل لراي الاكثر ، وهي الروح الرياضية ، وهي روح العدل وروح القسطاس ، فهي تربية وهو تكوين قلما تتوفر عليه شعوب او يستعمله الاستعمال عدد من الناس او من الدول .

فعلينا اذن ونحن نبتدىء هذه الخطوة ان نكون خاضعين ، خاضعين شكلا وعمقا لراي الجماعة ، خاضعين ، جميعا لارادة الامة ، لان امتي ما اجتمعت على ضلال .

وهكذا شعبي العزيز ان نحن تعلمنا ان نخضع لراي الجماعة ونسير على هديها ونركب سلوكها وطريقها جعلنا مستقبلنا ومستقبل ابنائنا في مامن من الشغب ، وفي مامن من المغامرات ولا سيما والقرن الذي نعيش فيه كثرت فيه المغامرات وكثر فيه الشغب .

انك مدعو ، شعبي العزيز ، الى اختيار عدد من مواطنيك ليكونوا هم بجانبي وليكونوا السلطة التشريعية مقابل السلطة التنفيذية . فاذا كان هناك فصل السلط فانت واع وانا معك انه لا يمكن ان يكون في مستواي ، بل فصل السلط هو في مستوى ما هو ادنى . فالملك يحكم بلاده ويسير سياستها مستعينا بسلطتين : السلطة التنفيذية وهي الحكومة، والسلطة التشريعية وهي البرلمان . ولهذا وذاك حق مزاولة التشريع . الا ان الحكومة عليها ان تنفذ والبرلمان عليه ان يراقب ذلك التنفيذ . ويرى هل زاغت الحكومة في سيرها عن الطريق الذي سطر لها ام بقيت في وسط الطريق مستهدفة الاهداف التي خططها الجميع ورغب فيها الجميع واراد ان يجسدها ويجسمها الجميع .

انك شعبي العزيز ، ستسمع كثيرا من الاقوال في هذه الايام المقبلة . نعم لانها اقول منافسة ، لانها مراهنة ، سباق . ستستمع الكثير في كثير من الميادين والمجالات : في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والمالية والتربوية والتعليمية ، وفي ميدان السياسة الخارجية وفي عدة ميادين اخرى .

وسوف تكون تلك الكمية التي ستسمعها في هذه المدة متفاوتة لا في الاتقان على حسب من يروجها ، ولا في العمق على حسب من يريد ان يطالب بمطلب ، او بمن يريد ان يطالب بمطلب اكثر من الاول

فعليك اذن شعبي العزيز أن تكون متتبعا لهذا كله بالوعي والراي الثاقب والفكر النقاد حتى يمكنك ان تميز لا اقول الخبيث من الطيب ، لا اريد ولا اظن أن هناك خبيثا في بلدي ، ولكن تتميز الصائب من المخطىء أو لتميز الواقعي من الذي يحلم .

شعبي العزيز

انك حينما تسمع هذا كله سوف تسمعه من هيئات سياسية او من اشخاص لا ينتمون الى اية هيئة سياسية فاعلم شعبي العزيز ان هؤلاء الذين سيتقدمون لتصوت عليهم كلهم يحظون برضانا لانهم كلهم مغاربة ، ولانهم كلهم ابنائي ، ولانهم كلهم لا ينتظرون الا النفير للدفاع عن بلادهم ، كلهم مستعدون للتضحية بالغالي والنفيس في سبيل شرف وطنهم ، فلا يمكن ان اتخيل انني وانت سنسمع في هذه الفترة فترة الحملة الانتخابية ما يضر بسمعة بلدنا او ما يجعلنا نغير الراي او نغير الاحساس او نغير الظن بالنسبة لهيئة دون هيئة او لمرشح دون مرشح .

اذن ، اذا نحن سلمنا ان المغاربة كلهم سواء في محبة بلدهم وتعلقهم بمقدساتهم بقي هناك العنصر الثاني وهو برنامجهم ، وهناك تفاوت في البرامج ، هناك تفاوت في الاهداف ، هناك تفاوت في المطالبات من ذلك التفاوت ما هو ممدوح ، ومن ذلك التفاوت ما هو غير ممدوح ، الممدوح منه هو ما يمكن تطبيقه عاجلا ام اجلا ، والغير الممدوح هو ما هو ناتج عن الديماغوجية وعن الاغراء وعن الجاذبية الكذابة لكل من اراد ان يتخذ السياسة حرفة ولا اريد ان يكون في بلدي من اولئك المحترفين السياسيين الذين لا هم لهم ولا شغل الا المناصب الا الالقاب دون ان يعلموا ان المسؤولية قبل كل شيء هي تكليف اكثر مما هي تشريف .

اذن بقيت البرامج الفقط التي سيظهرونها لك وسيعرضونها على انظارك واختيارك ، فعليهم اذن في برامجهم أن يعلموا ان مغربنا تغير كثيرا منذ عشرين سنة ، عليهم ان يعلموا ان بعض المنتخبين الذين كانوا في ارحام امهاتهم سنة 1956 والذين لم يعرفوا ابدا ولم يذوقوا حتى طعما قليلا من الحماية ولعدم التصرف الحر ، والان اصبحوا ناخبين عليهم اذن ان يسايروا روح التطور والعصر ، وعليهم كذلك ان لا يغرروا اولئك الناخبين الشباب الذين لا علم لهم ولا تجربة لهم بامور الدولة وبضروريات الاختيارات .

اننا حينما نمارس شغلنا ومهمتنا لا نجد انفسنا بين صالح وطالح ، ولا نجد انفسنا بين شيء طيب وشيء غير طيب ، بل في غالب الاحيان نجد انفسنا امام الاختيار بين شيئين ضارين : فالسياسة ليست اختيارا بين الصالح والغير الصالح ، بل هي في بعض الاحوال هي تكون كما يقول الفقهاء « ركوب اخف الضررين » .

فعلينا اذن حينما نعرض برامجنا ان نكون بمثابة مدرسة تفسر البرامج ، ولكن تفسر كذلك وسيلة الوصول الى تلك الاهداف والبرامج دون الاضرار بالميادين الاخرى .

نعم يمكننا ان نتسبب وثبة هائلة من الناحية الصناعية ، ولكن سيتطلب منا ذلك ان نوقف بناء المدارس وبناء المستشفيات والترفيه على الشغالين

يمكن ان نرفه اكثر مما يمكن على الشغالين بان نرفع لهم الاجور الى 25 و 30 في المائة ، ولكن سيكون ذلك على حساب جيشنا او على حساب الري او على حساب شبكات الطرق التي هي بمثابة الشرايين للذات .

فلهذا حينما ستسمع الحملة الانتخابية وحينما سنعرض ، وحينما اقول سنعرض اعني سيعرض المرشحون برامجهم عليهم ان يكونوا واقعيين حتى لا يجروا معهم من سينتخبهم الى غلط سوف يكون غلطا مضرا باختياراتنا في المستقبل ، ومضرا بالسير المتوازي والمتوازن الذي تسير عليه الدولة في تجهيزها المادي او البشري .

نعم هناك مسائل كنا قررنا نحن ولا زلنا مقررين على ان تنفذ وعلى ان يشرع في تنفيذها في اقرب وقت ممكن ، كيفما كانت الاحوال ، كانت انتخابات او لم تكن انتخابات فهذه المسائل وهذه المقررات هي مثلا تحسين احوال الفلاحين تحسينا يرجع عليهم بالخير ، وتعميم الضمان الاجتماعي للشغالين الفلاحين ، كذلك ضمان بعض المعاشات للموظفين الذين لا يتمتعون بها ، موظفي القطاع الشبه الرسمي او المستخدمين في القوات المساعدة مثلا.

وهناك الرفع من التعاضديات ، وهناك كذلك التعويضات العائلية علينا ان ننظر فيها وان نرفع من مستواها .

وهناك كذلك مراجعة القاعدة للضرائب حتى يمكن ان تصبح الضرائب ذلك الميدان الذي يظهر فيه التكافؤ بكل معناه ، فالدستور يقول : « ان التعاضد ضروري بين جميع افراد الامة » ، ومن جملة التعاضد هو ان يؤدي الغني عن الفقير ، حتى

يمكن لذلك الفقير أن يصبح بنفسه غنيا او لا بأس في حالته ليقوم بدوره كاملا .

علينا كذلك ان ننظر في مسائل أخرى بالنسبة للثروة الفلاحية حتى يمكننا أن نقضي شيئا ما على الخصاص الذي نحن فيه .

فعلينا اذن في حملتنا ان نضع الثقل كله على توسيع نطاق التصنيع الفلاحي .

علينا أن ننظر في التعليم حتى لا يضيع الجزء الاكبر من شبابنا في الطرقات .

علينا أن ننظر الى ترويج الشباب في بناء المغرب اكثر مما يروج الآن ، ان برامجنا تترك الشباب بمعزل عن البناء والتشييد ، ان شبابنا في فترة اقامته بالمدرسة الابتدائية والثانوية والجامعة كأنه يعيش في عالم آخر ، كأنه يعيش في المريخ او في الزهرة بالنسبة لما يبنى وما يشيد وما يخطط .

هذه شعبي العزيز بعض النقط التي ستروج امامك والتي نريد ان يروجها الناس والمنتخبون ولكن عليهم كذلك ان هم روجوها ان ينظروا الى ضمائرهم حتى لا يكون في تطبيقهم لهذه الافكار التي قلتها وليست محصورة ، حتى لا يكون في تطبيقهم لتلك الافكار اية ديماغوجية او شطط بالخزينة العامة

هناك مجال آخر هو مجال السياسة الخارجية ، فالمغرب معروف انه لا يزال متشبثا بمبدئه بعدم الانحياز ولكن علينا ان نفسر ماذا يعني عدم الانحياز؟

عدم الانحياز يعني أن الانسان المغربي في سياسته الخارجية عليه ان لا يركب طريق الفضول ، فكل مشكل من المشاكل التي لا تهمه لا جغرافيا ولا عقائديا ، عليه ان يبقى بمعزل وان لا ينحاز الى جانب دون جانب نظرا لصداقة او نظرا لجوار .

ولكن اذا أصبح المشكل مشكل معتقدات أو مشكل مبادىء ، والمغرب متشبث بها وملتزم بها ، اصبح المغرب غير منحاز ، بل عليه أن ينحاز ، وهذا ما دفعنا مثلا اخيرا الى ان نخوض غمار الحرب في زايير .

ففي زايير مثلا انحزنا لصديقتنا زايير لاسباب متعددة :

اولا ـ لانها دولة معترف بها

ثانيا ـ لانها طلبت منا المعونة

ثالثا ـ لانها لو كانت في خلاف مع دولة صديقة لحاولنا التدخل السلمي مع دولة صديقة ، ولكن هذه الدولة الصديقة الشقيقة وجدت في خلاف مع دولة تضمر لنا العداء ، بل صرحت بموقفها ضد مصالحنا في الصحراء بل اعترفت فضائيا وحلما بما اعترفت به ، واصبح من الواجب على المغرب أن لا يسكت ولا سيما ان تلك الدولة التي هاجمت زايير أرادت ان تدخل على قارتنا مذاهب لا يقول بها المسلمون ولا يقول بها العرب ، ونحن دولة اسلامية ولا يمكننا اذن ان لا نغير المنكر في قارتنا بجانب صديقتنا اذا كان ذلك ممكنا .

وبهذه المناسبة شعبي العزيز اريد ان اقول لك: لك ان تفتخر وانا افتخر بما قدمته قواتنا المسلحة الملكية لهذا البلد الشقيق فالحرب ولله الحمد قد انتهت او اصبحت على وشك الانتهاء ، والتراب الزايري قد حرر ولله الحمد من الدخلاء والجندي المغربي ظهر مرة أخرى بما يظهر به دائما من انضباط وشجاعة واستماتة .

ومسألة زايير هي حقيقة تجيب ، تجيب على النقطة الاولى التي طرحتها في خطابي هذا حينما قلت ان فراسة المغربي لا تخطىء ، ذلك انني حينما اردت ان ارسل القوات الى زايير لم اطلب الا المتطوعين ، نعم شرحت للضباط وللمسؤولين عن الجيش ، شرحت لهم المرامي والمقاصد والابعاد ، وقلت لهم عليكم ان تشرحوا هذا للجنود حتى لآخر جندي ، حتى اذا اراد ان يتطوع عرف لماذا تطوع ولاي شيء اراد ان يترك اهله وذويه ، ويغادر بلاده وان يتعب نفسه للاخطار ؟

فحينما طلبنا المتطوعين وجدنا ولله الحمد اكثر بكثير مما كنا ننتظر من العدد المطلوب .

وهكذا شعبي العزيز ذلك الجندي الاخير في الدرجة فهم في الحين وأدرك في الحين المقاصد والاهداف ووعى بمسؤوليته وسارع الى التطوع .

حقيقة هذا مما يجعلني أطمئن على فراسة المغربي .

نعم حينما طلبنا المتطوعين للجولان أو سيناء كان في الامكان ان تقول : الوحدة العربية ، الدافع الاسلامي ، القدس ، مسائل دينية والتضامن . .

ولكن ترى جنوداً يسارعون الى التطوع للدفاع عن بلدهم وعن قيم يلدهم على بعد 7000 كم. هـذا يدل على ان المغربي اذا هو فهم المشكل ، وكسب طريق الصواب وعرف حسن الاختيار .

شعبي العزيز هذه كلمات الى المنتخبين ، ولا اريد ان اختم كلمتي هذه دون التوجه الى المرشحين واقول لهـم :

كيفما كانت النتيجة تعلمون ان بعد يوم الاقتراع الحياة ستستمر ، والمعاملة ستستمر داخل البرلمان أو خارج البرلمان ، فعليكم ان لا تستعملوا العبارات النابية ، فعليكم ان لا تتعاطوا الى ما هو مضر بالسمعة والاخلاق والفضيلة والمروءة ، عليكم ان تكونوا اساتذة وقدوة لمنتخبيكم اكثر مما تكونوا بمثابة بهلوانيين يتفرج عليهم الناس ويجيء الناس ليسمعوا خطبهم الفارغة المليئة بالسب او بالطعن ثم يرجع الناخب الى بيته فارغ الذهن وكئيب الفؤاد .

فعليكم اذن ان تعلموا انكم ان فزتم او ان لم تفوزوا ، عليكم ان يكون عراككم عراكا في مستوى الشعب المغربي عليكم ان يكون عراككم في مستوى مطامح هذا الدستور ومطامح هذه الديموقراطية ، عليكم أن يؤخذ من خطبكم ومن توجيهاتكم ومن ايضاحاتكم ، أن يؤخذ منها ما تسميه المدرسة الوطنية ان يتخذ منها كتيبات الجيب تلك الكتيبات التي لا تطبع ولا تروج ولا تباع ، ولكن تبقى راسخة في الذهن مطبوعة في الذاكرة ، على خطبكم وتوجيهاتكم أن تكون بمثابة كتيبات الجيب في حسن السلوك وحسن المواطنة وحسن ادراك المشاكل وادراك الاختيارات وادراك احسن السبل للقيام بممارسة شؤون الدولة .

عليكم ان تعاطيتم الى خوض غمار السياسة الخارجية الا تطفى عليكم عواطفكم اكثر من اللازم ، عليكم ان تعلموا قبل كل شيء ان للتاريخ عناصر وتلك العناصر يمكنها ان تتغير ، الا عنصر واحد لا يمكن ان يتغير ، وهو العنصر الجغرافي .

فعليكم كما قال بسمارك « جميع عناصر التاريخ تتغير الا العنصر الجغرافي لا يمكن ان يتغير » ، فهذه العناصر الجغرافية تدفعهم وتدفع بكم الى الالتزام بالنسبة لافريقيا وبالنسبة للبحر الابيض المتوسط الى الالتزام بالتضامن مع المستضعفين في قارتنا وجهتنا ، تدفع بكم الى الالتزام باحترام الاخوة والصداقة التي تجمعكم باصدقائكم ، عليها أن تلزمكم كذلك بالنظر الى المستقبل بعين متفائلة ، ان تنظروا الى مستقبل جوارنا بعين متفائلة لان الاحوال لا تدوم والشعوب كيفما كان قادتها يأتي يوم من الايام فيعطيها الله القادة الذين تستحقهم .

ففي جوارنا شعوب ليس لها من المسؤولين ما يجيب الى ما نريد من الاخوة والتعامل ومن الالتحام

ولكن هل معنى هذا ان هذه الشعوب ستبقى دائما محرومة من قادة تريد الالتحام والوئام والوحدة والتعـــاون ؟

فلهذا حضرات المرشحين اريد منكم ان تكونوا كما قلت لكم كتيب الجيب الذي سيردده في باله وفي ذاكرته كل مغربي ومغربية وكل ناخب وناخبة ، وحتى اذا رجع الى بيته واستقر في فراشه وصار يرجع بذاكرته الى ما سمع وما راى وجد حصيلة مهمة لا بأس بها ونتاجا من أفكاركم وخطبكم سيكون بمثابة المدرسة الوطنية البناءة لمسيرته في بلده .

ان الله سبحانه وتعالى ، شعبي العزيز ، كلما جعلنا أمام اختيارات زودنا دائما ، زودنا بالاطمئنان والطمانينة ، فلي اليقين انك مطمئن وفي كامل لطمانينة وزودنا بالفراسة ، ونحن مؤمنون وفراسة المؤمن لا تخطىء .

فلي اليقين ان فراستك ستكون في هذه المدة فراسة المؤمن . ولي اليقين ، شعبي العزيز ، ان نحن تمكنا من فتح اعماق تفكيرنا ولا أقول قلوبنا ، ان نحن نصبنا لهذه الايام المقبلة طاقتنا في النقد البناء وفي الميز والفرز الدقيق بين ما هو حسن وما هو احسن ، لي اليقين ، شعبي العزيز ، اننا سنخرج جميعا ناخبين ومنتخبين منتصرين عالمين مهيئين لخوض معارك اخرى تنتظرنا لان الحياة معترك دائم ، لخوض معارك اخرى ولتشييد امجاد أخرى ولوضع سيرة مثلى بالشعوب النامية التي تريد أن تطبع أصالتها بالطابع اليومي ، بالطابع الحديث بالطابع العقلي ، طابع الرشد ، وهو طابع الديموقراطية الحقة .

انا نسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدي سبيلنا ، وان ينير مفاهيمنا وان يصلح منطقنا وان يطهر افئدتنا حتى نختار احسن ما يمكن أن نختار لخير شعبه المسلم وامته المسلمة ، انه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

● كلمة السيد الداي ولد سيدي بابا وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

في المؤتمر السادس لرابطة علماء المغرب :

لهذا الوطن في حكمة عاهله الضمان الأسمى لتحقيق أرفع الأهداف

انعقد بمدينة اكادير يومي السبت والاحد 7 ـ 8 ماي المنصرم المؤتمر السادس لرابطة علماء المغرب بحضور كل من السيد الداي ولد سيدي بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والسيد صلاح العزيلي وزير الفلاحة والاصلاح الزراعي وبرئاسة الاستاذ عبد الله كنون امين عام لرابطة علماء المغرب . كما حضر الى جانب السيدين الوزيرين عاملا اكادير وتزنيت وعدد من كبار الشخصيات المنتمية الى الثقافة والفكر والدعوة الاسلامية .

وفيما يلي النص الكامل لكلمة السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر .

بسم الله الرحمن الرحيم

اصحاب الفضيلة العلماء

ايها السادة الاكارم

اود بادىء بدء ، ان ازجي عبارات الشكر للجنة التنظيمية للمؤتمر السادس لرابطة علماء المغرب على تفضلها بتوجيه الدعوة الي ، لحضور الجلسة الافتتاحية للمؤتمر ، معربا عن اخلص تحياتي لجمعكم الكريم هذا وعميق تقديري للروح الاسلامية التي تحدر حوافزه ورؤاه وتثري عمله الايجابي فيما خدمة الاسلام والمسلمين .

وانه لمما يسعدني ـ بهذه المناسبة القيمة ، التي تحتضنها مدينة اكادير المتالقة الطلعة ، الفياضة بدفق الحيوية والنشاط ، ان التقي ـ على صعيد هذا الجمع الكريم ، بصفوة مختارة من خيرة العلماء ، واجلة المفكرين ، ممن نذروا انفسهم للعمل على خدمة اهداف الفضيلة الاسلامية،واصفوا جهودهم لتعميق وعي المجتمع بها ، وتنوير بصيرته في مسيرة التقدم والرقي ، وان تتاح لي هذه الفرصة التي اعتز بها ، لمشاركتكم هذا الجو الفكري المتالق ، الذي تشهده ناحية سوس ، العريقة على مدى التاريخ ، بتقاليدها الفكرية،وامجادها العلمية ، والتي ضلت على توالي الحقب والقرون منطلقا لبث دعوة الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء ، ونشر مضامين الثقافة العربية الاسلامية على اوسع نطاق في ارجاء القارة .

ايها السادة :

غنى عن البيان ، ما للموضوع الفكرى فى حياة المجتمعات من وزن فى تقييم مستواها الحضارى وبلورة المدلول الذى تحدده مكانتها المتميزة فى سلم المدنية .

ان معطيات التقدم المادى الذى يحققه كيان اجتماعى ما، لا يمكن ان تستكمل كافة دلالاتها كمؤشر حضارى الا اذا كانت البيئة التى انطلقت منها، ذات قاعدة انسانية راسخة روحيا وفكريا ووجدانيا ، وتوافرت لتلك البيئة ــ بحكم ذلك ــ ارتكازات ثقافية ، مستمدة مما ياخذ به المجتمع المعنى من مبادىء وقيم ، وما يعتمده من مثل نبيلة .

وقد تهيأت لبلادنا ــ بحكم عراقتها فى التاريخ ، واصالة مقوماتها الفكرية، ارضية معنوية سليمة لاستيعاب التطور الحضارى وتحقيق القدر اللازم من التكامل الضرورى ، بين دينامية البناء المادى للحضارة ومتانة الاصول الروحية والمنطلقات الفكرية والثقافية لهذا البناء .

وهى ميزة جليلة من مميزات هذا الوطن ، امكن له بها ان يحافظ طوال الدهر ــ على شخصيته متطورة متوازنة متكاملة ، وان يقتدر بفضل ماله من ذلك ــ على الاضطلاع بدوره التاريخى الكبير فى خدمة القضايا العربية والاسلامية والافريقية ، والذود عن تراثه القومى وصيانة عموم التراث العربى الاسلامى فى الجناح الغربى من عالم الاسلام .

لقد استطاع المغرب ــ بفضل مناعته هذه ــ ان يجابه مختلف التحديات التى وجهت اليه ، طوال تاريخه النضالى المشرق ، بل لقد وسعه ــ اكثر من ذلك ان يصارع التحديات التى وجهت لعموم الجناح الغربى من العالم الاسلامى وان يضطلع ــ بفاعلية بالذب عن حمى هذه المنطقه الشاسعة ، فيما بين غربى افريقيا وشرقى المتوسط ، وان يحول دون ان تبلغ الهجمات الصليبية والشعوبية مقاصدها ، من تحويل الوجهة الطبيعية للتاريخ فى المنطقة ، وامتصاص الوجود الحضارى للعرب والمسلمين فيها .

وفيما كان ما يعرف اليوم بالعالم الثالث قد تهاوى معظمه انطلاقا من بداية العصور الحديثة ــ تحت وطاة الاحتلال الاستعمارى كان المغرب القوى بايمانه ، وبشخصيته ، وبقيادته ــ قد اوقف المد الاكتساحى الذى تطاول على شواطئه ، وامكنه ان يصمد طوال قرون وحده كمعسكر حربى وسياسى وحضارى كامل لمواجهة القوى الاستعمارية جميعها ، وان يحتفظ بنفسه الطويل فى هذا العمود الذى اتخذ صورة مواجهة شاملة بين الضفة الجنوبية للبحر المتوسط ممثلة فى المغرب، وبين الغزاة الطامعين فى الاستيلاء على قارتنا الافريقية.

انه لموقع مرموق ــ تاريخيا وموضوعيا ــ تبوأته بلادنا فى غمرة جهادها من اجل الدفاع عن مثل الحرية والسيادة والكرامة وتتبوؤه اليوم ، وهى تخوض بقيادة جلالة الحسن الثانى نصره الله ــ ابطل الملاحم واسماها ، صيانة لحرية الوطن وسيادته ووحدته وذودا عن مبادىء الحق والخير والسلام ، ووفاء لمثاليات الشهامة والمروءة ، وحق الاخوة والصداقة .

ان نبل العمل التضامنى المغربى فى الجولان وسيناء بالامس القريب وفى زايير اليوم ، لشاهد حى على روعة هذه المشاعر ، التى تحدو بلدا اصيلا خلقيا وحضاريا كالمغرب ، وقيمة العمل الخلاق الذى تلهمه هذه المشاعر ، وتؤذن به .

لقد ادركت القوات التوسعية بالامس كما تدرك اليوم ان العمل على بلبلة فكر المجتمعات الافريقية وفقتها عن مثليا العليا ، كفيل بان يمكن من النيل من مناعتها الروحية والفكرية ، وتبييم مرتكزات اخلاقياتها الحضارية ، والنفوذ من ذلك الى استلاب عقول شعوبها توطئة لفرض ما يرى فرضه من ديكتاتورية دائمة على هذه الشعوب ، ومصادرة امكانياتها ومقدراتها .

ومن ثم تتخذ المواجهة بين التوسعية الاجنبية وبين الفكر القومى للشعوب الافريقية بعدا مصيريا ، بحكم هذه الصفة الجذرية للمواجهة ومن ثم بالنتيجة يتجلى بعد المدى الذى تبلغه معركة المثل والقيم فى

القارة ، وماذا يعنيه ، من منظورها ـ مدلول هذا الالتزام السبيل الذى يأخذ به المغرب فى مضمار العمل على حماية شخصيته الحضارية والاسهام فى المعركة من اجل صيانة القيم الحضارية العربية والاسلامية ، لافريقيه .

ايهـا السـادة :

ان المهمة التى تضطلع بها رابطة علماء المغرب ، مهمة جليلة ومرتبطة باسمى الاهداف فيما يستهدف من رفع مستوى وعى المجتمع بشؤون دينه ، وتعميق مدى تشبعه برفيع مثله وقيمه والاسهام فى رعاية الخط الثابت والاصيل لتربيته الصالحة ، المستمدة من تعاليم كتاب الله ، ومن سنن رسوله وهدى السلف الصالح رضى الله عنهم .

انها لرسالة مثلى ، تتوقف على حسن ادائها واستيفاء اغراضها ، سلامة الاسس الفكرية والحضارية التى تنهض عليها شخصية هذا الوطن واستمرار قيامه بدوره كمصدر اشعاع فى افريقيا وخط حيوى من خطوط الدفاع عن تراب القارة الافريقية .

ومن البديهى ، ان لتنجاح فى العمل على تنوير بصيره المجتمع ، وشحذ وعيه ضد عوامل الزيغ والانحراف فكرا وسلوكا ، وتقوية عزيمته على مضاعفة السعي نحو التقدم والتطور ، وارتياد واسع الافاق فى مضمار الابداع الحضارى ، ومواكبة متطلبات العصر ورعاية مقومات تفكير الشباب فى دائرة هويه المغربية العربية الاسلامية ، من البديهى ان النجاح فى كل هذا ، كفيل بان يرسخ قدم هذه الامة امام كافة التحديات ، ويشد ازرها فيما تخوضه من معارك من اجل صيانة شخصيتها الوطنية ، وانجاز اهداف التضامن العربى الاسلامى الافريقى الذى يرتكز عليه قطاع اساسى فى سياستها الدولية .

وان لهذا الوطن فى حكمة عاهله وقائده ، ورائد وحدته وسيادته ونهضته ، جلالة الحسن الثانى ايده الله واعز امره ، الضمان الاسمى لتحقيق ارفع الاهداف فيما تقطعه البلاد من شاسع الخطوات ، تقدما وتطورا وعزة ومنعة ، وما ينهيا لها من قدرة خلاقة على الاضطلاع باجل المهام فى المضمار الوطنى والعالمى .

ابقى الله مولانا امير المومنين ، منارا لهذه الامة تهتدى بهديه ، وتتعزز مفاخرها وامجادها تحت لوائه ويتوالى لها فيض الخير والنماء والازدهار على يديه ، وجعل كل خطواته فى سبيل هذا البلد مقرونة بموفور اليمن والاقبال ، مصحوبة بتحقيق اغلى الاماني والآمال.

وحفظه فى صاحب السمو الملكى الامير الجليل سيدي محمد وصنوه السعيد مولاي رشيد ، وسائر افراد الاسرة الملكية الشريفة .

والسلام عليكم ورحمة الله

الإسلام والالتزام الخلقي عند الفرد والجماعة

للأستاذ محمد العربي الخطابي

ان الاسلام ـ الذي جعل الفرد عنصرا فعالا وحصونا في بنيان الجماعة وخصه بارادة عاقلة فجعله بذلك مسؤولا عن حدد منهاجا قويما للاخلاق التزم به الفرد ، كما رسم للجماعة طريقا للسلوك الخلقي لا يستقيم أمرها الا به .

وليس المقصود بالخلق المعنى المثالي المجرد للكلمة ، بل المقصود هو التفاعل مع كيان المجتمع الحي اخذا وعطاءا بما يصلح به امر الامة ويستقيم حالها فتصبح جديرة بتحمل الامانة وما يستلزمه ذلك من عزة وقوة ومنعة ورشاد .

وعلى هذا الاساس يجب أن نفهم ما وصف به الله نبيه الكريم حينما خاطبه بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » . انه الخلق الذي مكنه من القيام باعباء الدعوة الاسلامية وتحمل الاذى في سبيلها والصدع ، دون تهاون ، بما أمره الله به .

وكذلك حينما وصف الله سبحانه عباده الصالحين بقوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس »، علل ذلك بقوله : « تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » ؛ انه العمل الايجابي الفعال ، والشعور بالتبعة والمسؤولية ، والسعي لاداء الواجب : واجب الدعوة والارشاد وبناء المجتمع بناء صالحا .

على ان العمل يجب ان يكون متمشيا مع الشريعة السمحاء : اوامرها ونواهيها ، ومن هنا وصفه القرآن الكريم : « بالعمل الصالح » وقد قال الامام الغزالي وهو يوصي أحد تلاميذه : « ينبغي لك ان يكون قولك وفعلك موافقا للشرع ، اذ العلم والعمل بلا اقتداء الشرع ضلالة » .

وينبغي ألا نفهم من « العمل الصالح » العبادات وحدها ، بل كل عمل من شانه ان يقوم حياة المجتمع ويصلح حاله ويقيم بين أفراده المودة والمناصحة والتعاون ويمهد لهم طريق العزة والقوة والرفعة لاعلاء كلمة الله وتقويم أحوال الجماعة في معاش افرادها وسعيهم وجهادهم اليومي .

اذن فبناء المساجد والمدارس والجامعات والمستشفيات من العمل الصالح وشق الطرق والقنوات ، وتيسير الري وتجويد وسائل الفلاحة والغراسة من العمل الصالح ، وتوفير العمل للقادرين عليه ورعايتهم في حالة الصحة والمرض والقدرة والعجز وتحسين ظروف الشغل لهم كلها من العمل الصالح ، والذب عن كرامة المسلمين ومناصرتهم ومد يد المعونة لهم حينما يصيبهم كرب او مكروه من العمل الصالح ايضا .

ان « العمل الصالح » جهاد مستمر لتطهير النفس وتسخير قوى العالم لخير الانسان وسعادته. قال محمد اقبال : « ان هذا العالم مسخر للانسان ، وان للانسان فيه جهادا ، وان لذة الانسان وكماله في هذا الجهاد ... ان الله جعل هذه الدنيا نصيب

الاخيار ، وجلا محاسنها لعين المؤمن ... هذه الدنيا امتحان لقوة الايمان فسخرها لئلا تسخرك .. » .

ان العمل الصالح ، مع اكتمال الايمان ، جهاد ومجاهدة ، وليس هو مجرد الصلاة والصوم ، وقد جاء في التنزيل « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب .. » والبر هنا بمعنى الطاعة وصدق النية والعمل .

انه ليس من قبيل الصدفة أن تكون كلمة « الخلق » من نفس مصدر كلمة الخلق . وقد قال ابن منظور في لسان العرب : « الخلق ... هو الدين والطبع والسجية ، وحقيقته أنه لصورة الانسان الباطنة ، وهي نفسه ... بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة ... ولهما أوصاف حسنة وقبيحة ، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة » .

والخلق سجية وعمل ، طبع وممارسة . قالت عائشة ، رضي الله عنها ، متحدثة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان خلقه القرآن » أي انه كان يسير على هديه ويعمل بأوامره ونواهيه ، ويتحلى بما اشتمل عليه من آداب ومكارم وحكم ، ويخشع بتلاوته .

وقد جاء في الحديث الشريف « بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » ، والمقصود ، كما سبق أن أشرت ، الاخلاق الفاعلة والمتفاعلة التي تجعل من شمائل الفرد صورة لذاته الحية النامية ، ومن سلوك الجماعة تعبيرا عن تلاحم افرادها وتعاونهم في سبيل النفع العام طبقا لما تأمر به الشريعة السمحاء ويقره المنطق السليم ، والفطرة الصحيحة ، والطبع القويم .

= × =

ان التزام الفرد بمنهاج خلقي لا يعني أن يكون الافراد متشابهين في كل شيء في الانفعالات والاحاسيس والنظر الى الامور العامة والخاصة . ان من سنة الله اختلاف البشر وتفاوتهم في المدارك والمشاعر وتقويم الاشياء ، لهذا فان المقصود ، كما أرى ، هو أن يتاح للافراد حقل مشترك من التربية الخلقية تؤهلهم للانتظام في جماعة متراصة متعاونة في سبيل الصالح العام وفي ظل تعاليم الدين الحنيف . وان اختلاف الافراد في المشارب والطباع لا يضر الجماعة ما لم يكن في ذلك معصية او انحراف عن الجادة القويمة ، بل انني اذهب أكثر من ذلك فأقول ان في اختلاف الافراد فيما لا ضرر فيه ولا اسراف الخير كل الخير لانه ينمي قدرة الجماعة على الابداع ويزيد في حيويتها ويقوي امكاناتها المعنوية والمادية.

وبعد ، فان اخلاق الفرد يمكن تصنيفها في ثلاث مراتب :

تندرج في المرتبة الاولى الاخلاق التي تقرب الفرد مباشرة من الخالق الاعظم وتكسبه حظوة عنده وتنفعه في دنياه وأخراه ، ومن ذلك : الايمان الذي هو عقيدة وخلق في آن الوقت بدليل قول النبي عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » فالعقيدة وحدها لا تكفي بل لا بد ان يتجه الايمان وجهة عملية وان يصبح حالة خلقية تطبع حياة الفرد المؤمن . ومن هذه المرتبة أيضا التقوى التي هي تحصين النفس بالممارسة الخلقية الفعلية التي تكسب صاحبها مناعة تمكنه من التغلب على الاهواء المضلة . والتقوى هي مقياس المفاضلة بين الناس « ان أكرمكم عند الله اتقاكم » وسبيل التقوى الطاعة التي تؤدي بصاحبها الى امتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه .

ومن هذه المرتبة الاولى أيضا الاحسان الذي هو في الواقع تعبير عن طاعة الله سبحانه ، هو « ان تعبد الله كأنك تراه » — كما جاء في الحديث الشريف ، وهو ايضا اسداء المعروف الى الناس ومواساة من يستحق المواساة منهم .

اما المرتبة الثانية من اخلاق الفرد فتندرج فيها الشمائل التي تؤدي الى تربية الفرد تربية ذاتية تنفعه في معاشه وجهاده اليومي في معترك الحياة فتقوي من عزيمته وتعينه على السداد والرشاد فيما يسعى اليه من تحقيق السعادة والطمأنينة له ولذويه.

ومن هذه المرتبة الصبر الذي هو مجاهدة النفس وتدريبها على التجلد واحتمال الصعب والمكروه وتعويدها الرضا بقضاء الله دون تواكل أو خنوع او استسلام . والصبر هو مواجهة المصاعب والنكبات بقلب ثابت وايمان لا يتزعزع . قال الله تعالى : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات ، وبشر الصابرين » .

وقال : « ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور » .

وجاء في الحديث الشريف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجبا لأمر المؤمن ، ان امره كله له خير ، وليس ذلك لأحد الا للمؤمن : ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له » .

ومن هذه المرتبة ايضا الصدق في القول والعمل الذي يكسب الفرد حرمة ومكانة بين اقرانه ويعينه على النجاح في الحياة . قال الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» ، وقال : « فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم » .

وجاء في الحديث الشريف : « ان الصدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وان الكذب يهدي الى الفجور ، وان الفجور يهدي الى النار ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عنه الله كذابا» . والاستقامة هي علامة الصدق ، لان الذي لا يصدق مع نفسه لا يمكن أن يصدق مع غيره . والاستقامة لزوم طاعة الله ، وهي من جوامع الكلم . قال الله تعالى : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، اولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون » .

وعن ابي عمرة سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك . قال : « قل آمنت بالله ثم استقم » .

ومن هذه المرتبة ايضا **الامانة** التي هي الدرجة العليا من درجات الصدق والاخلاص والنزاهة والمروءة . وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم « بالامين » فكان ذلك من براهين صدق نبوته .

والامانة لفظة واسعة الدلالة بعيدة المرامي ، فهي الامانة في الدين ، والامانة في تبليغ العلم ، والامانة في صيانة الاموال المودعة في عهدة الفرد ، والامانة في اداء الواجب ، وتحمل التبعات وصيانة حقوق الافراد والجماعة ، وهي حفظ الذمة ، وترك الغش ، وهي حسن اداء الشهادة الواجبة ، والامانة هي ايضا تحمل عبء خلافة الله في الارض وحفظ الايمان وتحقيق العدل في الامر كله ، قال الله تعالى: « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » . ولا أعرف في اللغات الاجنبية كلمة جامعة لمعاني كلمة الامانة في لغة الضاد . **والوفاء بالعهد** ، ضرب من ضروب الامانة . وقد قال الله تعالى : « واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » وقال : « وكان عهد الله مسؤولا » .

والقناعة هي ايضا من المرتبة الثانية من مراتب اخلاق الفرد . والقناعة لا تعني الخنوع والرضا بالدون والكفاف ، بل هي قبول ما قسم الله لك من رزق مع السعي والجد في سبيل الكسب الحلال بغية تحسين المعائش . انما القناعة قناع يقي من الحسد والطمع واللهفة التي تستعبد الانسان وتبعده عن المروءة وتنحرف به عن الجادة القويمة .

ومن هذه المرتبة الايثار ، وهو من اخلاق السلف الصالح يدل على قوة النفس وسلامة القلب وصفاء الضمير ، ويكون المجتمع احوج ما يكون الى الايثار في وقت الشدائد والكروب فيحفظ سلامة الجماعة وتماسكها ويقيها من التضعضع والتخاذل .

اما المرتبة الثالثة من اخلاق الفرد فتندرج فيها تلك الشمائل التي تمكن المؤمن من التعامل مع ذويه وقرنائه في صفاء ومودة ، ورفق وبرور ، ورحمة وعطف مع قصد النفع والمعونة ، وقد جاء عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كلكم عيال الله وأحب خلقه اليه انفعهم لعياله » .

ومن هذه **المرتبة البرور بالوالدين** ، وفي القرآن الكريم آيات معروفة تحث على ذلك ، وفي السنة احاديث تقر هذا البرور وتعظمه . قال تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا وبذي القربى ، واليتامى ، والمساكين ، والجار ذي القربى ، والجار ذي الجنب ، والصاحب بالجنب ، وابن السبيل ، وما ملكت ايمانكم ، ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا » .

وهذه المرتبة ايضا **السعي لقضاء حوائج الناس**. وقد جاء في الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم: « ان لله عبادا خلقهم لحوائج الناس آلى على نفسه الا يعذبهم بالنار فاذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله والناس في الحساب » وقال ايضا : « من مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله » ، وقال : « من قضى لاخيه حاجة ، كان كمن عبد الله عمره » .

ومن هذه المرتبة من اخلاق الفرد **ستر عورة المؤمن** ، وفي الحديث : « لا يستر عبد عبدا في الدنيا ، الا ستره الله يوم القيامة » ومن هذا القبيل **تفريج كربة المؤمن** ومساعدته فيما يلم به من ضيق او فقر ، **ورفع الظلم** عنه ان كان مظلوما . وقد جاء في حديث جامع قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس من نفس ابن آدم الا وعليه صدقة في كل يوم تطلع فيه الشمس ، قيل يا رسول الله من اين له صدقة يتصدق بها ؟ قال : « ان ابواب الجنة لكثيرة ، والتهليل والتحميد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتميط الاذى عن الطريق ، وتسمع الاصم وتهدي الاعمى ، وتدل المستدل على حاجته ، وتسعى بشد ساقيك مع اللهفان والمستغيث ، وتحمل بشد ذراعيك مع الضعيف ، فهذا كله صدقة منك على نفسك » ، وهكذا يتضح من هذا الحديث الشريف ان الصدقة في مدلولها الاسلامي انما هي صدق المعاملة واخلاص العمل .

والظلم في مفهوم الاسلام ان يظلم الانسان نفسه بالمعاصي ، او ان يظلم غيره في حكم او معاملة ، قال الله تعالى : « ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » . وقال : « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » . وقال : « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات » ، والظلم هنا ظلم النفس بمعصية الخالق . قال النبي (ص) فيما يرويه عن الله سبحانه وتعالى : « .. يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » والمقصود هنا هو الظلم في الحكم او المعاملة . وفي هذا المعنى قوله (ص) « اتقوا الظلم ، فان الظلم ظلمات يوم القيامة » .

ومن هذه المرتبة من اخلاق الفرد **ترك الحسد والتباغض** وما اليهما من الخصال التي تفسد المودة بين افراد المجتمع الاسلامي ؛ وقد جاء في الحديث الشريف : قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله اخوانا . المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . التقوى هاهنا (ويشير الى صدره ثلاث مرات) بحسب امرىء من الشر ان يحقر اخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » .

والسخاء ، والرحمة ، وافشاء السلام ، وعيادة المريض ، وصلة الرحم واقالة عثرة المؤمن ، والمحبة في الله ، وتعزية المؤمن بما يصيبه ، والعفو عند القدرة ، وكظم الغيظ ، وتنفيس الكرب عن المعسر ، كلها من هذا الصنف من اخلاق الفرد . والقرآن الكريم والسنة النبوية زاخران بالحث على هذه الاخلاق وتحبيبها الى المسلمين ودعوتهم الى الالتزام بها وتربية النفس عليها .

= x =

وانتقل الآن الى الحديث عن اخلاق الجماعة ، وابين قبل ذلك ان تحلي الفرد ذاته بالخلق الحسن على النحو الذي اشرت اليه يؤدي الى قيام نهج خلقي عام يعين على تماسك المجتمع وتعاضد افراده ، ويحدث بينهم مشاركة وجدانية مفيدة تكسب الجماعة قوة ومناعة وعزة وتجعلها اكثر قدرة على مجابهة مصاعب الحياة وتحمل الاعباء التي تنتظم بها شؤون الامة ، كل على قدر طاقته .

ويمكننا أن نستفيد من هاتين الآيتين الكريمتين جملة ما يجب ان تكون عليه اخلاق الجماعة . الآية الاولى قوله تعالى : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » .

والآية الثانية قوله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

وبذلك يكون اساس اخلاق الجماعة :

أولا : الدعوة الى الخير ، والمقصود هنا الخير العام الذي يصيب منه كل فرد من افراد الامة ويتيح لكل واحد منهم فرص العيش الكريم والطمانينة النفسية والاجتماعية مع العزة والكرامة . ويجب الا نفهم من **الدعوة** الى الخير مجرد الحث والطلب بالقول . فالدعوة تنظيم وبنيان ومثابرة ، بمعنى انه لا بد للمجتمع الاسلامي من أن يقيم النظم الكفيلة بتحقيق الخير العام في الميادين الاقتصادية والاجتماعية خاصة .

ثانيا : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذا المبدأ من دعائم الدعوة الاسلامية ، والمراد منه بلوغ الاهداف التي تتوخاها الشريعة السمحة من تنظيم المجتمع على أسس العدل والمساواة وسيطرة الحق وانهزام الباطل والظلم ، وانكسار البدع الضالة ، واجتناب الحيف والخيانة والغش في المعاملات ، مع

تبيين الحلال والحرام ، كل ذلك في نظام محكم دقيق تتضح معه الحقوق والواجبات بالقياس الى الفرد والجماعة .

ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اركان الرسالة الاسلامية وهو مبدأ يحتل الصدارة في تعاليم الكتاب والسنة . وانه لأمر من الله لا يصح لاولياء الامر التهاون في تنفيذه حمايةً للامة من التضعضع والفساد . وتنفيذه في عصرنا هذا لن يتم على الوجه الاكمل الا بسن الاحكام التشريعية والتنظيمية المناسبة التي تستمد وجودها من الكتاب والسنة ومن اجماع المسلمين وما تتفق عليه مصلحتهم .

ويمكن القول بصفة عامة ان المعروف هو كل ما يتفق ومصالح الامة ويستوجب الحفاظ على سلامتها اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وبقيها صفا متراصا لا خلل فيه ولا ثلمة ، والمنكر عكس ذلك ، هو كل عمل هدام مخالف للشرع ولمصالح الجماعة، سواء كان هذا العمل اجتماعيا او اقتصاديا او سياسيا . والعمل بهذا المبدأ الخلقي واجب فردي وجماعي . وتركه يؤدي حتما الى تضعضع الجماعة .

جاء في الحديث الشريف : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم ».

والتآزر بين المسلمين قائم على مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال الله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » .

ثالثا : التعاون ، هو المبدأ الثالث الذي يجب أن تقوم عليه أخلاق الجماعة الاسلامية ، والمراد هو التعاون الفعال الايجابي الذي تنتظم به الروابط بدقة بين الحاكمين والمحكومين من جهة ، وبين مختلف فئات المجتمع وقواه الحية العاملة . ولا بد أن يكون هذا التعاون قائما على البر والتقوى والصلاح والاصلاح ، وان يكون هدفه تحقيق استقرار المجتمع وطمأنينة افراده بتمكينهم من فرص العمل وترقية احوالهم المعاشية والمعنوية ، وتوفير سبل الامن والصحة والتعلم لهم كي يصبحوا نافعين وقادرين على الاسهام في بناء عزة الامة وقوتها .

والتعاون القائم على البر والتقوى يتطلب توافر شروط منها : استعداد كل فرد فرد للبذل والعطاء وأداء الواجب والانصهار في المجتمع والشعور بالمسؤولية تجاهه .

* * *

وبعد ، فان هذه المبادىء الثلاثة التي ذكرتها في معرض التحدث عن أخلاق الجماعة ، هي مبادىء متكاملة وكفيلة بتحقيق مرامي الاسلام التي هي ايجاد مجتمع صالح يطمح دوما الى الكمال ويسعى ابدا الى اعلاء كلمة الله ، ونشر تعاليم القرآن والسنة ، والتمسك بالوحدة التي فيها قوة الامة ، كل ذلك مع مراعاة العدل بمدلوله الشرعي والاجتماعي والاقتصادي ، والمساواة بمفهومها الايجابي ، وغلبة الحق على الباطل ، والقوة على الضعف ، والهدى على الضلال ، والحكمة على الجهل .

واذا كنت قد استعملت عن قصد كلمة الخلق ، وفرقت بين خلق الفرد وخلق الجماعة ، فانا انما قصدت اللفظ بمعناه الاسلامي الواسع وابعاده الاجتماعية كلها ، ذلك أن الخلق في مفهوم الاسلام ليس مجرد مسلك فردي في الحياة والمعايشة ، بل انه منهاج متكامل للسلوك الشخصي والجماعي يتوقف عليه نمو المجتمع وسلامة اركانه .

واذا كانت النية هي الاصل في العبادات والمعاملات فان النية ، اذن ، هي صوت الوجدان وهي العلامة الباطنة الدالة على أن الخلق حسن او قبيح ، قويم او منحرف . والنية هي بداية الالتزام ونقطة الشروع .

ان الاخلاق التي تحدثت عنها ملزمة للفرد المسلم كما هي ملزمة للامة لكونها من صميم الشرع لا تكتمل العبادات والمعاملات الا بها ، وأوامر الكتاب والسنة واضحة في ذلك ، فهي اذن بمنزلة النظام الاجتماعي للاسلام تترتب عنها حقوق وواجبات ، وهي لا تدخل في باب أدب السلوك العام فحسب بل تتعداه الى مرتبة الوجوب بحيث لا يكتمل اسلام المسلم الا بها ولا ينتظم امر الجماعة بدونها .

ان الاخلاق التي تحدثت عنها هي في الواقع من المبادىء الثابتة التي تستمد منها الشريعة الاسلامية وجودها واستمرارها ، هي مبادىء مستقرة راسخة تصلح لهذا العصر كما تصلح لغيره من العصور ، هدفها تحقيق العدل والمساواة والنظام والتعاون في المجتمع الانساني .

واذا كنا نعيش اليوم في عالم شديد التعقيد في أوضاعه ومراميه السياسية والاجتماعية والاقتصادية بطبعه تقدم العلم والتكنولوجيا ، وتشعب اسباب الحياة ووسائلها ومظاهرها ، مع تطاحن المذاهب الفكرية وتضاربها ، فان النظام الخلقي في الاسلام لا يزداد الا جدة ونضارة فتتأكد الحاجة الى الاخذ به وانتهاج مسلكه وترسيخ قواعده لمجابهة الالحاد الذي تفشى ولتجنب الاضطرابات الاجتماعية والنفسية والفكرية التي تسود الآن كثيرا من المجتمعات الانسانية .

ومن هنا تطرح بالحاح مسألة تجديد المفاهيم بما يتفق مع تعاليم الاسلام السمحة وانه لمن الخطأ الذي يجب تجنبه أن يدعو البعض الى تجديد الدين الاسلامي كي يصبح ملائما لهذا العصر المضطرب الذي تعرفه وتعيشه . ان الاسلام لا يحتاج الى تجديد ، انما يجب أن تجدد مفهومنا له ونقوم فهمنا لحقائقه ومغازيه ومقاصده . فالاسلام جديد لا يبلى مع الزمن لانه دين العقل والفطرة والنظام ، انما يبلى أتباعه بتخليهم عن تعاليمهم وخوضهم فيما لا يرضى الله والرسول . وقد قال الشيخ محمد عبده : « الاسلام محجوب باهله » فعلينا ان نرفع هذا الحجاب عن الاسلام بتجديد انفسنا ، وتطهير عقولنا وقلوبنا .

لقد توصل أحد فقهاء القانون في الغرب ، بعد طول البحث والدراسة ، الى أن كل تشريع وضعه البشر لعصر ما لا يصلح بالضرورة لعصر آخر ، ودعا الى الجد في البحث عن دستور يلائم كل حضارة ، وهذا الدستور الذي يبحث عنه الفلاسفة وعلماء القانون والمفكرون المعاصرون لن يكون سوى التشريع الاسلامي الذي يستمد وجوده من الكتاب والسنة والاجماع ، ذلك ان أصول التشريع الاسلامي وحي من الله ، وقد انفرد الاسلام بين الاديان السماوية الاخرى بأن شرع للناس نظاما قانونيا وخلقيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا توبما مصادره الكتاب والسنة والاجماع ، وباب الاجتهاد فيه مفتوح. واذا كان الهدف الاساسي لكل تشريع هو البحث عن العدل ، كما يقول فقهاء القانون ، فان العدل هو محور التشريع الاسلامي ، وانه العدل يتوقف على رسوخ الاخلاق التي شرعها الله لعباده كما يتوقف على حسن تطبيق الاحكام الشرعية ، وذلك اقصى ما يمكن أن يطمح اليه البشر .

ان رسالتنا الى الانسانية جمعاء هي الاسلام بصفائه ونقاوته ، ففيه وحده خلاص البشرية مما تعانيه الآن من اضطرابات وما يهددها من اخطار بسبب هذه المذاهب الالحادية والمادية التي أخذت بها كثير من الامم فاصبحت مصدرا لتعاستها وخوفها وضلالها رغم ما تملكه من أسباب القوة المدمرة والقنى المفرط .

ان الاسلام هو سبيلنا الى العزة والعيش الكريم ، ففي رحابه أمننا وسلامنا ووحدة صفوفنا ؛ وفي تعاليمه هدايتنا ونجاحنا في أعمالنا ، وهو رسالتنا الى الانسانية اذا كنا نحرص على أن تكون لنا في هذا العالم رسالة . فلنعمل بهدي القرآن والسنة ، ولندع الى الاستمساك بهما ما استطعنا .

محمد العربي الخطابي

القاضي أبو بكر بن العربي

(468 - 543 هـ)

الأستاذ سعيد أعراب

ومن بينهم :

18 — أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي الامام الحافظ الضابط المتقن ، سمع من ابن العربي عند اجتيازه بسبتة ، وكتب عنه — كما يقول — فوائد حديثية ، وتناوله كتاب المؤتلف والمختلف للدارقطني ، وحدثه بكتاب الاكمال لابن ماكولا ، وقرأ عليه مسألة الايمان اللازمة من تأليفه ، وأجازه جميع مروياته ، وسمع منه بإشبيلية وقرطبة ، وحدث عنه بالرباعيات المروية عن البخاري (ت 544 هـ) (42) .

19 — أبو اسحاق ابراهيم بن يحيى بن الأمين من أهل قرطبة ، كان من أهل الضبط والاتقان ، والتقدم في صناعة الحديث . (544 هـ) (43) .

20 — أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن أحمد العاصي الفهمي من أهل المرية ، يعرف بابن أبي زيد ، كان عالما بالعربية واللغة والادب ، مع الاتصاف بالفضل والصلاح . (ت544 هـ) (44)

21 — أبو عبد الرحمان مساعد بن أحمد بن مساعد الاصبحي ، ويعرف بابن زعوقة من أهل أوريولة. حج سنة (549 هـ) ، وزى عن كبار المشايخ، تساوى بلقائهم مشيته (ت 545 هـ) (45) .

22 — أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عمروس بن أب من أهل ثلب ، قرأ التلقين على ابن العربي في مجلس واحد ، وبقراءته سمع أبو بكر بن خير ، وذلك في سنة (532 هـ) ، كان فقيها مشاورا حافظا - (ت 546 هـ) (46) .

23 — أبو عبد الله محمد بن يحيى العاصمي الانصاري من أهل المرية — عمل بلنسية ، سمع من ابن العربي - وأجاز له سنة (522 هـ) ، تصدر ببلده (ت 547 هـ) (47) .

24 — أبو العباس أحمد بن حسن بن سليمان بن ابراهيم من أهل بلنسية ، سمع من ابن العربي وأكثر عنه ، وكان من أهل الفقه والمعرفة بعقد الشروط ، والعناية برواية الحديث . (ت 547 هـ) (48) .

---

42) الغنية — مخطوط خاص ، وانظر في ترجمته — التعريف لولده ابي عبد الله ، وأزهار الرياض لابي العباس المقري 31/1 .
43) بغية الملتمس 223 ، المعجم 63 — 64 .
44) بغية الملتمس 90 ، التكملة 160 ، بغية الوعاة 64 .
45) بغية الملتمس 461 ، المعجم 204 ، نفح الطيب 644/2 .
46) بغية الملتمس 326 ، التكملة 831 ، بغية الوعاة 278 .
47) التكملة 196 .
48) التكملة 56/1 طبع مصر وانظر الذيل والتكملة 91/1 .

25 ـ أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن سعيد من أهل دانية ، ويعرف بابن غلام المرسى، كتب اليه ابن العربى ، وكان أماما فاضلا ، صاحب ضبط واتقان . (ت 547 هـ) (49) .

26 ـ أبو الحكم عمرو بن زكرياء بن بطال الهوانى من أهل لبلة ، ولى القضاء والخطبة ببلده (ت 549 هـ) (50) .

27 ـ أبو محمد عبد الله بن يحيى الانصارى من أهل لرية ـ عمل بلنسية ، كان له اعتناء بالحديث . (ت 550 هـ) (51) .

28 ـ أبو الوليد محمد بن عبد الله بن خيرة من أهل قرطبة ، كان من احفظ الناس للرأى ، مع المشاركة فى الادب ، والفنن فى المعارف . (ت 551 هـ) (52)

29 ـ أبو العباس أحمد بن معد بن عيسى التجيبى ، المعروف بابن الاقليشيى ، كان عالما عاملا . (ت 551 هـ (53) .

30 ـ أبو يونس مغيث بن يونس الانصارى ، المعروف بابن الصفار ، من أهل قرطبة ، وكان فقيها مشاورا . (ت 552 هـ) (54) .

31 ـ أبو العرب عبد الوهاب بن محمد بن أحمد بن غالب التجيبى البلنسى ، سمع ببلنسية من ابن العربى ـ ولعله عندما قدمها غازيا سنة (522 هـ) ، وكان عارفا بالفقه ، بصيرا بعقد الشروط. (ت 552 هـ) (55) .

32 ـ أبو عبد الله محمد بن صاف بن خلف الانصارى من أهل أوريولة ، ولى قضاء بلده . (ت 552 هـ) (56) .

33 ـ أبو بكر محمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ للخمى من أهل اشبيلية ، ويعرف بالفلنتى ، كان أماما فى صناعة الاقراء، عالى الرواية، استوطن غاسا ، واقرأ بمسجد الحوراء منها . (ت 553 هـ) . (57)

34 ـ أبو الحسن محمد بن عبد العزيز بن واجب القيسى ، ولى القضاء بقسطنطانية وغيرها من الجهات الشرقية . (553 هـ) (58) .

35 ـ أبو حفص عمر بن محمد بن واجب القيسى البلنسى ، كان فقيها حافظا للمسائل ، بصيرا بالاحكام مشاورا . (557 هـ) (59)

36 ـ أبو القاسم خلف بن محمد بن خلف بن فتحون من أهل أوريولة ، له رواية واسعة ، وعناية كاملة . (ت 557 هـ) (60) .

37 ـ أبو بكر محمد بن ابى بكر بن ابى الخليل التميمى من أهل المرية ، يعرف بابن ولم ، كان من أهل الفهم واليقظة ، مشاركا فى الادب وعقد الشروط، ولى قضاء بعض جهات شاطبة . (557هـ) . (61)

38 ـ أبو بكر محمد بن عبد الله بن سيدانة التجيبى، من أهل شاطبة ، كتب اليه ابن العربى ، وكان

---

(49) التكملة 193 ـ 195 ، شجرة النور الزكية 142 .
(50) التكملة 693 .
(51) التكملة 473 .
(52) المعجم 172 ـ 174 ، شجرة النور 143 .
(53) الذيل والتكملة 1 ـ ق 543/2 ، بغية الوعاة 171 ، شجرة النور 154 .
(54) بغية الملتمس 455 . المعجم 204 .
(55) الذيل والتكملة للمراكشى 94/5 .
(56) المعجم 175 .
(57) التكملة ص 206 ، غاية النهاية 242 .
(58) التكملة 207 ، شجرة النور الزكية 134 .
(59) التكملة 655 شجرة النور الزكية 135 .
(60) المعجم 84 .
(61) التكملة 210 .

عارفا بالاخبار ، حافظا لاسماء الرواة . (ت 558 هـ) (62) .

39 — ابو علي حسين بن محمد بن حسين الانصاري، من اهل طرطوشة سمع الحديث عن ابن العربي، وتصدر للاقراء (63) .

40 — ابو عبد الله محمد بن عتيق ، من اهل المرية ، لقي ابا بكر وسمع سباعياته (64) .

41 — ابو القاسم عبد الرحمان بن محمد النفطي ، ويعرف بابن الصائغ ، رحل حاجا ، فلقي جماعة من الشيوخ ، وولي الصلاةوالخطبة بتوزور (65)

42 — ابو مروان خطاب بن احمد بن موسى بن خطاب الغافقي من اهل مولة — عمل مرسية ، رحل الى قرطبة فسمع بها من ابن العربي — ايام انتقاله اليها من اشبيلية ، عني بالرواية وسماع الحديث وكان فقيها مشاورا ، كتب بخطه علما كثيرا (66)

43 — ابو بكر عبد الرحمان بن احمد بن يحيى الثقفي، من اهل مرتسطة ، سكن قرطبة وكان من اهل العناية بالرواية ، حسن الخط ، معروفا بالاتقان والضبط (67) .

44 — ابو عبد الله محمد بن علي بن خلف المحاربي، من اهل غرناطة ، سمع من ابن العربي عند اجتيازه بغرناطة ، وكان من اهل العناية بالرواية (68) .

45 — ابو محمد عبد الله بن محمد الصنهاجي ، ويعرف بابن الاشيري ، رحل الى الاندلس فسمع من ابن العربي ، وكان فاضلا ثقة . (ت 561 هـ) (69) .

46 — ابو الحجاج يوسف بن نتوح القرشي المعروف بالعشاب ، من اهل المرية ، شوور ببلده ، نزل فاسا ، وحدث بها . (ت 562 (70) هـ) .

47 — ابو بكر محمد بن شريح بن محمد بن شريح ، من اهل اشبيلية ، سمع من ابي بكر بن العربي وصحبه في وجهته الى المغرب ، وكان من نبهاء بلده ووجوههم ، والمتقدمين فيه بذاته ونسلته . (ت 563 هـ) (71) .

48 — ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن عبادة الانصاري ، من اهل جيان ، كان مقرئا ماهرا فاضلا معدلا ، يشارك في الحديث والمسائل . (ت 564 هـ) (72) .

49 — ابو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة ، من اهل مرسية ، سكن شاطبة ، ثم رحل الى قرطبة، وبها سمع من ابن العربي ، كان عارفا بالسنن والآثار ، مشاركا في علم القرآن وتفسيره ، حافظا للفروع ، بصيرا باللغة والغريب . (ت 566 هـ) (73) .

50 — ابو بكر عبد الرحمان بن احمد بن ابراهيم بن ابي ليلى الانصاري ، من اهل مرسية ، كان عدلا خيارا ، عارفا بالنقل ، موصوفا بالاتقان وصحة التقييد ، بضاعته جمع الآثار ، مع مشاركة في الادب وغيره . (ت 566 هـ) (74) .

---

62) التكملة 211 .
63) التكملة ص 26 .
64) التكملة 182 .
65) معجم اصحاب الصدفي 249 ، معجم البلدان 296/5 .
66) التكملة 42 .
67) التكملة 563 .
68) التكملة 190 .
69) التكملة 528 .
70) المعجم 331 .
71) التكملة 218 .
72) التكملة 22 ، غاية النهاية 162/2 .
73) البغية 142 ، الديباج 287 ، شجرة النور 149 .
74) المعجم 252 .

51 ــ ابو عبد الله بن احمد بن سعيد بن موجال ، من اهل بلنسية ، انتقل الى اشبيلية قبل سنة (530 هـ) . فنزلها ، وكان فقيها حافظا ، حتى جعل ابو بكر بن الجد يغض من مكانه ، ويفض في شانه ، وكان ابن العربي يثني عليه ، وهو احد اصحابه الموثرين لديه . (ت 566 هـ) (75) .

52 ــ ابو بكر محمد بن عبد الله بن ميمون العبدري ، من اهل قرطبة ، وكان متقدما ، في اللسان حافظا . (ت 567 هـ) (76) .

53 ــ ابو محمد عاشر بن محمد بن عاشر الانصاري ، الينانشتي ، سكن شاطبة ، وكان فقيها حافظا للمسائل . (ت 567 هـ) (77) .

54 ــ ابو بكر يحيى بن محمد بن هانيء التغلبي الغرناطي ، سمع من ابن العربي وحج سنة (530 هـ) ، واكثر من السماع ، واوطن اوريولة وولي خطبتها . (ت 567 هـ) (78) .

55 ــ ابو الحسن علي بن عبد الله بن خلف الانصاري ، المعروف بابن النعمة ، من اهل المرية ، سكن بلنسية ، سمع من ابن العربي عند مقدمه على بلنسية غازيا سنة (522 هـ) بعد ان اجاز له ، ولي خطة الشورى ، ثم الصلاة والخطبة . (ت 567 هـ) (79) .

56 ــ ابو عبد الله محمد بن عبد الرحيم محمد بن فرج الانصاري الخزرجي ، ويعرف بابن الفرس ، من اهل غرناطة ، شيوخه نيف وثمانون ، من اعلامهم ابو بكر بن العربي وآخرون . (ت 567 هـ) (80) .

57 ــ ابو زكرياء يحيى بن محمد بن عبد العزيز بن عقال الفهري البلنسي ، كان فقيها حافظا مفتيا ، قائما على المدونة والعتبية ، قدم للشورى ببلده . (ت 567 هـ) (81) .

58 ــ ابو العباس احمد بن عبد الرحمان الانصاري ويعرف بابن الصقر ، اشتهر بالفقه والادب ، مع نباهة القدر ، وبراعة الخط ، ولي قضاء اشبيلية . (ت 569 هـ) (82) .

59 ــ ابو عبد الله محمد بن عبيد الله بن خليل القيسي من اهل لبلة ، كان من اهل الرواية والدراية ، نزل مدينة فاس ، ثم انتقل الى مراكش واقرا بها . (ت 570 هـ) (83) .

60 ــ ابو القاسم محمد بن ابراهيم بن خيرة ، ويعرف بابن المواعيني ، من اهل قرطبة سكن اشبيلية ، عني بالادب ، وكتب للولاة . (ت 570 هـ) (84) .

61 ــ ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد يعرف بابن الفاسل ، من اهل غرناطة ، كان مقرئا فاضلا ، ومحدثا حافلا ، حسن الخط ، جيد الضبط ، وكان لا يزال على قيد الحياة سنة (570 هـ) (85) .

62 ــ ابو عبد الله بن محمد بن سهل الضرير ، من اهل غرناطة ، ويعرف بوجه نانخ ، اجاز له ابن العربي ، وكان من اهل المعرفة الكاملة بالعربية والآداب والتقدم في ذلك . (ت 571 هـ) (86) .

---

75) المعجم 237 ، النفح 158/2 .
76) التكملة 229 ، شجرة النور 149 .
77) الذيل والتكملة 5 ــ ق 99/1 ، الحلل المستدسية 282/3 .
78) التكملة 724 .
79) المعجم ، غاية النهاية 553/1 ، بغية الوعاة 61 ، 62 .
80) البغية المعجم 185 ، شجرة النور 150 .
81) التكملة 723 .
82) التكملة 276 ، الديباج 286 ، شجرة النور 151 .
83) المعجم 188 .
84) التكملة 233 ، شجرة النور 151 .
85) التكملة 235 ، شجرة النور 151 .
86) التكملة 849 .

63 ــ ابو مروان مالك بن عبد الرحمان التشيرى ، من اهل اشبيلية ــ فيما يظنه ابن الابار ، وكان فى عداد الادباء ، النبهاء الحفاظ الايقاظ (87) .

64 ــ ابو عبد الله محمد بن احمد بن هاشم السبتى متاديا بالعربية ، قائما عليها (88) .

65 ــ ابو الوليد محمد بن عريب بن عبد الرحمان ، من اهل سرقسطة سكن مرسية ، وتصدر للاقراء بشاطبة ، وولى بها الصلاة والخطبة (89) .

66 ــ ابو الحسن عبد الرحمان بن احمد بن محمد بن مخلد الغرناطى ، فقيه مشاور ، عريق فى المجد والنباهة . (ت 573 هـ) (90) .

67 ــ ابو جعفر احمد بن الحسن بن محمد التشيرى ، من اهل قرطبة ، ويعرف بابن صاحب الصلاة ، كان من اهل الحديث والاتقان (91) .

68 ــ ابو عبد الله محمد بن احمد بن امجاهد ، من اهل اشبيلية ، لازم ابا بكر بن العربى مدة ، ثم تخلف عنه ، لاتصاله بالسلطان ، ــ كما اشرت الى ذلك سابقا . وكان ابن المجاهد ممن يشار اليه من وقته بالصلاح والورع والعبادة ، مع الحفظ الوافر للسنته والقراءات وغير ذلك . (ت 574 هـ) (92) .

69 ــ ابو عبد الرحمان محمد بن عبد الرحمان القيسى ، من اهل مرسية ورئيسها ، اجاز له ابن العربى ، وكان يذهب فى جميع ما يحمله الى الدراية وادراكه بقراءته . (ت 574 هـ) (97) .

70 ــ ابو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة ، من اهل اشبيلية ، لازم العربى وسمع منه كثيرا ، واشرنا سابقا الى انه اخذ عنه ما يفيف على (125) كتابا ، اوردها باسانيدها فى فهرسته .

وكان مقرئا مجودا ضابطا ، محدثا جليلا ، متفننا اديبا ، نحويا لغويا ، واسع المعرفة . (ت 575 هـ) (94) .

71 ــ ابو عبد الله محمد بن عياض اليحصبى السبتى ، دخل الاندلس وسمع من ابن العربى ، واجاز له ، تولى قضاء دانية وغرناطة ، وكان من الفقهاء النبهاء . (ت 575 هـ) (95) .

72 ــ ابو حفص عمر بن عبد الرحمان بن عذرة الانصارى ، من اهل الجزيرة الخضراء ، كان فقيها مشاورا ، تولى قضاء بلده وقضاء سبتة . (ت 576 هـ) (96) .

73 ــ ابو جعفر عبد الرحمان بن احمد الازدى ، من اهل غرناطة ، ويعرف بابن القصير ، كان وجيها فى بلده ، بضاعته الحديث ، كثير العناية بالرواية . (ت 576 هـ) (97) .

74 ــ ابو محمد عبد الله بن مغيث الانصارى من اهل قرطبة ، يعرف بابن الصفار ، ولى قضاء الجماعات بقرطبة (ت 576 هـ) (98) .

75 ــ ابو القاسم بن عبد الملك بن بشكوال الانصارى من اهل قرطبة ، كان متسع الرواية ، شديد

---

87) التكملة 390 .
88) التكملة 370 .
89) المعجم 187 .
90) شجرة النور 152 .
91) التكملة 74/1 طبع مصر .
92) التكملة 240 .
93) التكملة 238 ، شجرة النور 152 .
94) التكملة 240 ، الديباج 289 .
95) التكملة 371 .
96) التكملة 656 ، شجرة النور 153 ، وفى الديباج انه توفى سنة (596 هـ) وله تصحيح .
97) التكملة 228 .
98) المعجم 221 ، شجرة النور 154 .

العناية بها ، ومر أن ابن العربي ولاه قضاء بعض الجهات اشبيلية (ت 578 هـ) (99) .

76 ــ أبو الحسن محمد بن عبد العزيز الغافقي ، ويعرف بالشتوري ، من أهل قرطبة ، كان حافظا لاخبار الاندلس ، معنيا بصناعة الحديث ، رحالة في سماعه مميزا لرجاله بصيرا بطرقه ، حافظا متقنا لهذا الشأن ، ولي قضاء شقورة بلده . (ت 579 هـ) (100) .

77 ــ أبو الحجاج يوسف بن ابراهيم العيدري ، المعروف بالشقري ، يروي عن ابن العربي ، قال ابن الابار : وروايته عنه صحيحة . (ت 579 هـ) (101) .

78 ــ أبو الحسن سليمان بن احمد بن سليمان اللخمي الاشبيلي ، سمع من أبي بكر بن العربي صحيح مسلم ، وكان مقرئا نحويا ، ضابطا مجودا (102).

79 ــ أبو زيد عبد الرحمان بن عبد الله بن احمد الخثعمي السهيلي من أهل مالقة ، كف بصره وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان من أهل الرواية والدراية ، عالما بالقراءات واللغات وضروب الآداب ، حافظا للسير والاخبار والانساب (ت 581 هـ) (103) .

80 ــ أبو العباس احمد بن محمد بن عبد الله الانصاري، ويعرف بابن اليتيم ، أجاز له ابن العربي ، وكان حافظا حافلا ، عارفا بالقراءات ، مشاركا في الحديث والعربية . (ت 581 هـ) (104) .

81 ــ أبو القاسم عبد الرحمان بن أيوب بن تمام الانصاري ، من أهل مالقة ، كان عالما بالعربية واللغة والآداب ، وكانت له مشاركة في الفقه والحديث . (ت 581 هـ) (105) .

82 ــ أبو عبد الله محمد بن جعفر الاموي ، من أهل بلنسية ، تولى قضاء بلده (ت 581 هـ) (106) .

83 ــ أبو بكر محمد بن عبد الرحمان بن أبي العافية الازدي ، من أهل غرناطة ، ويعرف بالكتندي ، كان اديبا ، كاتبا شاعرا . (ت نحو 583 هـ) (107) .

84 ــ أبو الحسن علي بن احمد بن علي القريشي ، ويعرف بابن لبال ، ولي قضاء بلده ، وكان من أهل الورع والعدالة . (ت 583 هـ) (108) .

85 ــ أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله ابن حبيش ، من أهل المرية ، رحل الى قرطبة فسمع بها من أبي بكر بن العربي ــ أيام انتقاله اليها بعد نكبة القضاء ــ وكان حظيا لديه ، ينزل معه في بيته ، وقد سمعه يوما يذكر الانصراف الى وطنه (المرية) فقال له : ما هذا القلق ؟ لتم حتى يكون لك في رحلتك عشر سنين كما كان لي ، كان عالما بالقرآن ، اماما في الحديث ، عارفا بعلله ، واقفا على أسماء رواته ونقلته ، مع صحة الضبط والاتقان لما قيده ، والصدق والثقة فيما رواه (ت 584 هـ) (109) .

86 ــ أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد العزيز اليحصبي ، من أهل قرطبة ، أجاز له أبو بكر بن

---

99) التكملة 487 ، شجرة النور 154 .
100) التكملة 55 ــ 58 .
101) التكملة 246 .
102) التكملة 706 ، غاية النهاية 311/1 .
103) التكملة ص 570 ، وفي البغية ص 304 ــ ان النفح 401/4 .
104) التكملة 673 ، وانظر غاية النهاية 121/1 .
105) التكملة 572 ، بغية الوعاة ص 298 .
106) التكملة 255 .
107) التكملة 252 ، بغية الوعاة 65 .
108) التكملة 683 .
109) بغية الملتمس 340 ، التكملة 573 ، غاية النهاية 378/1 ، بغية الوعاة 301 .

وفاته كانت سنة (583) ومثله للمقري في

العربي . وكان موصوفا بالحفظ والمشاركة في الادب مع العبادة والتواضع (ت. 584 هـ) (110) .

87 ــ أبو الحسن عبد الرحمان بن أحمد بن عبد الرحمان ابن ربيع الاشقوري ، من اهل قرطبة ، يعرف بابن ابي ، كان شيخا جليلا ، معنيا بصناعة الحديث وروايته ، ، حدث الناس عنه وولي القضاء باستجة (ت 585 هـ) (111) .

88 ــ ابو القاسم عبد الرحمان بن محمد بن غالب الانصاري من اهل قرطبة ، ويعرف بالشراط ، كان عارفا بالقراءات وطرقها ، راسا في تجويدها واتقانها ، اسمع الحديث ، وعلم بالعربية والادب. (ت 586 هـ) (112) .

89 ــ أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن الجد ، الفقيه الحافظ المستبحر ، من اهل اشبيلية ، سمع على ابن العربي جامع الترمذي وقدم للشورى مع أبي بكر بن العربي ونظرائه من الفقهاء سنة (521 هـ) ، وتمادى على ذلك نيفا وستين سنة ، في ازدياد سمو الرتبة واطراد تمكن لحظوة لدى الملوك . (ت 586 هـ) (113) .

90 ــ ابو عبد الله محمد بن مالك الغافقي ، من اهل مرسية ، ويعرف بالمولى ، لقي ابا بكر بن العربي وسمع منه مسلسلاته ، وكل روايته عنه . كان فقيها على مذهب مالك بصيرا به ، ولي قضاء بعض الجهات الشرقية . (ت . 586 هـ) (114) .

91 ــ أبو بكر عبد الرحمان بن محمد بن مغاور السلمي، من اهل شاطبة ، بقية مشيخة الكتاب ، وجلة الادباء المشهورين في الاندلس ، مع الثقة وصدق اللهجة . (ت 587 هـ) (115).

92 ــ ابو العباس أحمد بن محمد بن خلف الحوفي ، من اهل اشبيلية ، ولي قضاء بلده مرتين ، وكان حسن السيرة ، شديد البأس على اهل الشر والدعارة . (ت 588 هـ) (116) .

93 ــ ابو عمران موسى بن حجاج بن ابي بكر الاشيري مسكن تدلس ــ عمل بجاية ، رحل الى الاندلس فسمع من ابي بكر بن العربي في سنة (535 هـ) عني بالرواية اتم عناية ، لكنه كان عديم الضبط ، وقد اخذ الناس عنه . (ت 580 هـ) (117) .

94 ــ أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسعود التجيبي من اهل اشبيلية ، كان من اصحاب ابن العربي ومختصا به ، وكان يجلس لعقد الشروط في الجانب الشرقي في جامع اشبيلية (118) .

95 ــ ابو العباس أحمد بن عبد الله بن سابق ، من اهل اشبيلية ، كان موصوفا بالفضل والصلاح (119) .

96 ــ ابو محمد عبد الله بن خلفه المحاربي ، حدث الناس عنه ، ووصفوه بالصلاح (120) .

97 ــ أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن بونة العبدري من اهل مالقة ، ويعرف بابن البيطار سمع من ابن العربي ، واجاز له مؤلفاته . (ت 590 هـ) (121) .

98 ــ ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن خلف الانصاري من اهل مالقة ، ويعرف بابن الفخار ، سمع من ابن العربي واكثر عنه واختص به ، وكان صدرا

---

110) التكملة 252 .
111) التكملة 576 .
112) التكملة 577 ، غاية النهاية 379 .
113) البغية 188 ، التكملة 258 .
114) التكملة 260 .
115) المعجم 254 ، زاد المسافر 37 .
116) التكملة 87/1 ــ طبع مصر .
117) التكملة 378 .
118) التكملة 492 .
119) التكملة 87/1 ، طبع مصر .
120) التكملة 493 .
121) التكملة 262 .

في حفاظ اهل الاندلس ، متقدما في ذلك ، معروفا بسرد المتون والاسانيد ، مع معرفته بالرجال وذكر الغريب ، استدعي لحضرة السلطان بمراكش ليسمع عليه . (ت 590 هـ) (122) .

99 — ابو الوليد زكرياء بن عمر بن احمد الانصاري ، من اهل قرطبة ، يروي عن ابن العربي ، وكان ذا حظ من الفقه والادب . (ت 590 هـ) (123) .

100 — ابو عبد الله محمد بن احمد السلمي ، ويعرف بابن عروس ، كان من اهل التجويد والضبط والثقة ، مع الفضل والصلاح . (ت 590 هـ) (124) .

101 — ابو بكر يحيى بن عبد الجبار المالقي ، المعروف بالابار ، ولي قضاء بلده ، وكان جزلا في احكامه ، مهيبا ورعا ، فقيها بصيرا بالشروط . (ت 590 هـ) (125) .

102 — ابو الحسن نجبة بن يحيى بن نجبة الرعيني ، من اهل اشبيلية ، وكان اماما في العربية والقراءات ، مقدما في ذلك مع المشاركة في الحديث (ت 591 هـ) (126) .

103 — ابو محمد عبد الله بن محمد بن علي الحجري ، لقي ابن العربي بقرطبة وسمع منه ، وجل روايته عنه ، ويقال انه قرأ عليه اكثر من مائة كتاب ، استوطن سبتة ، وشدت الرحال اليه . (ت 951 هـ) (127) .

104 — ابو محمد عبد الله بن محمد بن فليح القصري — (نسبة الى قصر عبد الكريم) — بشمال المغرب ، رحل الى الاندلس فسمع من ابن العربي وجماعة من الشيوخ ، ولي قضاء بلده ، وكان حيا سنة (591 هـ) (128) .

105 — ابو محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم ابن الفرس الانصاري ، من اهل غرناطة فقيه مشاور ، مع المشاركة في القراءات وعلوم الحديث (ت 592 هـ) (129) .

106 — ابو العباس احمد بن عبد الرحمان بن محمد ابن مضاء اللخمي ، من اهل قرطبة ، سمع من ابن العربي باشبيلية بعد سماعه منه بقرطبة ، كان من ائمة العربية ، مع مشاركة في فنون جمة . (ت 592 هـ) (130) .

107 — ابو محمد عبد الله بن احمد بن جمهور القيسي من اهل اشبيلية ، كان رجلا صالحا فاضلا ، (ت 592 هـ) (131) .

108 — ابو اسحاق ابراهيم بن يوسف بن ادعم الوهراني ويعرف بابن قرقول ، كان رحالة في طلب العلم حريصا على لقاء الشيوخ ، فقيها نظارا ، اديبا حافظا ، بصيرا بالحديث ورجاله . (ت 596 هـ) (132) .

109 — ابو القاسم محمد بن علي الهمداني ، من اهل وادي آش ، ويعرف بابن البراق ، كتب اليه ابو بكر بن العربي ، وكان محدثا ضابطا ، اديبا ماهرا ، مشاركا متفننا في معارف شتى . (ت 596 هـ) (133) .

---

221) بغية الملتمس . 46 ، التكملة 63 ، تذكرة الحفاظ 1355 ، شذرات الذهب 303/4

123) التكملة 72 .

124) التكملة 263 ، غاية النهاية 81/2 .

125) التكملة 726

126) التكملة 423 ، غاية النهاية 334/2 .

127) البغية 325 ، التكملة 494 — 497 ، شذرات الذهب 307/4 .

128) التكملة 529 .

129) التكملة 651 ، غاية النهاية 471/1 .

130) التكملة 89/1 طبع مصر جذوة الاقتباس 71 بغية الوعاة 139 الاعلام لعباس بن ابراهيم 93/1 .

131) التكملة 498 .

132) الذيل والتكملة 177/4 ، جذوة الاقتباس 86 ، والرسالة المستطرفة 118 .

133) البغية ص 103 ، التكملة 271 ، زاد المسافر 109 .

110 — ابو عبد الله محمد بن الحسن بن ابراهيم الانصاري ، المعروف بابن بداوة ، سمع من ابي بكر المسلسلات من جمعه ، وكان من ابرع الناس خطا ، واجودهم ضبطا . (ت 598 هـ) (134) .

111 — ابو الحسن علي بن عتيق الغرطبي ، شيوخه يفيتون على (150) شيخا ، وكان بصيرا بالقرآن والحديث . (ت 598 هـ) (135)

112 — ابو العباس يحيى بن عبد الرحمان بن عيسى الغرطبي ، ويعرف بالمجريطي ، ولي قضاء جيان ومرسية وغرناطة ، ثم قرطبة ، وكان ممدودا في رجالها ، وذوي النباهه فيها ، مع اجزالـــه والعدالة وايثار الحق . (ت 598 هـ) (136) .

113 — ابو الحسن عقيل بن محمد بن احمد الخولاني الباجي، ويعرف بابن العقل، تصدر للاقراء بشلب وخطـب بهـا (137) .

114 — ابو محمد عبد الله بن اسماعيل بن فرج بن الزهري بن العطار الاودي ، من اهل سرقسطة ، سكن قرطبة ، وكان شديد العناية بلقاء الشيوخ والرواية عنهم (138) .

115 — ابو محمد عبد الله بن اسماعيل بن مفرج بن سعادة ، من اهل اشبيلية ، نزل تلمسان ، سمع من ابن العربي ، واجاز له مؤلفاته ، كان مقرئا فاضلا ، محدثا ضابطا (ت 600 هـ) (139) .

116 — ابو علي الحسن بن علي بن خلف الاموي من اهل قرطبة ، سكن اشبيلية ، وكان ميالا الـى الادب ، خطب ببعض جهات اشبيلية . (ت 602 هـ) (140)

117 — ابو زيد عبـد الرحمان بن محمد بن يحيـى الغماري ، من اهل الجزيره الخضراء ، واصله من بلاد غمارة بشمال المغرب ، روى عن ابي بكر بن العربي واستظهر عليه موطا مالك واجاز له ، وكان من الحفاظ اهل العلم والعمل ، كف بصره وهو ابن اثنتي عشرة سنة حدث الناس عنه ، وسمعوا عليه الموطا بلفظه ، وكان يوردها من حفظه ويقول : هكذا كنت اعرضه على ابي بكر بن العربي . توفي سنة اثنتين او ثـــلاث وستمائـــة (141) .

118 — ابو العباس احمد بن محمد بن احمد بـن مقدام ارعيني من اهل اشبيلية ، كان من الادب والزهد بمكان ، اخذ الناس عنه كثيرا . (ت. 604 هـ) (142) .

119 — ولعل آخر من حدث بالسماع عن ابن العربي ، ابو بكر محمد بن علي بن عبد الرحمان بن حسنون الحميري الكتامي ، من اهل بياسة ، تولى قضاء بلده ، وكان صاحب الصلاة والخطبة بها ، تصدر للاقراء والسماع حياته كلها ، وكان مقرئا جليلا ، ماهرا ضابطا مجودا ، عالي الرواية ، عمـر واســن حتـى ضعـف عـن الكتابـة . (ت 604 هـ) (143) .

120 — وآخر من حدث عنه بالاجازة ، ابو الحسن علي بن احمد بن عيسى الغافقي الشنتوري نزيل قرطبة ، اجاز له ابن العربي سنة (539 هـ) رحل الناس للاخذ عنه لعلو سنده ، وكان ثقة صالحـا . (ت 616 هـ) (144) .

---

(134) التكملة 275 ، الذيل والتكملة 159/6 .
(135) التكملة 674 ، غاية النهاية 1/
(136) التكملة 726 .
(137) التكملة 694
(138) الذيل والتكملة 181/4 — 182 .
(139) التكملة 284 .
(140) التكملة 20 .
(141) التكملة 581 .
(142) غاية النهاية 104/1 ، شذرات الذهب 12/5 .
(143) التكملة 289 ، شجرة النور الزكية 136 .
(144) التكملة 677 ، شجرة النور الزكية 136 .

وقد الف ابن الابار معجما فى اصحاب ابن العربى على غرار معجمه فى اصحاب الصدفى ، والاسف ان هذا المعجم ، يعتبر مفقودا الى الآن .

ومهما يكن فان هذه الجمهرة من مشاهير تلامذته والوفرة الكاثرة من اصحابه ، تدلنا على مدى سعة شهرته فى الآفاق ، وبعد مكانته العلمية التى سرت

وغربت ، مما اثار ضغينة الحاقدين والقاصرين عليه ، وكانى به — وهو يردد مع ابى الطيب المتنبى :

ازل حسد الحساد عنى بكبتهم
فانت الذى صيرتهم لى حسدا

نالى ان نلتقى به فى معركة حامية الوطيس مع نقهاء عصره ، — فى عدد قادم بحول الله .

تطوان — سعيد اعراب

● اقرأ فى العدد السادس بحول الله :

صفحة من تاريخ
العلاقات المغربية الجزائرية

يكتبها شاعر المغرب العربى الكبير :
الأستاذ مفدي زكريا

على هامش الاجتماع الأخير لوزراء خارجية الدول الاسلامية :

لماذا "السارية المغمول"

للأستاذ أحمد زياد

انعقد أخيرا — كما هو معلوم بمدينة طرابلس — الاجتماع الدوري لوزراء خارجية الدول الاسلامية حيث تبودلت الآراء واتخذت القرارات والتوصيات التي تمس مواضيع مختلفة من شؤون العالم الاسلامي على مختلف الاصعدة والدرجات ، وكلما التأم جمع من هذا القبيل او ندوة من الندوات التي تعنى بشؤون هذا العالم في شتى الميادين الا ووجد المجتمعون انفسهم امام تحديات لا بد وان يواجهوها اليوم منلما ما واجهوها بالامس القريب والبعيد ، واذا كان البعض من هذه التحديات ينتمي الى خارج العالم الاسلامي فان البعض منها — ولعله الاهم — ينبع من داخل العالم الاسلامي نفسه ومن قلب مجتمعاته ، وعلى مستوى قيادته ووجهته واساليب مسيرته ، في عالم يعوج ويموج وعلى التوالي بأنواع من التحديات.

فمنذ ما يزيد على اربعين سنة أصدر المرحوم المجاهد الامير شكيب أرسلان ، كتيبه الصغير في حجمه الضخم بمضمونه : «لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم » .

والامير شكيب أرسلان كان رحمه الله عبارة عن موسوعة علمية كما تشهد على ذلك تعاليقه وشروحه التي أصبحت تفوق النص والمتن في كتاب « حاضر العالم الاسلامي » للكاتب العربي عجاج نويهض ، ومؤلفه المفيد الشيق والممتع « الحلل السندسية» وذلك بالاضافة الى ثقافته الاجنبية الواسعة التي فتح بها واجهة اخرى في جبهات نضاله وكفاحه عن طريق اصداره مجلة « الامة العربية » في سويسرا باللغة الفرنسية ، وهو نضال وكفاح تحتم علينا خصلة الوفاء بهذه المناسبة الاعتراف لصاحبه بحظ المغرب الوافر منه ، ذلك ان الامير شكيب أرسلان رحمه الله كان في طليعة الزعماء والمفكرين الذين وقفوا الى جانبنا بالمؤازرة والمناصرة خلال محنة لظهير البربري وما تلاها من خلفيات.

وينطلق جولة الامير على سؤاله العريض في ان الاسلام دين حضارة وتطور واشراق وهو وحده الدين الذي يستطيع ان يكبح جماح التقدم المادي حتى لا ينقلب الانسان الى آلة صماء لا تختلف عن الالات الاخرى التي يصهرها الحديد وتصوغها المصانع والمعامل ، فهو دين التوجيه والتهذيب والتفسح الفكري والتطور الحضاري بقدر ما هو عبارة عن تعاليم تتآلف وتتآلف كذلك من الانضباط الذي يتسم بالحزم والصرامة حيال كل هفوة غريزية تستدرج الانسان نحو أعراف الحيوان وعوائد الغابات .

ولهذا فان الاسلام لم يعد في حاجة الى الاشادة بمبادئه والتفاخر بها والاستشهاد بآراء جوستاف لوبون وبرناردشو الا بر لندى وجوته الالماني وكارليل الانجليزي وغيرهم من الكتاب والمفكرين الاجانب الذين تعطفوا مع الاسلام كمبدا وعقيدة .

ولقد تعلمنا نحن قبل ، وعلمنا ابناءنا فيما بعد « ان المرء من يقول ها انذا ، وليس المرء من يقول كان ابي » .

ولئن كانت الاربعون سنة او تزيد التي اصبحت تفصلنا عن صدور كتيب الامير شكيب ارسلان وسؤاله العريض : « لماذا تاخر المسلمون وتقدم غيرهم » قد جد جد ما جد فيها من حوادث واحداث وملابسات ومعطيات جغرافيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا فان ذلك السؤال العريض ما يزال مطروحا لحد الآن وحتى هذه الساعة .

والواقع انه منذ عهد المصلح ابن تيمية الى عهد عبد الرحمن الكواكبي مرورا بجمال الدين الافغاني ومحمد عبده ، والوضع في العالم الاسلامي موضوع اخذ ورد تتوالى نقط عديدة من علامات الاستفهام حول ما يئن تحت وطاته هذا العالم من متناقضات وعراقيل ومعوقات كان من شانها ان حالت فيما بينه وبين تحقيق التوازن بين كميته العددية وسعة رقعته الجغرافية وامكانياته المادية ، وبين دوره كقوة عالمية على المستوى الدولي كان ولا بد من ان يكون لها تاثير يتناسب مع كميتها العددية وسعة رقعتها الجغرافية وامكانياتها المادية .

ومع ما فتىء يطرا على العالم الاسلامي من تبديل وتغيير في ملامحه جغرافيا واجتماعيا واقتصاديا فان « لماذا » هذه التي كادت ان تصبح تقليدية تظل سارية المفعول ، فلماذا ظلت ولماذا هذه موضوعة على الساحة الاسلامية وسارية المفعول ؟ لقد قيل فيما قيل وروى فيما روى ان الشاعر الالماني جوته اطلع على ترجمة ببعض آيات من القرآن الكريم ثم عقب بقوله : « اذا كان هذا هو الاسلام فهؤلاء المسلمون ليسوا بمسلمين ، واذا كان هؤلاء هم المسلمون فليس هذا هو القرآن » .

وسواء صحت هذه القولة ام لا ، فان مشكلة السلوك في العالم الاسلامي وخصوصا على مستوى القيادات الاسلامية هي التي تكون المعضلة المتاصلة والآفة المزمنة فيما عاناه ويعانيه العالم الاسلامي من بسطة في الكم وانخفاض في الكيف وضعف في التاثير والنفوذ كانت حصيلته ما تعرض وما يزال العالم الاسلامي يتعرض له من مكايد وتآمر واضعاف واستضعاف .

على انه اذا كان لرواسب الصليبية والهيمنة الاستعمارية ادوارها المباشرة والغير المباشرة في تقليص الوجود الاسلامي على الساحة العالمية بكيفية لا توازي حجمه على الرقعة الجغرافية ، فان مسؤولية السلوك الاسلامي على المستويين القيادي والجماهيري تبقا لذلك لا ينبغي التغاضي عنها فبالاحرى اعمالها او محاولة اخفائها والتستر عنها لمجرد ارضاء نزعة « الكبرياء العاطفي » الصرف ، بل انه يصح القول ان هذا الكبرياء العاطفي يكون في حد ذاته جانبا من جوانب السلوك الاسلامي الذي لا بد وان يوضع خطه في مسؤولية الضعف والاستضعاف ، وفي ديمومة « لماذا » التي ما تزال سارية المفعول ، ومن غير ما ان نتعمق في عهود الماضي وسنواته وما تعاقب خلالها من تطور سلبيا وايجابيا على العالم الاسلامي . فانه يحسن حصر معضلة السلوك الاسلامي في مرحلته الحالية التي هي بدون شك تنتمي بحكم هويتها الى ما سبقها من مراحل اخرى .

ان العالم الاسلامي ما يزال مصنفا في بلدان ما اصطلح على تسميته بالعالم الثالث ، مع انه من حيث قوته العددية واستراتيجية الجغرافية وامكانياته من المواد الاولية يمكن ان يكون قوة ثالثة عظمى ، وبمثل اقل تعقيدا واكثر بساطة فان عدد المسلمين في العالم يساوي سبعمائة مليون واليه تنتمي معظم بلدان منظمة الاوبيك التي تقبض بناصيه الطاقة في العالم كله بينما تنتمي اليه بلدان اخرى تمتلك مادة الفوسفاط والاورانيوم وغيرها من المواد الاولية هذا العالم بقضه وقضيضه وبعدده الضخم ورقعته الجغرافية الممتدة عبر الكوكب الارضي ما يزال عاجزا عن تحقيق حقه المشروع في استعادة مسجد الاقصى في القدس .

كما انه ما يزال غير قادر على استعادة ما انتزع من اراضيه في فلسطين المحتلة

وبالمقابل فان عدد اليهود في العالم كله لا يتعدى ثلاثة عشر مليونا ونصف المليون لا يوجد في فلسطين منهم سوى مليونين بينما هم مقطعون ـ بلغة القرآن ـ في الارض امما ، ستة ملايين في الولايات المتحدة ومليونان ونصف في الاتحاد السوفياتي في حين ان فرنسا والمملكة المتحدة تقتسم فيما بينهما مليونا ونصف المليون منهم .

ويجب التنبيه على اننا لا نرمي من وراء ضرب هذا المثل الى غاية دينية او عرقية ، ذلك اننا نرفض ان نضع ما يسمى بالنزاع العربي الاسرائيلي في مثل هذا الاطار ولسبب بسيط هو : انه لا عصبية في الاسلام ، ثم انه اذا لجانا الى هذه المقارنة فلانها اقرب في فهم معضل « لماذا » تاخر المسلمون وتقدم غيرهم ، لماذا هو مردود ثلاثة عشر مليون ونصف المليون اكثر على الساحة العالمية تاثيرا ونفوذا من مردود 700 مليون مسلم وملايين اخرى من العرب ؟ مع ان المسلمين هم الذين يقول قرآنهم الكريم : ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكون منكم الف يغلبوا الفين» ، لماذا ؟؟

ان القرآن حينما نعت العشرين الذين يغلبون المائتين بالصابرين ، لم يكن يقصد مجرد المدلول اللغوي لكلمة « الصابرين » بل كان يعني بعدها الخلقي والسلوكي ، فالصبر هنا يرادف الاستقامة التي تعني فيما تعنيه من مفاهيم : التضامن والتكافل والتلاحم ، والتضامن والتكامل والتلاحم هي خصائص لا ينبغي لها ان تكون مجرد شعارات وقواعد ودعاءات ، بل يجب ان يشخصها سلوك اسلامي يشقيه الروحي والمادي على السواء ، الروحي الذي يجسم « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

والمادي الذي لا يقوم على مجرد قاعدة « المصالح المشتركة » التي كان تشرشل يقيم بها العلاقات فيما بين الدول فيقول : « ليست هنالك صداقات دائمة ، ولا عداوات دائمة وانما هي مصالح دائمة» .

الاسلام لا يعر فيما بين اهله المصالح الدائمة ، وانما هو يوصي بعلاقات الاخوة والتماسك والتكامل ، وبلغة العصر يوصي بعلاقات التخطيط المشترك والتكامل الاقتصادي والمواقف الموحدة التي لا تعتمد على مجرد المصالح ، وانما على اساس التعاطف الوجداني الذي هو وحده الكفيل بتحقيق عناصر القوة والمناعة والتوعة لكعبة العالم الاسلامي .

ولا يعيب المسلمين في شيء الاعتراف بما هو موجود في سلوكهم من اعوجاج هو في حاجة الى تقويم ، وانما العيب وكل العيب هو التقاضي والاهمال والانقياد لنزعة « الكبرياء العاطفي » ومن غير شك فانه قد آن الاوان لتغيير خطه التبشير بمبادىء الاسلام وتحويلها من مجرد نظريات تبرز محاسن الاسلام الى حركة تبشير وتوعية بالسلوك الاسلامي .

وبتقويم ما هو كامن فيه من اعوجاج ، ولن يتحقق هذا التحول الا بادخال اساليب عملية وفعالة على تكوين الانسان العربي في هذا العالم وطبقا لمقتضياته وظروفه وملابساته ، الانسان المسلم يحتاج الى تكوينه كفرد ، ثم الى تكوينه كجماعة وشعب وكمجموعه تربط فيما بين اجزائه روابط يومية لا روابط وقتية وموسمية في اغلب الاحيان . وكما ان مجرد النظريات المكتوبة والمدروسة لم تعد بكافية في تقوية ودعم الكيان الاسلامي على الساحة العالمية ، فان المؤسسات التي تستحدث من مؤتمرات وندوات ووكالات على اختلاف مهماتها لا تستطيع اداء مهمتها ما لم تعززها برامج عملية تتناول سلوك الفرد المسلم بداية من انتمائه العائلي الى انتمائه الاسلامي الممتد عبر هذا الكوكب الارضي .

واذا كان امرا حتميا على العالم الاسلامي الا يتقوقع على نفسه وينفتح على العالم كله لياخذ بالاسباب التقدم المادي فان هذا التطلع لا ينبغي له ان يجعل من الانسان المسلم مادة قابلة للذوبان في محيط هذه البيئة التقدمية ذات الاشعاع التكنولوجي الذي يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ، فليس بعزيز على العالم الاسلامي ان يبلور ما يكتسبه من معالم التقدم والتكنولوجية ويصبه في قوالب اسلامية منلما فعل اسلافه مع تراث الفرس واليونان والرومان ، على ان مفتاح السر لا يكمن فقط في اكتساب وسائل التقدم وانما يكمن قبل ذلك واكثر من ذلك في بناء الانسان العربي وتكوينه كفرد واسرة وشعب ليتكامل فيما بعد ذلك على الساحة الاسلامية الواسعة الارجاء ، وهو في وضع متماسك قوي يمكنه من مواجهة التحديات ومصارعتها بعقله وروحه وسلوكه الذي تنضبط فيه الاقوال بالافعال ، ومهمة تكوين كهذا يكاد من المستحيل ان يضطلع بمسؤولياتها الضخمة مجرد الوعظ والارشاد وخصوصا حينما ينسمان بالجمود والرهبانية التي لا محل لها من الاعراب بنص مبادىء الاسلام .

فالمدرسة والبيت والشارع والنادي وما يضبطها ويوثقها من برامج هادفة وواضحة هي التي تكون مجتمعة اصول تكوين الانسان المسلم ذلك ان كل انواع الانخفاض في مستوى الانسان الاسلامي

اجتماعيا واقتصاديا وفكريا تعتبر نتيجة حتمية لانعدام التخطيط والتوجيه بطرق جدية وأساليب جدية ، وسيظل السلوك القيادي على مستوى كافة المسؤوليات الموجهة في البلدان الاسلامية هو الاسوة الصالحة او الطالحة التي لا بد وان تكون لها انعكاساتها المباشرة وغير المباشرة على مستوى الجماهير الاسلامية ، وليس بالامر الجديد القول بأن اغلبية الدعوات الاصلاحية الرامية الى الرفع من شأن الاسلام والمسلمين كانت تهتم بالشكل اكثر مما تهتم بالجوهر ، كانت تغفل دور الانسان العربي كفرد في مجتمعه في حيزه الجغرافي المحلي وكامتداد للمجتمعات الاسلامية الاخرى التي تجمع فيما بينها هذه الروابط الروحية على اختلاف اسمائها .

وهكذا يبدو كيف ان بناء الانسان المسلم وتكوينه يعتبران اللبنة الاولى في صياغة مجتمعات اسلامية قادرة على مواجهة التحديات التي ما فتئت تطاردها وتصورها لبقية العالم على انها لا تزيد على كونها مجتمعات « كمية استهلاكية » وذلك بالرغم مما تتوفر عليه من امكانيات مادية وبشرية ، وبما ان الشيء بالشيء يذكر فانه لا بد من الاشارة الى ما ورد في الاثر من ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تناكحوا تناسلوا فاني مباه او مفاخر بكم الامم » ، ومن الخطأ البين والفادح الاعتقاد بان « المباهاة والمفاخرة » التي يعنيها هذا الاثر انما هي مباهاة ومفاخرة بالكمية العددية ، فبذا ما لم يقصده الحديث بكل قطع وجزم ، لان الاسلام في اول رسالته كان اولا وقبل كل شيء رسالة ترتكز على الكيفية اكثر مما ترتكز على الكمية ، وان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، تعني عشرين من الاكفاء لا مجرد عشرين من الكسالى المستهلكين الغير المنتجين .

فالاسلام دوما وابدا كان يقوم على اساس الكيفية والنوعية ثم العددية فيما بعد ذلك ، فابطاله البارزون في الحروب ومفكروه في مختلف ميادين العلوم والعرفان كانوا يرمزون الى مبدأ « الكيفية قبل الكمية » والمسلمون ساروا وتقدموا يوم ان كانوا منتجين ثم تخلفوا بعد ما اصبحوا مجرد مستهلكين وعدديين ، وهذه الحقيقة ستظل ثابتة وسيبقى حكمها هو القول الفصل الفاصل فيما بين حالتي التأخر والتقدم ، ولن تنمحي «لماذا» تأخر المسلمون وتقدم غيرهم السارية المفعول ، الا باستيعاب هذه الحقيقة والتسليم بها ودمجها دمجا في السلوك الاسلامي لتكيفه بكيفيتها وحتميتها .

وهذه الحقيقة الاصلية تتفرع عنها حقيقة اخرى وهي ان عالم اليوم عالم اقتصاد بالدرجة الاولى ، اقتصادي بكل ما يعنيه مدلول الكلمة من موارد اولية، وكفاءات بشرية ، وهذا الباب هو الذي يجب على العالم الاسلامي اقتحامه بثقة وتضامن وتخطيط ومعرفة ودراية قبل ذلك ، اذ هو باب المستقبل المتطور على الاقل ، ولن يعدم العالم الاسلامي الوسائل التي تمكنه من اخذ مكانته التي تناسب استراتيجيته الجغرافية وامكانياته المادية ثم قيمته العددية ، فهو يمتلك بالفعل اهم الوسائل ، الا انه لا بد من حسن تدبيرها ، ويبقى مبدأ التخطيط المحكم هو المفتاح الآخر الذي يكون معه العالم الاسلامي قد اتى البيوت من ابوابها . وهنالك نوعان من الامكانيات التي تجعل العالم الاسلامي مجهزا بما ينبغي لمواجهة استحقاقات النوع الاول هو الثروات الوطنية التي تتوفر عليها اراضيه وهذا النوع لا يكفي فيه ان يكون ملكا وثروة بل لا بد من توفر عنصر « حسن التدبير» الذي يعتبر بدوره جزءا لا يتجزأ من حسن السلوك الاسلامي المطلوب ، وهذا الشرط الاخير ، يندرج في خطة المراجعة الجذرية للمجتمعات الاسلامية على ضوء وضع جديد يكون من شأنه فرض الوجود الاسلامي على الساحة الدولية وبالتالي الاستماع الى رأيه بدون عدم مبالاة وبدون سخرية او ازدراء كما كان الشأن وما يزال .

وبما ان حسن تدبير أمر الثروات يقتضي اكتساب الخبرة والمهارة فان العالم الاسلامي مطالب بان يكتسب الخبرة والمهارة من اي كان مصدرها على اعتبار ان : « الحكمة ضالة المؤمن ينشدها حيث يجدها » الا انه لا ينبغي بأي حال من الاحوال أن يؤدي اكتساب الخبرة والمهارة الى نوع من التبعية الاقتصادية او الغزو الاقتصادي الذي يتقمص حللا تكنلوجية ، بل ويحسن في هذا الباب السير على نفس المنوال الذي سارت عليه اليابان في دربها الطويل لاكتساب الخبرة والمهارة وهو منوال يبقيث معه الشخصية اليابانية على شرقيتها وذاتيتها بعد ما تمكن اليابانيون من النجاح في عمليات الاقتباس والاستيعاب لمختلف انواع التكنلوجية كانت خاتمة المطاف فيها هي هذه المقدرة الانتاجية التي اصبحت اليابان تتمتع بها وتزهو بها حتى على اساتذتها ومجليها السابقين .

ونحن اذ نقوم بعملية مسح جغرافي وجيولوجي واقتصادي لبلدان العالم الاسلامي فاننا نخرج بالوقائع التالية :

اولا : ان العالم الاسلامي يتمتع عبر البحار القارات بمواقع استراتيجية ممتازة وحساسة في نفس الوقت .

ثانيا : ان بعض بلدانه تتوفر على ثروات ومواد اولية من بينها البترول الذي يتحكم الآن في تكييف الاقتصاد العالمي وتقرير مصيره .

ثالثا : ان العالم الاسلامي تتجاذبه تيارات مختلفة النزعات .

رابعا : ان اغلبية المجتمعات الاسلامية ما تزال تعاني من انخفاض تختلف درجاته .

ان تصنيف هذه النقط الاربع والربط فيما بينها وتحديد دور كل واحدة منها هي مضمون المخطط الذي سبق وان اشرت اليه ، وهو تخطيط يجري اعداده على مستوى كل بلد اسلامي على حدة ، ثم على مستوى البلدان الاسلامية كمجموعة . وانه لمما يبعث على الدهشة والاستغراب ان تتفق التكتلات في نطاق بلدان لا يجمع فيما بينها سوى روابط تاريخية قديمة مهلهة في اكثر جزء منها او مصالح اقتصادية متبادلة او ايدلوجيات حديثة في حين انها تتعدم او تكاد في نطاق العالم الاسلامي ، وحتى ولو وقعت فانها لا تتعدى عمليا اطارها العاطفي والشاعري الصرف ، في حين ان اصول الروابط في العالم الاسلامي تعتبر اجذر وامتن واشد استعداد وتلقائية من غيرها ومن اجل ذلك بقيت « لماذا » السارية المفعول هي هي .

ان في وسع العالم الاسلامي بحكم امكانياته الحالية ان ينصرف في النضال الى واجهتين التين وان يركز كل جهوده وطاقته في خنادقهما — ان صح هذا التعبير — ، الاولى : واجهة التنمية الاقتصادية على مستوى كل بلد اسلامي ، ثم على المستوى الاقليمي الجغرافي وبعد ذلك على مستوى العالم الاسلامي ككتلة ومجموعة ، وهي تنمية ستؤدي في خاتمة مطافها الى نوع من التكامل الاقتصادي العلمي الذي يزن المسافات قبل ان يشرع في الخطو عبرها . وعلى بلدان العالم الاسلامي ان هي ارادت ان تبدل بقية العالم نظرتها التقليدية اليها ان تخرج بالعنصر الاقتصادي في مخططاتها من « الاديبات والعنتريات » فلن تتفق الا على ما تستطيع انجازه وتنفيذه او على الاصح ما تسلم المقاييس العلمية من جهة والخصوصيات البيئوية والاجتماعية من جهة اخرى بصحته وسلامته .

اما الواجهة الثانية فهي واجهة الاعلام ، نعم الاعلام الاسلامي الذي يستطيع ان يخترق الحصار المضروب عليه من طرف خصومه واعدائه على السواء ، وانا لا اشك بانه قد اصبح في الامكان الآن استثمار البترودولار في وسائل الاعلام عبر مختلف انحاء العالم وفي مواقعه الستراتيجية بشكل خاص ، ان الحصار المضروب على العالم الاسلامي والعربي في الميدان الاعلامي وتقديم هذا العالم في صور مشوهة ومفرضة وحاقدة ومدسوسة على اقل تقدير ، وبالفلف تعمير ، تكون الحلقة الاولى في سلسلة تطويقه وخنقه ، كما ان خصوم العالم الاسلامي ومناهضي انبعاث قوته يستثمرون اموالهم في ميدان الاعلام العالمي بنفس الاهمية التي يستثمرون بها في مختلف الميادين الاقتصادية والتجارية ، ومعنى ذلك ان الظروف الحالية الدولية بكافة معطياتها تحتم على العالم العربي والاسلامي ان يتحارب بنفس الاسلحة التي تستخدم ضده والا بقيت « لماذا » تاخر المسلمون وتقدم غيرهم سارية المفعول .

فاذا سارت خطة التنمية الاقتصادية والتوعية الاجتماعية التي تكون قادرة على صياغة سلوك الانسان المسلم في قالب جديد ، وتكوينه روحيا وماديا في شكل متوازن مع تحقيق التكامل الاقتصادي فيما بين البلدان الاسلامية كلما توفرت العناصر العلمية لهذا التكامل .

اقول انه اذا سارت خطة التنمية هذه جنبا الى جنب مع ما يجوز تسميته «بالاستثمار والتوسع الاعلامي » فان الطريق سيصبح مفتوحا امام العالم الاسلامي وبكيفية علمية وعملية ، ليصبح قوة يحسب لها حسابها وتكون في نفس الوقت قادرة على القيام بدورها الحضاري والتاثير في مجريات الاحداث حتى لاتظل وسائل الاعلام المعاصرة تتحدث عن العالم الاسلامي وشؤونه اما باسلوب الف ليلة وليلة ، واما باسلوب الاستهانة بقوة هي موجودة حقا الا انها تعتبر متفتتة وغير قابلة للالتئام ، وعلى وسائل الاعلام الاسلامي ان تجعل من مهمة التبشير بالدعوة الاسلامية مهمة ترتكز على سلوك اسلامي متواز في قاعدته وقمته وفي اساليب تكوينه وتربيته .

ويومئذ قد يزول مفعول « لماذا » تأخر المسلمون وتقدم غيرهم الى ما تزال سارية المفعول الى يومنا هذا ومع ما يحز في النفس من اسى واسف وحسرات اتمنى ان يكون هذا اليوم قريبا وليس بالبعيد .

ومن الاكيد ان هذا اليوم لن يأتي الا اذا كيف المسلمون سلوكهم عمليا « لا كتابيا وشفاهيا » فقط بحكم الآيتين الكريمتين القائلتين : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

فبنيان الانسان المسلم بنيانا اجتماعيا رصينا ومتينا وباستثمار الثروات الوطنية وتوزيعها توزيعا عادلا ومتكاملها عبر الوطن الاسلامي الكبير .

وبتفرض الوجود الاسلامي الفعلي على طول الساحة الدولية وعرضها وبالوسائل التي ذكرناها نعما .

وبالانضباط الروحي الصقيل .

انه بكل ذلك وبما لا بد منه من ذلك نستطيع ان نعطي الحلول الصحيح والعلمي للآية الكريمة :

« كنتم خير امة اخرجت للناس » والا فستبقى « لماذا » التي وضعها الامير شكيب ارسلان منذ ازيد من اربعين عاما سارية المفعول .

الرباط : احمد زياد

من موضوعات العدد السادس

- ملامح من تطور المغرب العربي في بدايات العصور الحديثة : للاستاذ محمد المنوني
- الاسلام طوق النجاة من طوفان الانحراف المعاصر للاستاذ محمد العربي الزكاري
- الاختيار الديبلوماسي المغربي : للاستاذ زين العابدين الكتاني
- اضواء على عظمة بطل الاستقلال سيدي محمد الخامس : للدكتور عثمان عثمان اسماعيل

أبواب الموحدين برباط الفتح

للدكتور عثمان عثمان إسماعيل .

اولا : تطور بناء الاسوار والابواب عند الموحدين :

اسوار الموحدين :

فاذا بدانا بالاسوار نستطيع القول بان اسوار الموحدين قد نسجت على منوال الاساليب المرابطية من حيث البناء بقطع الحجر الكبيرة غير المنتظمة اى غير المنجورة تتخللها قطع مستوية من حين لآخر تنتظم بها سطوح المداميك ، الامر الذى شاهدناه فى قلعة آمرجو المرابطية من منتصف القرن السادس الهجرى .

ثم تلى ذلك استعمال الحجر غير المنجور بارتفاع قامة الرجل تبدا فوقه التابيه (البتن المغربى) الى نهايه علو السور المطلوب كما حدث فى اسوار شالة .

كما تتميز مرحلة ثالثة فى تاريخ بناء الاسوار عند الموحدين وهى مرحلة البناء بالتابية بعد زيادة نسبة الجير فى تركيبها ووصولها الى اكبر درجة من الصلابة فى تاريخ التابية المغربية ، وبهذا بنيت اسوار مراكش ومثلها اسوار رباط الفتح .

واصل التابية (BETON) المغربية التى يسميها الفرنسيون خطا (PISE) اى الطين ، من خصوصيات المعمار المغربى القديم وخاصة بالجنوب وتجهز التابية بخلط الحمرى والجير وعقاد الجير وكسرات الفخار والحجارة الصغيرة او الصم (البزلط) وتعجن بالماء وتخمر لمدة معلومة قبل صبها فى حواجز خشبية تقام فوق التخطيط الارضى وتحدد شكل وحجم الحائط المطلوب بناؤه .

وكل ما جاء به التطور الحديث فى التقنية المعمارية لا يتجاوز استبدال الحمرى بالرمل والجير بالاسمنت ثم اضافة الحديد فيما يسميه المعماريون بالبتن المسلح BETON ARMÉ وهكذا كانت التابية عبارة عن البتن المغربى القديم قبل دخول التسليح بالحديد فى العصر الحديث .

ان بحث الموحدين عن اساليب جديدة لتقوية صلابه التابية تكشف عن نواياهم العمرانية ورغبتهم الملحة فى سرعة الانجاز والاقتصاد فى النفقات مع الصلابة التى تقاوم الزمن فمما اقدموا على تشييده من اسوار وخدران وحصون ومؤسسات ضخمة .

الابـــواب :

وعلى الرغم من اتجاه الموحدين نحو بناء الاسوار بالتابية ، غير ان الابواب الموحدية حظيت دائما باستعمال الحجارة المنجورة (TAILLÉ) منتظمة الشكل .

وكانت الابواب فى العمارة البيزنطية عبارة عن فتحة فى الجدار ذات عقد امامى تجاه ظاهر المدينة وعقد آخر خلفى فى اتجاه مباشر نحو الداخل . وعندما

جاء المرابطون استعملوا هندسة لتحقيق الهدف الدفاعي الذي لم يكن كافيا في تصميم الابواب البيزنطية .

وانطلاقا من تلك الفكرة استفاد المهندسون في عصر الموحدين الذين ضاعفوا هذه الظاهرة لزيادة حجم العراقيل وتكرار مراحل المعوقات والعقبات في طريق المهاجمين ، وبهذا ابتكروا طريقة التخطيط ذي المنعطفات المرفقية المزدوجة الذي نراه اليوم في مجموعة مباني الموحدين الضخمة بابواب مدينة رباط الفتح (اللوحة 1) .

اللوحة رقم (1)

تخطيط اسوار رباط مدينة الفتح . وتظهر بالشمال الاعلى قصبة الودايا جنوبها (المدينة) ثم بقية تساع رباط الفتح واسوارها ومواقع الابواب الموحدية بها واسفل ذلك جنوبا نرى اسوار موقع شالة الاثرى التي تضم الروضة المرينية على جزء من رقعة مدينة شالة العتيقة .

ثانيا : ابواب الموحدين برباط الفتح :

المميزات العامة

الواقع ان القرن السادس الهجري قد اتحفنا بعدد وافر من الابواب الموحدية التي تدعو الى الاعجاب كباب الرواح وباب الودايا وباب الاحد وباب العلو وباب زعير بمدينة رباط الفتح بالاضافة الى باب اجناو بمراكش .

وتتركز قيمة تلك المجموعة من الابواب الضخمة التي تعكس لحسن الحظ الثراء المتنوع من حيث التخطيط والعمارة والتغطية والزخرفة ، في ابراز شخصية وعبقرية المهندس والبناء المغربي اكثر من اي عصر واثر سابق .

1/ بامعان النظر في التركيب الزخرفي لتلك الابواب الموحدية يتبين لنا بجلاء المصاهرة المتينة والعلاقة الوثيقة التي حققها الموحدون بشكل طبيعي مع هندسة المحاريب الاسلامية .

2/ ومن ملامح تلك المجموعة المعمارية نلاحظ ان الاطار المحيط بفتحة عقد الباب وزخارفه يزيد اتساعه عن ارتفاعه بالنسبة لما كان عليه سابقا) بحيث يكاد يكون الاطار مربعا تقريبا ابتداء من مستوى الارض الى قمة العقد .

3/ كما تتميز مجموعة
ابواب الرباط الموحدية
بفتحة رئيسية للقوس
ذات عقود متعددة متتالية
يغلق كل منها سابقه
لتحقيق غرض معماري
يهدف الى تخفيف الحمل
عن العقد الاصلي لقوس

فتحة الباب وهو العقد الذي تخلو صنجاته دائما من اي اثر للزخرفة (اللوحة 2) . على اننا نرى في

اللوحة رقم (2)

تفصيل الزخرفة المعمارية بباب الرواح ، وتبدو ظاهرة تتابع العقود بفتحة الباب والصنجات البارزة والعقد المزدوج المفصص والعنصر التعبانى عند منابت العقود والزخرفة الزهرية في البنيقات .

باب اجناو بمراكش اربعة صفوف متنايعه من العقود ذات الصنج، الاول والاخير متالقان من صنج متناوبة بروزا وتراجعا والثاني والثالث عقدان مفصصان .

4/ وينحصر شريط الكتابة العربية والزخرفية بباب الرواح وباب قصبة الوداية في الواجهات المطلة على ظاهر المدينة في مساحة ضيقة . بينما تزيد تلك المساحة في الواجهات المطلة على داخل المدينة انسجاما مع المساحة المتاحة في كل من الجهتين . لان واجهة المدخل الخارجية اقل اتساعا في المساحة بسبب حصر الواجهة الرئيسية للمدخل بين البروزين المحيطين بفتحة الباب بقصد زيادة الخطه الدفاعية في مقابلة اى هجوم خارجي ، في حين انه لا داعي مطلقا لوجود برجين يحيطان بالمدخل من الجهة الداخلية للمدينة الامر الذي اوجد مساحة فسيحة لشريط زخرفي عريض انتشرت فيه زخرفة المعينات المتجاورة (RESEAUX ALOSANGES (اللوحة 3)

اللوحة رقم (3)

الوجه الداخلي لباب الرواح شطر داخل المدينة ، وتتجلى سعة الشريط الزخرفي المحيط بجميع عناصر الباب وهو اوسع مساحة عن نظيره بالواجهة الخارجية للباب ، وهنا تظهر شبكة المعينات المتجاورة بالمساحة التي توفرت بعدم وجود ابراج حول الباب جهة المدينة .

5/ وجميع ابواب الرباط مداخل بارزة (MONUMANTAL) بمعنى وقوع فتحة الباب بين برجين ناتئين عن مستوى سور المدينة . وتتميز الابراج المحيطة بابواب الرباط بتخطيط مربع فيما عدا باب الاحد المتميز بالاركان على غرار باب شالة الغربي من عصر المرينيين .

(اللوحة 4 و اللوحة 5)

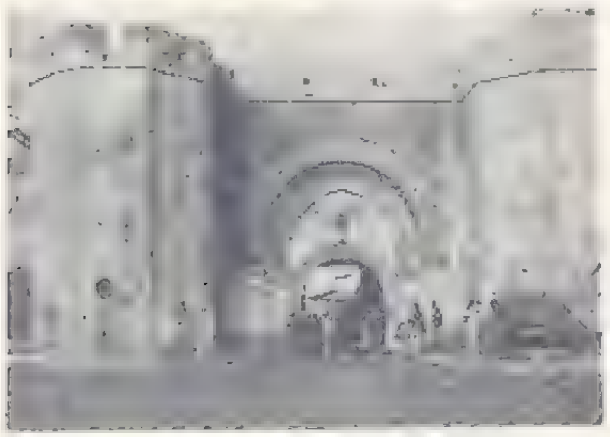

اللوحة رقم (4)

باب الاحد برباط الفتح ، مدخل بارز ولكن ابراج المدخل مستطوفة الاركان وليست مربعة التخطيط على النحو الذي نراه في باب الرواح وباب زعير وباب الوداية .

اللوحة رقم (5)

باب الرواح برباط الفتح ، الهيئة الخارجية وتخطيط لبرجين المربعين البارزين عن مستوى الاسوار وهو تخطيط وعمارة ما يعرف في العمارة الاسلامية الاثرية بالمدخل البارز .

6/ كما تشترك تلك المجموعة المعمارية في وجود العنصر النعباني)
عند منابت العقود واجهات الابواب ، وفي القسم العلوي فوق الاطار المربع المحيط بمجموعة عناصر الباب وسلسلة العقود يظهر بكل من ركني الواجهة كابولي (console) عبارة عن نتوء اسفل الشرفة تستند اليه ، ويحمل الكابولي عمود رقيق باعلاه تاج منقوش دقيق .

ثالثا : التاثيرات والاصول التاريخية للعناصر المعمارية والزخرفية :

1/ الصنجات البارزة (claveaux en Relief) بباب الرواح التي تصنع دائرة قوس العقد تذكرنا بالشرق حيث تقدم العمارة العصرية السورية امثلة مشابهة تنوعت فيها الوان المواد .)اللوحة 5)

2/ يعتقد جورج مارسي ان التركيب العام لابواب الموحدين ومحاريبهم يستمد اصوله من جامع قرطبة بالاندلس . ويقرر كريسويل ان المدخل البارز مسجد المهدية بافريقية (اللوحة 6) كان مصدر الابواب البارزة في عمارة العبديين بالقاهرة شرقا وعمارة الاسلام بالمغرب والاندلس غربا .

3/ تضاعف نظام الصنج ذات الفصوص يظهر بوضوح في الفن الفاطمي بافريقية ومصر دليل الاهمية التاريخية لدور الموحدين في الفتوحات الشرقية وتوثيق العلاقات الفنية واستلهام العناصر المعمارية والفنية التي بعثها الموحدون بالمغرب العربي والاندلس .

4/ في بتيقات الابواب (les écoincons)
تظهر زخرفة زهرية (Decor Floral)
تشبه الورقة النخيلية(سعف النخيل)تذكر بالبالمت (Palmette) القديمة ، ولكنها تبدو هنا بفصوصها الاشعاعية عنصرا نباتيا اسلاميا يذكر القوقعة (coquille) التي عرفها الفن الاسلامي منذ عصر الخلفاء .

5/ حالة الشطف الوحيدة في التخطيط الارضي لبرجي المدخل الظاهرة في باب الاحد تحول صيتة البرج الى الشكل المثمن بدل البدنه المربعة من كل

اللوحة رقم (7)

الزخرفة المعمارية لابواب الموحدين برباط الفتح ، ويظهر العنصر النعباني بوظيفته المعمارية والزخرفية حيث يشغل الفص الاول من عقد فتحة الباب ، وهو من العناصر الثابتة في الفن المغربي الى يومنا هذا وتراه في ضريح محمد الخامس بالرباط .

اللوحة رقم (6)

باب مسجد المهدية بافريقية (تونس) من عصر العبديين 303 هجرية وهو اصل المداخل البارزة التي ظهرت في الاسلام شرقا وغربا .

جانب ، وقد ظهرت هذه الظاهرة فيما بعد بعمارة الرباط في باب شالة الغربي الكبير من عصر المرينين ، وتذكر بشطف ركن واجهة المسجد الاقمر بالقاهرة من اواخر عصر الفاطميين التي وضح باعلاها مقرنص مقلوب يعيد المثمن الى مربع ، كمصدر مباشر لنظيره في باب شالة المريني .

6/ انتشار العنصر الثعباني او السنبر الملفوف Surprentiform (اللوحة 7) عند منابت العقود بابواب الموحدين كان تطورا لمثال اول Prototype) ظهر لاول مرة في فنون الزخرفة المغربية الاسلامية بجامع الجنائز بالقرويين بعد ان ظهر في المشرق بجامع الحاكم بالقاهرة 403هـ ثم في قلعة بن حماد بالقرن الخامس ثم مسجد تلمسان الجامع 530هجرية لكنه ظهر لاول مرة في القرويين لغرض معماري يهدف الى حمل منابت العقود .

رابعا : ملاحظات على التخطيط ووسائل التغطية المعمارية :

وسوف نبدأ اولا بالامثلة المبسطة لننتقل بعدها مع تطور التخطيط واساليب التغطية في عمارة الاسقف بصرف النظر عن ترتيب تلك الابواب في سلسلة التخطيط الدفاعي لاسوار المدينة .

بـــاب الاحـــد :

مدخل بارز (Monumental) تتميز من الظاهر بفكرة شطف الاركان (à pans coupés) في بدنتي الباب اي قصهما لتحويل التخطيط المربع الى مثمن كما نشاهد في باب شالة الغربي فيما بعد ، وهو المثال الوحيد المعروف بالمغرب . غير ان الشطف في باب الاحد لا يحمل مقرنصا مقلوبا فياعلاه لاعادة التخطيط المثمن الى تخطيط مربع في السطوح العليا وبهذا تضعف الاهمية الدفاعية في باب الاحد لعدم وجود مقرنص مقلوب يمكن من بروز المساحة العليا ويمكن المدافعين من استخدامها وسوف تتاكد فكرتنا هذه بضعف التخطيطات الدفاعية الاخرى في باب الاحد كما نرى فيما بعد في التخطيط العام .

وباب الاحد هو الباب الوحيد بالرباط البسيط في التخطيط . انه مدخل مباشر غير ملوى وغير مرفقي وتنحصر فتحته الرئيسية بين عقدين متتاليين فوقهما قبو نصف اسطواني يؤدي الى قاعة اولى فوقها قبو نصف اسطواني متقاطع بحيث تكون التغطية نتيجة تقاطع نصف برميل طولي فتحته الى اسفل مع نصف برميل آخر في نفس الوضع . ثم قاعة ثانية على نفس المحور تغطيها قبة BETON ARMÉ قائمة على مقرنصات ، الى جانب قاعة ثالثة مكشوفة الى يسار الداخل تمتد بطول القاعتين المتتابعتين . وتؤدي القاعة الثالثة الواقعة على محور المدخل والقاعة الاولى الى فتحة الباب الداخلية المؤدية الى داخل المدينة .

بـاب العلـــو وبـاب زعيـــر :

سنعرض الان دراسة تخطيط الابواب ذات المرافق متجهين من التخطيط البسيط الى المركب لنجد اول مراحله في ابواب ذات المرافق متمثلة في باب العلو وباب زعير .

مع ملاحظة ان المرافق في جميع تلك الابواب سواء ذات المرافق البسيطة او المركبة انما هي مرافق داخلية تقع ضمن حدود التخطيط الداخلي للابواب .

وقد اردنا التنبيه هنا الى تلك الظاهرة المبدئية حيث توجد ابواب ذات مرافق خارجية مثل باب عين الجنة باسوار شالة المرينية . والمرافق ليست ملحقات وانما هي جمع مرفق اي ساعد او كوع (Camp) فالمدخل الرفقي هو مدخل ملوى يسمى في الاصطلاح الانجليزي (Bent - Etrance) وفي الاصطلاح الفرنسي (Porte coudée)

وكل من باب العلو وباب زعير برباط الفتح مدخل بارز (Monumental) (اللوحة 8)

للـوحـة رقـم (8)

باب زعير ، من المداخل البارزة ضمن مجموعة الموحدين برباط الفتح .

ى ان فتحته الرئيسية
تنحصر بين برجين او
تومين عبارة عن برج من
كل جهة . وتصميم
البابين الخارجي
الخارجي وتغطيهما
الداخلي يسيران على نسق
واحد من حيث التخطيط
وعلى حين المعمارية
كذلك مع خلاف ضئيل
واحد نشير اليه اثناء
الوصف .

وكل من المدخلين عبارة عن فتحة رئيسية (بين البرجين) ذات عقدين يفتح احدهما على ظاهر المدينة والاخر يؤدى الى القاعة الاولى من التخطيط . وبين العقدين المذكورين يرتفع قبو نصف اسطوانى لتغطية المساحة بين العقدين وهى المساحة التى تتحرك فيها دفتا الباب . القاعة الاولى يغطيها قبو نصف اسطوانى ويليها كوع او لوية (Caup) تصنع حائطا مباشرا يواجه اى هجوم طارىء ويشكل عقبة فى طريق المهاجمين . وبعد الكوع نجد قاعة ثانية توصل عن طريق فتحة اخيرة الى داخل المدينة . هذه القاعة الثانية نجدها مكشوفة فى باب العلو ومغطاة فى باب زعير وهو الفرق الوحيد فى تخطيط وعمارة البابين .

باب الرواح :

وهو اكثر الابواب صمودا امام عوامل الزمن وتقلبات السياسة والحرب ومتطلبات الدفاع ، بهذا كان باب الرواح اكثر الابواب سلامة من احداث التاريخ . وعلى الرغم من ثرائه الزخرفى ، غير انه يعتبر اهم ابواب الرباط من حيث التخطيط اكثر من الزخرفة وذلك بتحقيقه لاغراض دفاعية ممتازة .

وكسوة الباب من الحجارة المنحوتة (Taillé) منتظمة الشكل وهو مدخل بارز (Manumental) تنحصر فتحته بين برجين مربعين . ولاتؤدى فتحة الباب الى داخل المدينة مباشرة الا بعد المرور من عائقين متتابعين او كوع مزدوج (Double) اى منعطف مرفقى مزدوج .

وبين فتحتى المدخل تجاه ظاهر المدينة حيث تتحرك دفتا الباب الخشبى مساحة يغطيها قبو نصف اسطوانى . ويؤدى هذا المدخل الى قاعة اولى تغطيها قبة اشعاعية ذات ضلوع تتفرع من المركز بقمة لقبة لترتكز فى النهاية على جوفات مقببة)مقرنصات تسمى فى المصطلح الانجليزى (Squinch وهو ادق من التعبير فى المصطلح الفرنسى (Pendentif وهذه الجوفات او المقرنصات يتكون كل منها من انصاف قبوات اسطوانية متعارضة محصورة داخل قوس يرسم حدود المقرنص المذكور (اللوحة 9)

اللوحة رقم (9)

باب الرواح ، القاعة الاولى بعد اجتياز فتحة الباب حيث نرى نوع التغطية المعقدة ، قبة اشعاعية فوق مقرنصات من انصاف قبوات متقاطعة .

وبمجرد الدخول من فتحة الباب الرئيسية الى القاعة الاولى يصطدم المهاجم بالعقبة الاولى اذ لايوجد باب او فتحة على محور المدخل الرئيسى ويضطر الى تغيير المحور والانحراف يسارا فى المنعطف الاول او الكوع الاول للوصول الى قاعة ثانية تغطيها قبة (Caupole) ؛ قائمة على مثلثات كروية ، وهى مقرنصات يتكون كل منها من مثلث يقتطع من جسم الكرة . وعلى نفس المحور الثانى وهو محور القاعة الثانية توجد قاعة ثالثة مكشوفة تمكن المدافعين من صب السوائل

وتوجيه السهام من جميع الجهات العليا المكشوفه (اللوحة 10) .

اللـوحـة رقـم (10)

باب الرواح ، القاعة الثانية بعد الانحراف المرفقي الاول او المؤية الاولى ، وتظهر القاعة الثالثة التى تغطيها قبة على مقرنصات ذات مثلثات كروية يعدها قاعة ثالثه مكشوفة ثم انحراف آخر الى اليمين للوصول الى القاعة الرابعة .

وبعد القاعة الثالثة يتغير المحور لمواجه المنعطف المرفقي الثانى وتضطر الى الانحراف يمينا لدخول قاعة رابعة ذات قبة قائمة على مقرنصات من المثلثات الكروية تؤدى الى فتحة الباب المطلة على داخل المدينة وفتحة الباب الاخير من قوسين بينهما قبو نصف اسطوانى فوق المساحة التى تتحرك فيها دفتا الباب .

بـــاب الودايـــا :

وعلى الرغم من شهره باب الرواح وما احتواه من وسائل معمارية واساليب دفاعية وجمال زخرفى ثم منظر فخم فريد استمده من موقعه العمرانى بالنسبة لرباط الفتح المعاصرة ، غير ان باب الودايا الذى يوجد اليوم منحازا نوعا عن الاضواء العصرية بانتقال العمران الضخم الحديث والمؤسسات الوطنية الكبرى بعيدة عن قصبة الودايا التواء الاولى لرباط الفتح ، ليعتبر من اروع ابداعات القرن السادس المعمارية العجيبة بما اشتمل عليه من تركيب هندسى متنوع وتعقيد معمارى متطور وتفنن فى وسائل الدفاع واساليب التغطية فضلا عن زخارفه الفنية التى كانت تجعل منه فى شباب رباط الفتح عندما كان العمران فى المهدية منزل عبد المؤمن قطب الرحى فى المنطقة (اللوحة 11) .

اللـوحـة رقـم (11)

باب قصبة الودايا التواء الاولى لمدينة رباط الفتح ، مظهر عام للمدخل البارز .

وباب الودايا مدخل بارز porte Monumentale
يحيط بفتحته الرئيسية بروزان او التواءان موربعان ، وقوس الفتحة عبارة عن عقد متجاوز منكسر او منفوخ منكسر المعروف بالفرنسية Fer A cheval Brisé
داخل عقد متجاوز مفصص (Iarbé Brisé)
(اللوحة 12) وبين فتحتى الباب حيث تتحرك المصراعان

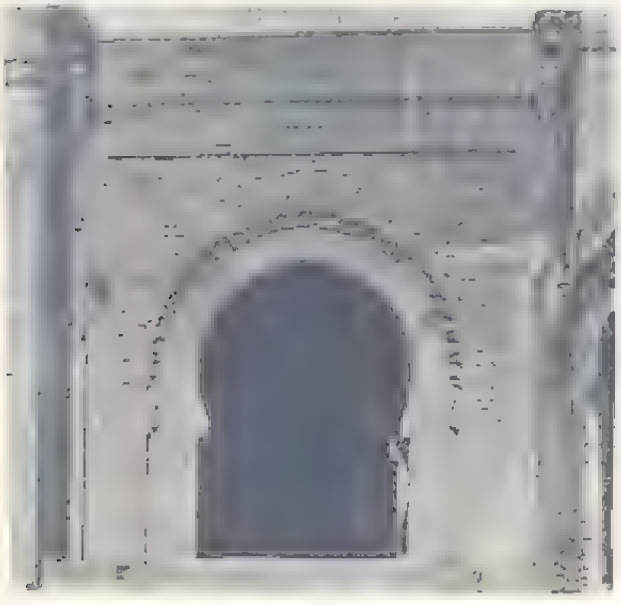

اللـوحـة رقـم (12)

باب قصبة الودايا ، تفصيل للعمارة والزخارف المعماريه .

غطاء نصف اسطوانى اى نصف برميل فتحته الى اسفل.

وعلى محور الفتحة الرئيسية تمتد ثلاث قاعات متتالية . وتلك القاعات ليست على مستوى ارضية واحدة اذ يتغير مستوى الارض من قاعة لاخرى مشكلا عقبة كاداء امام المهاجم المندفع من قاعة لاخرى بين طلام المعركة وغبار الالتحام .

وتغطى القاعة الاولى قبة ( ) قائمة على مثلثات كروية او جوفات مقوسة . وتختلف تلك المثلثات عن النظام الذى شاهدناه فى القاعتين الثانية والرابعة بباب الرواح ، فالمثلثات الكروية بالقاعة الاولى فى باب الودايا مقعوصة على نسق خاص يسمى فى فن المعمار المغربى مثمن بالدائرة.

Triangle Pendentive

وتغطى القاعة الثانية قبة تستند على مثلثات كروية Spherical كاملة تبدو شبه مقعوصة اذ ترتكز فى اسفليا على اطار قائم على قوقعة وزخرفة نباتية تكتمل بها الزاوية الدنيا للمثلث الكروى الذى تقوم فوقه القبة اللوحة 13). وبعد ذلك

اللوحة رقم (13)

باب قصبة الودايا ، التغطية المكونة من قبة قائمة على مقرنصات كروية مثلثة شبه منقوصة .

تاتى القاعة الثالثة والاخيرة التى يغطيها قبو نصف اسطوانى .

اما الكوع او الانحراف المرفقى فيتمثل فى وجود حائط مسدود اخير على نفس محور الباب الرئيسى بعد المرور وسط القاعات المذكورة فى عمق المساحة الداخلية ، بالاضافة الى ان الفتحات المؤدية الى داخل القصبة توجد فى القاعتين الوسطى والاخيرة بحيث يلزم الانحراف يمينا للولوج داخل القصبة ، ومن جهة اخرى فان المهاجم لا يتوقع وجود منفذين الى الداخل ولا ينتبه لتلك الخدعة حتى يجد نفسه مقسما بين المنفذين ليواجه امام كل منفذ دوة دفاعية كاملة ولعل ذلك العمق الكبير بطول القاعات الثلاث المتتالية المغطاة (اللوحة 14) حيث يرى المدافع خصمه

اللوحة رقم (14)

باب قصبة الودايا ، تفاصيل متنوعة لوسائل التغطية والتفنن فى تشكيل مراحل الانتقال العليا ، مع ملاحظة اختلاف المستويات الارضية لقاعات الباب الداخلية كعائق سرى للمهاجمين

اكثر مما يراه الخصم المندفع من النور الى الظلام ، لعل ذلك كله لا يعرف نظيرا آخر فى حمارة الابواب الدفاعية فى الاسلام .

دكتور عثمان عثمان اسماعيل

مدخل إلى الظاهرة القرآنية

للأستاذ محمود شاكر

تقديم الدكتور عبد السلام الهراس

الظاهرة القرآنية كتاب نفيس للمفكر الاسلامي الكبير المرحوم مالك بن نبي كتبه باللغة الفرنسية وصدرت طبعته العربية بمقدمة ضافية للاستاذ محمود شاكر، ويسر «دعوة الحق» ان تنشر مقدمة الاستاذ محمود شاكر مع توطئة للدكتور عبد السلام الهراس الذي عاشر المؤلف اثناء اقامته بالقاهرة واخذ عنه وكان اول من عرف بفكره في المغرب على صفحات هذه المجلة .

محمود شاكر ... شخصية فذة في ميدان الفكر والقلم والمواقف المشرفة ، وهو من اعلام تاريخنا المشرق الذين يلتزمون بميثاق شرف الكلمة لذلك اوقف حياته على احياء التراث الاسلامي والعربي تأليفا وتحقيقا وانشاء وتوجيها واشرافا وارشادا ، وحماية ودفاعا ، وهو رجل معارك وصراع لا يعرف للسكوت معنى ولا يلتمس لاصحابه ولا لنفسه عذرا اذا دعا واجب الجهاد والذود عن حرمة لغة القرآن وقيم الاسلام ، وقد عرف محمود شاكر باعراضه ، في اباء وشمم ، عن الاغراءات السخية والعروض الشهية موثرا السير في الموقف الذي اقتنع به والخط الذي التزمه رغم ما يحفه من ارهاب وتسلط ووعيد وما يجره عليه من عنت وارهاق وتنكيل .

واعداء الاسلام والعربية يحسبون لقلمه السيف حساب وقد اذاقهم به من الغصص والحنظل ما ارغمهم على الانزواء في جحورهم ملتجئين الى الانكباب على الدس والوقيعة والتآمر مع من يملكون السيف والسجن كما هي مواقفهم دائما من احرار الفكر واصحاب الكلمة المقدسة : كلمة الحق !

ولد الاستاذ الكبير محمود شاكر بالاسكندرية في 10 محرم سنة 1327 الموافق لفبراير سنة 1909 في جو علم وتقى ، وهو صعيدي مغربي الاصل قرشي النسب .

اجتاز المرحلة الابتدائية بالاسكندرية وانهى المرحلة الثانوية بالقاهرة وحصل على شهادة التوجيهي (الباكالوريا) شعبة العلوم ولكنه غير اتجاهه فالتحق بكلية الآداب عند ميلادها سنة 1926 درس على اهم اساتذة العصر ومنهم طه حسين وليللنو المستشرق الايطالي والشيخ مصطفى عبد الرازق ، واحمد امين ، وعبد الحميد العبادي ، ومن رفقائه الاول : محمد مندور ومحمد فؤاد حسين ، وخليل تامي ، والشيخ المكي الناصري والحاج احمد بنونة .

وقد أثرت قضية طه حسين في حياته تأثيرا كبيرا وهي الاساس الاول في تحويل اتجاهه ؛ وقد كان اول من تصدى لحواره والرد عليه داخل الجامعة وخارجها ؛ كما تأثر باتصاله بالكاتب الاسلامي الكبير مصطفى صادق الرافعي الذي رأى فيه صورة خالصة لمسلم القلب والنفس ومثال الكاتب الملتزم المجاهد.

ان شخصية محمود شاكر متعددة الجوانب لا تستطيع مئات الصفحات أن تفي بحقوقها ؛ انه شيخ مدرسة الاصالة والتجديد والاحياء والبعث ، وله فضل كبير على امتنا الاسلاميه بما قدم لها من خدمات جلى .

تعرفت على محمود شاكر انا واستاذي مالك ابن نبي خلال سنة 1957 ، في بيته بالقاهرة فرأيت كيف يعرف الرجال اقدار بعضهم وكيف يتجاوب ابطال المعركة عندما يتلاقون في ميدانها ، وكان لهذا التعارف دفع قوي وتأثير جميل في نشاط مالك بن نبي بما دعم به محمود اخاه ورفيقه في الجهاد وبما ساند به من تشجيع ادبي كبير كان له اعد الآثار في نشر وترويج مؤلفات مالك بن نبي في مصر وخارجها .

وفي بيت استاذنا محمود شاكر تعرفنا على شخصيات هامة وعلى طلاب نبغاء جاءوا جميعا يأخذون الادب والعلم من منابع صافية وغنية وعميقة ومخلصة .

وقد رغب مالك الى اخيه محمود شاكر أن يقدم له الترجمة العربية لكتابه « الظاهرة القرآنية » ولقيمة هذه المقدمة وحاجة طلاب الادب والبحث اليها وددت لو يبسط استاذنا محمود شاكر القول في بعض جوانبها الهامة وينشرها على حدة لتأخذ مكانتها ككتاب مستقل بين آثاره القيمة مثل :

1 ـ اباطيل واسمار

2 ـ المتنبي

3ـ القوس العذراء

وغير ذلك من مجهوده العلمي العظيم في ميدان التحقيق والكتابة . ومن الله كاتبنا الكبير واطال حياته في عافية وصحة وسلامة .

د. عبد السلام الهراس

هذا كتاب « الظاهرة القرآنية »

وكفى ، فليس عدلا ان اقدم كتابا هو يقدم نفسه الى قارئه . وبحسب اخي الاستاذ مالك بن نبي وبحسب كتابه ان يشار اليه وانه لعسير ان اقدم كتابا هو نهج مستقل . أحسبه لم يسبقه كتاب مثله من قبل ، وهو منهج متكامل يفسره تطبيق اصوله . كما يفسره حرص قارئه على تأمل مناحيه ، ولا اقول هذا ثناء ، فانا أعلم ان رجلا اثنى على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : « ويلك ! قطعت عنق صاحبك » ، قالها ثلاثا . ومالك أعز علي من ان اقطع عنقه بثنائي أو أهلكه باطرائي .

ولكن احسبني من اعرف الناس بخطر هذا الكتاب ، فان صاحبه قد كتبه لغاية بينها ، ولاسباب فصلها . وقد صهرتني المحن ، دهرا طويلا ، فاصطليت بالاسباب التي دعته الى اتخاذ منهجه في تأليف هذا الكتاب ثم افضيت الى الغاية التي ارادها ، بعد أن سلكت اليها طرقا موحشة مخوفة . وقد قرأت الكتاب وصاحبته ، فكنت كلما قرأت منه فصلا اجدني كالسائر في دروب قد طال عهدي بها ، وخيل الي أن مالكا لم يؤلف هذا الكتاب الا بعد ان سقط في مثل الفتن التي سقطت فيها من قبل ، ثم أقال الله عثرته بالهداية فكان طريقه الى المذهب الصحيح هو ما ضمنه كتابه من بعض دلائل اثبات اعجاز القرآن ، وانه كتاب منزل ، انزله الذي يعلم الخبء ، في السموات والارض ، وأن مبلغه الى الناس ، صلى الله عليه وسلم ، رسول صادق قد بلغ عن ربه ما امره بتبليغه ، وأن بين هذا الرسول الصادق وبين الكلام الذي بلغه حجازا فاصلا ، وان هذا الحجاز الفاصل بين القرآن وبين مبلغه ، حقيقة ظاهرة ، لا يخطئها من درس سيرة رسول الله فاحصا متأملا ، ثم درس كتاب الله بعقل يقظ غير غافل .

وهذا المنهج الذي سلكه مالك ، منهج يستمد أصوله من تأمل طويل في طبيعة النفس الانسانية ، وفي غريزة التدين في فطرة البشر ، وفي تاريخ المذاهب والعقائد التي توسم بالتناقض احيانا ، ولكنها تكشف عن مستور التدين في كل انسان . ثم هو يستمد أصوله من الفحص الدائب في تاريخ النبوة وخصائصها ، ثم في سيرة رسول الله ،

بأبى هو وأمى ، منذ نشأته الى أن لحق بالرفيق الاعلى . ثم فى هذا البلاغ الذي جاء ليكون بنفسه ، دليلا على صدق نفسه ، أنه كلام الله ، المفارق لكلام البشر من جميع نواحيه .

وفى خلال هذا المنهج يستطلع لك المحنة التي عاناها مالك ، كما عانيتها أنا ، وكما عاناها جيل من المسلمين فى هذا القرن . بل انك لتجد المحنة ماثلة فى « مدخل الدراسة » وهو الفصل الذى استفتح به كتابه ، حيث صور لك مشكلة الشباب المسلم المتعلم فى هذا العصر ، وما كان قاساه وما يزال يقاسيه ، من العنت فى ادراك اعجاز القرآن ، أدركنا برضاه ويطمئن اليه .

وهذا « العقل » الحديث الذى يفكر به شباب العالم الاسلامى ، والذى يريد أن يدرك ما يرضيه ويطمئن اليه من دلائل اعجاز القرآن ، هو لب المشكلة ، فان « العقل » هبة الله لكل حى ، ولكن أساليب تفكيره كسب يكتسبه من معالجة النظر ، ومن التربية ، ومن التعليم ، ومن الثقافة ، ومن آلاف التجارب التى يخياها المرء فى هذه الحياة . فينبغى ، قبل كل شىء ، ان ندبر امر هذا « العقل » الحديث فى العالم الاسلامى ، لان فهم هذا « العقل » ، هو الذى يحدد لنا طريقنا ومنهجنا فى كل دراسة صحيحة ، نجب ان نقدمها اليه حتى يطمئن ويرضى .

فمنذ اول الاسلام ، خاضت الجيوش الاسلامية معارك الحرب فى جميع انحاء الدنيا ، وخاض معها العقل الاسلامى معارك أشد هولا حيث نزل الانسان المسلم . وتقوضت اركان الدول تحت وطأة الجند المظفر ، وتقوضت معها اركان الثقافات المتباينة تحت نور العقل المسلم المنصور ، وظلت الملاحم دائرة الرحى قرونا متطاولة ، فى ميادين الحرب وميادين الثقافة ، حتى كان هذا العصر الاخير .

انبعثت الحضارة الاوروبية ، ثم انطلقت بكل سلاحها لتخوض فى قلب العالم الاسلامى ، اكبر معركة فى تاريخنا وتاريخهم . وهى معركة لم يحط بأساليبها وميادينها أحد بعد هذا العالم الاسلامى ولم يتقص أحد آثارها فينا . ولم يتكفل بدراستها من جميع نواحيه من يطيق ان يدرس ، ولست أزعم انى سادرسها فى هذا الموضع ، ولكن سادل على طرف منها ، ينفع قارىء هذا الكتاب ، اذا صمم عزمه على معاناة دراسة الحريص المتغلغل .

لم تكن المعركة الجديدة بين العالم الاوروبى المسيحى ، وبين العالم الاسلامى : معركة فى ميدان واحد . بل كانت معركة فى ميدانين : ميدان الحرب ، وميدان الثقافة . ولم يلبث العالم الاسلامى ان القى السلاح فى ميدان الحرب ، لاسباب معروفة . أما ميدان الثقافة ، فقد بقيت المعارك فيه متتابعة جيلا بعد جيل ، بل عاما بعد عام ، بل يوما بعد يوم . وكانت هذه المعركة اخطر المعركتين ، وابعدهما اثرا ، واشدهما تقويضا للحياة الاسلامية والعقل الاسلامى . وكان عدونا يعلم ما لا نعلم ، كان يعلم أن هذه هى معركته الفاصلة بيننا وبينه ، وكان يعلم من خباياها ما لم نعلم ، ويدرك من اسرارها ووسائلها ما لا ندرك . ويعرف من ميادينها ما لا نعرفه ، ويصطنع لها من الاسلحة ما لا نصطنع ، ويتحرى لها من الاسباب المفضية الى هلاكنا ما لا نتحرى او نلقى اليه بالا . واعانه وايده أن سقطت الدول الاسلامية جميعا هزيمة فى ميدان الحرب . فسقطت فى يده مقاليد أمورها فى كل ميدان من ميادين الحياة ، وصار مهيمنا على سياستها واقتصادها وصحافتها ، اى سقطت فى يده مقاليد التوجيه الكامل للحياة الاسلامية ، والعقل الاسلامى .

وميادين معركة الثقافة والعقل ، ميادين لا تعد ، بل تشمل المجتمع كله فى حياته ، وفى تربيته ، وفى معايشه ، وفى تفكيره ، وفى عقائده ، وفى آدابه ، وفى فنونه ، وفى سياسته ، بل كل ما تصرح به الحياة حياة انسانية ، كما عرفه الانسان منذ كان على الارض . والاساليب التى يتخذها العدو للقتال فى معركة الثقافة ، أساليب لا تعد ولا تحصى ، لانها تتغير وتتبدل وتتجدد على اختلاف الميادين وتراخيها وكثرتها . واسلحة القتال فيها أخفى الاسلحة ، لان عقل المثقف يتكون يوما بعد يوم ، بل ساعة بعد ساعة ، وهو يتقبل بالتربية والتعليم والاجتماع ، اشياء يسلمها بالالف الطويل ، وبالعرض المتواصل ، وبالمكر الخفى ، وبالجدل المضلل ، وبالمراء المتلون ، وبالهوى المتغلب ، وبضروب مختلفة من الكيد الذى يعمل فى تحطيم البناء القائم ، لكى يقيم العدو على انقاضه بناء كالذى يريد ويرجو .

وقد كان ما أراد الله أن يكون ، وتتابعت هزائم العالم الاسلامي في ميدان الثقافة جيلا بعد جيل ، وكما بقيت معارك الحرب سجالا سرا مكتوما لا يتدارسه قادة الجيوش الاسلامية وجندها حتى هذا اليوم ، بقيت أيضا معارك الثقافة على تطاولها ، سرا خافيا لا يتدارسه قادة الثقافة الاسلامية وجندها بل اكبر من ذلك : فقد أصبح أكثر قادة الثقافة في العالم الاسلامي وأصبح جنودها أيضا ، تبعا يأتمرون بأمر القادة من أعدائهم ، عارفين أو جاهلين انهم هم أنفسهم قد انقلبوا عدوا للعقل الاسلامي الذي ينتسبون اليه ، بل الذي يدافعون عنه احيانا دفاع غيرة أو اخلاص .

لم يكن غرض العدو أن يقارع ثقافة بثقافة ، أو أن ينازل ضلالا بهدى ، أو أن يصارع باطلا بحق ، أو أن يمحو أسبابا ضعف بأسباب قوة ، بل كان غرضه الاول والاخير أن يترك في ميدان الثقافة في العالم الاسلامي ، جرحى وصرعى لا تقوم لهم قائمة ، وينصب في ارجائه عقولا لا تدرك الا ما يريد لها هو ان تدرك ، ولا تبصر الا ما يريد لها هو أن تبصر ، ولا تعرف الا ما يريد لها هو ان تعرف ، فكانت جرائمه في تحطيم أعظم ثقافة انسانية عرفت الى هذا اليوم ، كجرائمه في تحطيم الدول وأعجازها مثلا بمثل . وقد كان ما أراد الله أن يكون ، وظفر العدو فينا بما كان يبغي ويريد .

وقد فصل مالك في « مدخل الدراسة » محنة « العقل » الحديث في العالم الاسلامي ، على يد امضى اسلحة العدو في تدميم بعض جوانب الثقافة ، بل اهم جوانبها ، وهو سلاح « الاستشراق » سلاح لم يدرسه المسلمون بعد ، ولم يتبعوا تاريخه ، ولم يكشفوا عن مكايده واساليبه ، ولم يقفوا على الخفي من أسرار مكره ، ولم يستقصوا اثره في نواحي حياتهم الثقافية ؛ بل في أكثر نواحي حياتهم الانسانية .. كيف .. ؟ .. بل كان الامر عكس ما كان ينبغي أن يكون ، فهم يتدارسون ما يلقيه اليهم على انه علم يتزوده المتعلم ، وثقافة تستثيرها النفوس ، ونظر تقتفيه العقول ، حتى كان كما قال مالك : « ان الاعمال الادبية لهؤلاء المستشرقين ، قد بلغت درجة خطيرة من الاشعاع لا نكاد نتصورها » وتفصيل اثر هذا الاشعاع في تاريخنا الحديث ، وفي سياستنا وفي عقائدنا ، وفي كتبنا وفي أدبائنا وفي اخلاقنا ، وفي مدارسنا ، وفي صحافتنا ، وفي كل اقوالنا وأعمالنا ، شيء لا يكاد يحيط به أحد » .

وهذا الاشعاع ، كما سماه مالك ، كان من اعظم الاسباب وابعدها خطرا في « العقل » الحديث ، الذي يريد أن يدرك دلائل اعجاز القرآن ادراكا يرضى عنه ويطمئن اليه . وهو الذي أوقع الشك في الاصول القديمة التي قامت عليها ادلة اعجاز القرآن ، بل اكبر من ذلك ، فانه قد اتى اساليب غابة في الدهاء والخفاء ، افضت الى تدمير الوسائل الصحيحة التي ينبغي أن يتذرع بها كل من درس نصا ادبيا ، حتى يتاح له أن يحكم على جودته او رداءته ، فضلا عن بلاغته أو اعجازه .

وقد ذكر مالك في « مدخل الدراسة » تلك القضية الغريبة التي عرفت بقضية « الشعر الجاهلي » ، والتي اثارها المستشرق مرجليوث في بعض مجلات المستشرقين ، ثم تولى كبرها طه حسين ، في كتابه « في الشعر الجاهلي » ، يوم كان استاذا للادب العربي بالجامعة المصرية . ولن اذكر هنا تلك المعارك التي أثارها كتاب « في الشعر الجاهلي » ، ولكني اذكر ، كما ذكر مالك ، ان هذه القضية بأدلتها ومناهجها ، قد تركت في « العقل » الحديث في العالم الاسلامي ، اثرا لا يمحى الا بعد جهد جهيد ، والعجب أن مرجليوث قد اتى في بحثه بزيف كثير ، كان هو الاساس الذي بني عليه هذا « العقل » ، وقد حاول مئات من رجال الفكر ان يزيفوا الادلة والمناهج ، ولكن هذا الزيف بقي بعد ذلك طابعا مميزا لاكثر ما ينشره أطلبة والاساتذة الى يومنا هذا . ولا تحاكم مرجليوث واشياعه الى رأيك ونظرك ، بل دع محاكمته الى مستشرق مثله ، هو آربري ، يقول في خاتمة كتابه « المعلقات السبع » وذكر اقوال مرجليوث وغيرها : « ان المسألة — واخشى ان اقول : الغش — في بعض الادلة التي ساقها الاستاذ مرجليوث امر بين جدا ، ولا نليق البتة برجل كان ، ولا ريب من اعظم ائمة العلم في عصره وهذا حكم ثمنع ، لا على مرجليوث وحده ، بل على كل اشياعه وكهنته وعلى ما جاءوا به من حطام الفكر » .

ولكن العجب عندي بعد ذلك أن مالكا ارتكز على ذكر هذه القضية ، وعلى اثرها في العقل

الحديث ، ثم ينطلق منها الى نتيجة أخرى فقال : « وعلى هذا فالمشكلة بوضعها الراهن سجاور فى مداها نطاق الادب والتاريخ ، وتهم مباشرة منهج التفسير القديم كله ، ذلك التفسير القائم على المقارنة الاسلوبية ، معتمدا على الشعر الجاهلى كحقيقة لا تقبل الجدل وعلى اية حال ، فقد كان من الممكن أن تثور هذه المشكلة تبعا للتطور الجديد فى الفكر الاسلامى ، وانما بصورة اقل ثورية ؛ فمنهج التفسير القديم يجب ان يتعدل فى حكمة وروية ، لكى يتفق مع مقتضيات الفكر الحديث » .

ثم قال : « لقد قام اعجاز القرآن حتى الآن على البرهان الظاهر على سمو كلام الله فوق البشر . وكان لجوء التفسير الى الدراسة الاسلوبية لكى يضع لاعجاز القرآن اساسا عقليا . فلو اننا طبقنا نتائج غرض مرجليوث ، لانهار ذلك الاساس ؛ ومن هنا توضع مشكلة التفسير على اساس حاسم بالنسبة لعقيدة المسلم ؛ اعنى : برهان اعجاز القرآن فى نظره » .

ثم امضى الى هذا الحكم : « والحق انه لا يوجد مسلم ، وبخاصة فى البلاد غير العربية — يمكنه ان يقارن موضوعيا بين آية قرآنية ، ونثرة موزونة او مقفاة من ادب العصر الجاهلى . فمنذ وقت طويل ، لم تعد ملكة فى انواقنا عبقرية اللغة العربية ، ليمكننا ان نستنبط من مقارنة ادبية نتيجة عادلة حكيمة » .

وانا احب ان اناقش هذه المقالة حتى امين القارىء على ان يضع كتاب « الظاهرة القرآنية » فى مكانه الذى ينبغى له ، وحتى تتبين له معالم الطريق الذى يسير فيه وهو يقرأ هذا الكتاب ، وحتى يستفيد من ادلته وبراهينه قوة تعينه على ان يضع اساسا يقيم عليه عقيدته وايمانه .

ولا ادرى ما الذى الجأ اخى مالكا الى ذكر « تفسير القرآن » ومنهجه القديم فى هذا الموضع ؟ . انه اقحام لباب من علوم الاسلام قائم برأسه لا يمسه غرض مرجليوث من قريب او بعيد . وعلم تفسير القرآن كما اسسه القدماء ، لا يقوم على مقارنة الاساليب ، اعتمادا على شعر الجاهلية أو شعر غير الجاهلية ، واذا اقتضتنا الحاجة ان ندخل تعديلا على منهج التفسير القديم ، فانه عندئذ تعدل لا علاقة له البتة بالشعر الجاهلى ، لا من قبل الشك فى صحته ، ولا من قبل مقارنة الاساليب الجاهلية بأسلوب القرآن . وكل ما عند القدماء من ذكر الشعر الجاهلى فى تفسيرهم ، فهو انهم يستدلون به على معنى حرف فى القرآن ، او بيان خاصة من خصائص التعبير العربى ، كالتقديم والتأخير والحذف وما الى ذلك ، وهذا امر يصلح له شعر الاسلام وغاية علم تفسير القرآن ، كما ينبغى أن يعلم ، انما هى بيان معانى الفاظه مفردة ، وجملة مجتمعة ، ودلالة هذه الالفاظ والجمل على المبانى . سواء فى ذلك آيات الخبر والقصص ، وآيات الادب ، وآيات الاحكام ، وسائر ما اشتملت عليه معانى القرآن . وهو امر عن « اعجاز القرآن » بمعزل .

اما الامر المرتبط بالشعر الجاهلى ، او بقضايا الشعر جميعا ، والمتصل باساليب الجاهلية وغير الجاهلية ، واساليب العربية وغير العربية ومقارنتها بأسلوب القرآن ، فهو علم « اعجاز القرآن » ، ثم « علم البلاغة » .

ولا مناص لمتكلم فى « اعجاز القرآن » ، من ان يتبين حقيقتين عظيمتين قبل النظر فى هذه المسألة ، وان يفصل بينهما فصلا ظاهرا لا يلتبس ، وان يميز اوضح التمييز بين الوجوه المشتركة التى تكون بينهما :

اولاهما : أن : « اعجاز القرآن » كما يدل عليه لفظه وتاريخه ، وهو دليل النبى صلى الله عليه وسلم على صدق نبوته ، وعلى انه رسول من الله يوحى اليه هذا القرآن ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعرف « اعجاز القرآن » من الوجه الذى عرفه منه سائر من آمن به من قومه العرب ، وان التحدى الذى تضمنته آيات التحدى ، من نحو قوله تعالى : « ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون » . (سورة هود : 13 ، 14)
وقوله : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

(سورة الاسراء : 88)

انما هو تحد بلفظ القرآن ونظمه وبيانه لا بشيء خارج عن ذلك . فما هو بتحد بالاخبار بالغيب المكنون ، ولا بالغيب الذي يأتي تصديقه بعد دهر من تنزيله ، ولا بعلم ما لا يدركه علم المخاطبين به من العرب ، ولا بشيء من المعاني مما لا يتصل بالنظم والبيان .

ثانيهما : أن اثبات دليل النبوة ، وتصديق دليل الوحي ، وأن القرآن تنزيل من عند الله ، كما نزلت التوراة والانجيل والزبور وغيرها من كتب الله سبحانه ، لا يكون منهما شيء يدل على أن القرآن معجز ، ولا اظن أن عاقلا يستطيع ان يقول ان التوراة والانجيل والزبور كتب معجزة ، بالمعنى المعروف في شأن اعجاز القرآن ، من اجل أنها كتب منزلة من عند الله . ومن البين ان العرب قد طولبوا بأن يعرفوا دليل نبوة رسول الله ، ودليل صدق الوحي الذي يأتيه ، بمجرد سماع القرآن نفسه ، لا بما يجادلهم به حتى يلزمهم الحجة في توحيد الله ، أو تصديق نبوته ، ولا بمعجزة كمعجزات اخوانه من الانبياء . مما آمن على مثله البشر وقد بين الله في غير آية من كتابه ان سماع القرآن يقتضيهم ادراك مبينه لكلامهم ، وانه ليس من كلام بشر ، بل هو كلام رب العالمين وبهذا جاء الامر في قوله تعالى : « وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون » . (سورة التوبة ٩)

فالقرآن المعجز هو البرهان القاطع على صحة النبوة ، أما صحة النبوة فليست برهاننا على اعجاز القرآن .

والخلط بين هاتين الحقيقتين ، واهمال الفصل بينهما في التطبيق والنظر ، وفي دراسة « اعجاز القرآن » ، قد افضى الى تخليط شديد في الدراسة قديما وحديثا ، بل ادى هذا التخليط الى تأخير علم « اعجاز القرآن » و « علم البلاغة » . عن الغاية التي كان ينبغي أن ينتهيا اليها .

ويحسن أن ازيل الآن لبسا قد يقع فيه الدارس لكتاب « الظاهرة القرآنية » ، ففي « مدخل الدراسة » ، وفي بعض فصول الكتاب ما يوهم ان من مقاصده تثبيت قواعد في « علم اعجاز القرآن » ، من الوجه الذي يسمى به القرآن معجزا . وهو خطأ ، فان منهج مالك في تأليفه دال أوضح الدلالة على أنه انما عنى باثبات صحة دليل النبوة ، وبصدق دليل الوحي ، وان القرآن تنزيل من عند الله ، وانه كلام الله لا كلام بشر ، وليس هذا هو « اعجاز القرآن » كما اسلفت ، بل هو أقرب الى ان يكون بابا من « علم التوحيد » ، استطاع مالك ان يبلغ فيه غايات بعيدة ، قصر عنها اكثر من كتب من المحدثين وغير المحدثين ؛ فجزاه الله عن كتابه وذبه احسن الجزاء .

أما مسألة « اعجاز القرآن » ، فقد بقيت خارج هذا الكتاب ، وهي عندي اعقد مشكلة يمكن ان يعانيها « العقل » الحديث ، كما يسمونه ، حتى بعد أن يتمكن من ارساء كل دعامة يقوم عليها ايمانه بصدق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبصدق الوحي ، وبصدق التنزيل . وايضا فهي المسألة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بقضية الشعر الجاهلي ، وبالكيد الخفي الذي اشتملت عليه هذه القضية ، بل انها لترتبط ارتباطا لا فكاك له بثقافتنا كلها ، وبما ابتلي به العرب في جميع دور العلم ، من غرض منهاج خال من كل فضيلة في تدريس اللغة وآدابها . بل انها لتشمل ما هو ارحب من ذلك ، تشمل بناء الانسان العربي او المسلم ، من حيث هو انسان قادر على تذوق الجمال في الصورة والفكر جميعا .

ومعرفة معنى « اعجاز القرآن » ، وما هو ، وكيف كان ، امر لا غنى عنه لمسلم ولا لدارس ، وشأنه ، اعظم من أن يتكلم فيه امرؤ بغير تثبت من معناه ، وتمكن من تاريخه ، وتتبع للآيات الدالة على حقيقته . وانا لا ازعم اني مستقصيه في هذا الموضع ، ولكني مستعين بالله ، فذاكر طرفا مما يعين المرء على معرفته .

وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأبي هو وأمي ، حين فجئه الوحي في غار حراء ، وقال له : « اقرأ » ، فقال : « ما أنا بقارىء » ، ثم لم يزل به حتى قرأ : « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

رجع بها وهو يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة فقال : « زملوني زملوني » ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع . وذلك أنه قد أتاه أمر لا قبل له به . وسمع مقالا لا عهد له بمثله . وكان رجلا من

العرب ، يعرف من كلامها ما تعرف ، وينكر منه ما تنكر — كان هذا الروع الذى أخذه بأبى هو وامى ، أول احساس فى تاريخ البشر ، ببداية هذا الذي سمع ، للذي كان يسمع من كلام قومه ، وللذي كان يعرف من كلام نفسه . ثم حمى الوحي وتتابع ، وأمره ربه أن يقرأ ما انزل عليه على الناس على مكث ، فتتابع الافراد من عشيرته وقومه ، يقرأ عليهم هذا الذى نزل اليه . ولم يكن من برهانه ولا مما أمر به أن يلزمهم الحجة بالجدل حتى يؤمنوا انما هو اله واحد ، وأنه هو لله نبي ، بل طالبهم بأن يؤمنوا بما دعاهم اليه ، ويقروا له بصدق نبوته ، بدليل واحد هو هذا الذى يتلوه عليهم من قرآن يقرؤه . ولا معنى لمثل هذه المطالبة بالاقرار لمجرد التلاوة ، الا أن هذا المقروء عليهم ، كان هو فى نفسه آية فيها أوضح الدليل على أنه ليس من كلامه هو ، ولا من كلام بشر مثله . ثم ايضا لا معنى لها البتة الا أن يكون كان فى طاقة هؤلاء السامعين أن يميزوا تمييزا واضحا بين الكلام الذى هو من نحو كلام البشر ، والكلام الذى ليس من نحو كلامهم .

وكان هذا القرآن ينزل عليه منجما ، وكان الذى نزل عليه يومئذ قليلا كما تعلم ، فكان هذا القليل من التنزيل هو برهانه الفرد على نبوته . وإذن ، فقليل ما أوحى اليه من الآيات يومئذ ، وهو على قلته وقلة ما فيه من المعانى التى تتامت وتجمعت فى القرآن جملة كما نقرؤه اليوم ، منطو على دليل مستبين ظاهر ، يحكم له بأنه ليس من كلام البشر . وبذلك يكون دليلا على ان تاليه عليهم ، وهو بشر مثلهم ، نبي من عند الله مرسل .

فاذا صح هذا ، وهو صحيح لا ريب فيه ، ثبت ما قلناه اولا من أن الآيات القليلة من القرآن ، ثم الآيات الكثيرة ، ثم القرآن كله ، أي ذلك كان ، فى تلاوته على سامعه من العرب ، الدليل الذى يطالبه بأن يقطع بأن هذا الكلام مفارق لجنس كلام البشر ، وذلك من وجه واحد ، هو وجه البيان والنظم .

واذا صح ان قليل القرآن وكثيره سواء من هذا الوجه ، ثبت ان ما فى القرآن جملة ، من حقائق الاخبار عن الامم السالفة ، ومن انبساء الغيب ، ومن دقائق التشريع ، ومن عجائب الدلالات على ما لم يعرفه البشر من أسرار الكون الا بعد القرون المتطاولة من تنزيله ، كل ذلك بمعزل عن الذى طولب به العرب ، وهو أن يستبينوا فى نظمه وبيانه اتفكاكه من نظم البشر وبيانهم ، من وجه يحسم لقضاء بأنه كلام رب العالمين . وههنا معنى زائد ، فانهم اذا أقروا انه كلام رب العالمين بهذا الدليل ، كانوا مطالبين بان يؤمنوا بأن ما جاء فيه من أخبار الامم ، وانباء الغيب ، ودقائق التشريع ، وعجائب الدلالات على أسرار الكون ، هو كله حق لا ريب فيه ، وأن ناقض ما يعرفون ، وأن باين ما اتفقوا على أنه عندهم أو عند غيرهم حق لا يشكون فيه . وإذن فاقرارهم من وجه النظم والبيان أن هذا القرآن كلام رب العالمين ، دليل يطالبهم بالاقرار بصحة ما جاء فيه من كل ذلك ، أما صحة ما جاء فيه ، فليست هى الدليل الذى يطالبهم بالاقرار بأن نظم القرآن وبيانه ، مباين لنظم البشر وبيانهم ، وانه بهذا من كلام رب العالمين . وهذا امر فى غاية الوضوح .

فمن هذا الوجه كما ترى طولب العرب بالاقرار والتسليم ، ومن هذا الوجه تحيرت العرب فيما تسمع من كلام يتلوه عليهم رجل منهم ، تجده من جنس كلامها لانه نزل بلسانهم ، لسان عربى مبين ، ثم تجده مباينا لكلامها ، فما تدرى ما تقول فيه من طغيان اللدد والخصومة . وانه لخبر مشهور ، خبر تحير النفر من قريش ، على رأسهم الوليد بن المغيرة . لقد ائتمرت قريش يومئذ حين حضر الموسم ، لكى يقولوا فى هذا الذى يتلى عليهم وعلى الناس قولا واحدا لا يختلفون فيه ، وأداروا الراى بينهم فى تاليه على أهل المواسم ، وتشاوروا أن يقولوا : كاهن ، أو مجنون ، أو شاعر ، أو ساحر ، فلما آلت المشورة الى ذى رأيهم وسنهم وهو الوليد بن المغيرة ، رد كل ذلك بالحجة عليهم ، ثم قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن اصله لمغدق ، وإن فرعه لجناة ، وما انتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف انه باطل ، وان اقرب القول فيه لان تقولوا : ساحر جاء بقول يفرق بين المرء وابيه ، وبين المرء واخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته » .

فهذا التحير المظلم الذى غشاهم وأخذ منهم بالكظم ، والذى نعته الوليد فاستجاد النعت ، كان تحيرا لما يسمعون من نظمه وبيانه ، لا لما يدركون من دقائق التشريع ، وخفى الدلالات ، وما لا يؤمنون به من الغيب ، وما لا يعرفون من انباء القرون التى خلت من قبل .

وحمى الوحى وتتابع عاما بعد عام ، واقبل صلى الله عليه وسلم يلح جهرة فيتحدا القرآن عليهم وعلى من طاف بهم من العرب فى بطن مكة ، وفى مواسم الحج والاسواق ، وهبت قريش تناوئه وتنازعه ، وتلج فى اللدد والخصومة ، وفى الانكار والتكذيب ، وفى العداوة والاذى ، فلما طال تكذيبهم وانكارهم ، على ما يجدون فى انفسهم من مثل الذى وجد الوليد ، ومن مثل الذي آمن عليه من آمن من قومه العرب ؛ صب الله عليهم ، من الوحى ما هالهم وافزعهم كانوا يتحيرون فى هذا الذى يتلى عليهم ، وظل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثة عشر عاما والمسلمون قليل مستضعفون فى أرض مكة ، وظل الوحى يتابع وهو يتحداهم ان ياتوا بمثل هذا القرآن ، ثم بعشر سور مثله مفتريات . فلما انقطعت قواهم ، قطع الله عليهم وعلى الثقلين جميعا منافذ الجدود والعناد ، فقال : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » . وكذلك كان !

فكان هذا البلاغ القاطع الذى لا معقب له ، هو الغاية التى تنتهى اليها امر هذا القرآن ، وامر النزاع فيه ، لا بين رسول الله وبين قومه من العرب فحسب ، بل بينه وبين البشر جميعا على اختلاف السنتهم والوانهم ، لا . . بل بينه وبين الانس والجن مجتمعين متظاهرين . وهذا البلاغ الحق الذى لا معقب له من بين يديه ولا من خلفه ، هو الذى اصطلحنا عليه فيما بعد ، وسميناه « اعجاز القرآن » .

وهذا الذى اقتصصته لك ، تاريخ مختصر اشد الاختصار ، ولكنه مجزىء فى الدلالة على تحديد معنى « اعجاز القرآن » بالمعنى الذى يفهم من هذا اللفظ على اطلاقه ، ومجزىء فى الدلالة على هذا « الاعجاز » . من أى وجوه الاعجاز كان اعجازا ، وانه ليكشف عن امور لا غنى لدارس عن معرفتها :

الاول : ان قليل القرآن وكثيره فى شان « الاعجاز » سواء .

الثانى : ان الاعجاز ، كائن فى وصف القرآن وبيانه ونظمه ، ومباينة خصائصه للمعهود من خصائص كل نظم وبيان فى لغة العرب ، ثم فى سائر لغات البشر ، ثم فى بيان الثقلين جميعا ، انسهم وجنهم متظاهرين .

الثالث : ان الذين تحداهم بهذا القرآن قد اوتوا القدرة على الفصل بين الذى هو من كلام البشر ، والذى هو ليس من كلامهم .

الرابع : ان الذين تحداهم به كانوا يدركون ان ما طولبوا به من الاتيان بمثله ، او بعشر سور مثله مفتريات ، هو هذا الضرب من البيان الذى يجدون فى انفسهم انه خارج من جنس بيان البشر .

الخامس : ان هذا التحدى لم يقصد به الاتيان بمثله مطابقا لمعانيه ، بل ان ياتوا بما يستطيعون افتراءه واختلاقه ، من كل معنى او غرض ، مما يعتلج فى نفوس البشر .

السادس : ان هذا التحدى للثقلين جميعا انسهم وجنهم متظاهرين ، تحد مستمر قائم الى يوم الدين .

السابع : ان ما فى القرآن من مكنون الغيب : ومن دقائق التشريع ومن عجائب آيات الله فى خلقه ، كل ذلك بمعزل عن هذا التحدى المفضى الى الاعجاز ، وان كان ما فيه من ذلك كله يعد دليلا على انه من عند الله تعالى ، ولكنه لا يدل على ان نظمه وبيانه مباين لنظم كلام البشر وبيانهم ، وانه بهذه المباينة كلام رب العالمين ، لا كلام بشر مثلهم .

فهذه امور نستخرجها دراسة تاريخ نزول القرآن ، ومدارسة آياته فى جدال المشركين من العرب فى صحة الآيات التى جاءتهم من السماء ، كما جاءت سائر آيات الانبياء ومعجزاتهم ، وحسبك فى بيان ذلك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من نبى الا واوتى من الآيات ما مثله امن عليه البشر ، وانما كان الذى اوتيته وحيا اوحى الى ، فانا ارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة ، فالقرآن هو آية الله فى الارض ، آيته المعجزة من الوجه الذى كان به معجزا للعرب ، ثم للبشر ، ثم للثقلين جميعا .

وكل ما ليس يقع فى ضبط هذه الامور المتعلقة بمعنى « اعجاز القرآن » وكل اختلال فى تمييزها وتحديد ما يقتضيه فى العقل والنظر ، سبيل الى انتشار اغمض اللبس ، وابلغ الخلل فى فهم معنى « اعجاز القرآن » ، من الوجه الذى صار به القرآن معجزا للعرب ، ثم لسائر البشر على اختلاف السنتهم ، ثم للثقلين جميعا متظاهرين .

(البقية فى العدد المقبل)

تعقيب

على الرد على مقال

أحمد بابا التمبكتي السوداني

للدكتور شوقي عطا الله الجمل

توصلنا من د. شوقي عطا الله الجمل الاستاذ بكلية الآداب بالرباط بهذا التعقيب على الرد الذى نشرته المجلة للدكتور عثمان عثمان اسماعيل فى العدد الثالث من هذه السنة على مقال حول (أحمد بابا التمبكي السوداني) نشرته الزميلة المناهل فى احد اعدادها الاخيرة . كما توصلنا بتعقيب آخر من الاستاذ عبد القادر العافية حول نفس الموضوع .

ونحن اذ ننشر تعقيب الدكتور شوقي يهمنا جدا ان تسود روح الزمالة الفكرية بين الكتاب والمفكرين وان يكون هدف الجميع خدمة الحقيقة الموضوعية وتجلية الجوانب المشرقة من تاريخنا العربي والاسلامي .

ولعله من الواضح ان اثارة النقاش العلمي الرصين فى مستوياته العليا من صميم رسالة الصحافة الاسلامية والادبية وقد اضطلعت دعوة الحق بهذا العبء منذ اعدادها الاول واضعة نصب عينها اثراء الفكر وتنشيط الحركة الثقافية وفتح المجال امام اولي الرأى والنظر ليعبروا عن الحقيقة فى اطار الموضوعية والانصاف العلمي.

مرة اخرى نؤكد انه يهمنا جدا اثارة النقاش حول موضوع التاريخ المغربي فى الوقت الذي نواجه فيه بحملات تغريبية وعقائدية يغذيها الاستعمار الفكري بمخططاته الشيوعية والصليبية والصهيونية .

ودعوة الحق تفتح صدرها لجميع الاقلام الجادة الملتزمة بالامانة والنزاهة والمخلصة للحق والعدل .

دعوة الحق

كتب الدكتور عثمان عثمان اسماعيل فى العدد الثالث ـ السنة الثامنة عشرة ـ من مجلة دعوة الحق تعقيبا على مقالي المنشور منذ عام فى مجلة المناهل (العدد السادس يوليو 1976) ـ وقد دهشت من الطريقة التى تناول بها الدكتور عثمان تعقيبه على المقال المذكور للاسباب الآتية :

1 ـ اتخذ الدكتور عثمان لتعقيبه على المقال عنوانا مثيرا «دفاعا عن الاسلام والمغرب والمنصور» والذى يقرأ المقال المشار اليه بروح علمية وبلا هدف مسبق يدرك كيف استطاع الدكتور أن يقلب الحقائق ويشوهها ليخلق قضية ينصب نفسه مرافعا عنها محاولا استخدام اسلحة ليس

هذا مجالها .

فالمقال قبل كل شيء بحث تاريخي صرف يعيد كل البعد عن الاجواء التي اختلقها المعقب وهو محاولة لالقاء الاضواء على تاريخ وجهود عالم وفقيه مسلم ينتمي الى عرب افريقيا التي كان للمغرب دور رئيسي في نشر الحضارة والاسلام والعلم وقد ابرز المقال المشار اليه ذلك ـ كما سأوضح بعد بالاضافه الى العديد من المقالات الاخرى التي كان لي شرف نشرها ـ اذكر منها على سبيل المثال لا الحصر المقال عن «الحضارة الاسلامية العربية في غرب افريقيا سمانها ودور المغرب فيها» ـ نشر بمجلة المناهل العدد السابع 1976 ، ومقال عن «عثمان بن فودي وسياسة الجهاد الاسلامي التي اثبتها ـ في ضوء مخطوط فريد بوثائق الرباط ـ نشر بمجلة البحث العلمي العدد 26 ، ومقال عن «علاقة المغرب بالاقاليم الصحراوية الواقعة جنوبه ـ في صور رحلتي ابن بطوطة والحسن بن الوزان ـ نشر في المناهل العدد 8.

2 ـ بدأ الدكتور تعقيبه بمقدمة عن تحامل بعض المستشرقين اليهود والمبشرين المسيحيين والخصوم على ابطال الاسلام .. ولست ادري علاقة هذا بالمقال موضوع البحث والذي يلقي اضواء على عالم من علماء المسلمين وفقيه وينتمي لاسرة علم ودين معروفه ومشهورة ـ ولا ادري كيف يجهلها الدكتور ويريدنا كما جاء بتعقيبه ان نتجاهلها وينعي علينا ابراز دورها ويعتبر ان الهدف من ذلك هو الاساءة للاسلام والمغرب والمنصور مع ان العكس هو الصحيح ، فتجاهل امثال هذا العالم والفقيه هو الاساءة الحقيقية للاسلام والحضارة الاسلامية في المغرب ودوره الرائد فيها لكن من الواضح منذ البداية ان المعقب اراد ان ينحرف بالبحث موضوع المقال ناحية معينة ليمكنه ان يستغل هذا السلاح غير مدرك انه اصاب نفسه قبل ان يصيب غيره .

3 ـ يذكر التعقيب انه من حيث الشكل (نلاحظ ان المقال يشغل ثلاثا وثلاثين صفحة من صفحات المجلة خصصت تسع عشر منها للتعريف بالشخصية في مقدمة المقال ثم اثنتي عشرة صفحة بآخر المقال لمؤلفات احمد بابا السوداني بينما يتركز صلب المقال على الظروف التي جاء فيها الى المغرب ـ مما لا يتفق مع عنوان المقال ويستنتج من هذا ان المقال لم يوضع لدراسة شخصية احمد بابا السوداني ودراسة مؤلفاته لكن خصص لاثارة المشكلات فهل تخصيص احدى وثلاثين صفحة من ثلاث وثلاثين صفحة لدراسة شخصية أحمد بابا ومؤلفاته يثير التساؤل ويدل ان المقال قصد به اثارة المشكلات .. اي منطق هذا واية مشكلات الا ما اختلقها نفسه والا يكشف هذا عن ان هناك دوافع اخرى وراء التعقيب الذي ألبس ثوب الدفاع عن الاسلام والمغرب، والمنصور .

4 ـ يتخذ المعقب من الاشارة الى ظروف مجيء احمد بابا الى المغرب ومقابلته للمنصور ، وما دار بينهما من نقاش وصفه المعقب بانه قحة من العالم ـ وهي اشارة جاءت عابرة في هذا المقال الطويل بالاضافة الى انها معروفة وذكرها اكثر من مؤرخ اساسا لكل هذه الزوبعة غير الحقيقية ، وهي امر لا يثير ما اثاره هو من استنتاجات ـ ويذكر انه كان يجب ان يتجاهل كاتب المقال هذه الناحية وهذا اتجاه غريب من كاتب يدعي انه موجه لنا في النقد التاريخي .

5 ـ يأخذ المتعقب على المقال تعظيمه لاسرة احمد بابا ويشير الى ان القول بان المعقب بابا التمبكي ينتمي الى اسرة علم وصلاح توارث العلم فيها نحو خمسمائة سنة ـ قصد به الاساءة الى المنصور والمغرب .. ولست ادري اية علاقة بين ابراز مكانة هذه الاسرة العلمية وبين ما وصل اليه الدكتور من استنتاج ، ومازلت اوكد ان التراث الاسلامي الذي تركته لنا هذه الاسرة شيء نفتخر به ويجب ان نفتخر به ونبرزه وننشره .

6 ـ يشير التعليق الى ان «الاشادة بمكانة جني وتمبكتو» خطأ لانه يهدف الى تبرير حجم الجريمة في الفتح الاسلامي للسودان ، ويدهشني هذا الربط العجيب بين الاشادة بمكانة هذه العواصم الاسلامية وبين حملة المنصور للسودان فهو امر من نسج خيال المعقب ، كما ان المكانة العلمية لهذه العواصم الاسلاميةفي غرب افريقيا في ذلك الوقت بالذات يجب الا يجهلها احد خاصة من الذين يتناولون بالبحث امور التاريخ الاسلامي ، ولعل ما نشرته في مقالي عن الحضارة الاسلامية في غرب افريقيا ودور المغرب

فيها في العدد السابع بمجلة المناهل ـ يوضح المكانة التي كانت لهذه البلاد قبل الاستعمار الاوروبي والدور الذي لعبه المغاربة من مهندسين وعلماء وفقهاء وتجار في بناء المساجد والتعليم والارشاد فيها ، وكذا قصور الحكام الى غير ذلك من البيانات التي تناولها المقال المشار اليه.

7 ـ ما عن البحث الذي ساقه لنا المعقب عن التكوين النفسي للمنصور السعدي ـ والناحية الروحية في حياته ـ واشارات وتنبيهات حول حملة السودان فهي اشياء خارجة تماما عن موضوع المقال ، فعلاقة احمد بابا بالمنصور ـ كما اشرنا نقطة عارضة وسط بحث تاريخي عن شخصية احمد بابا ومؤلفاته شغل كما يقول المعقب نفسه 31 صفحة من 33 صفحة مجموع المقال تلقفها صاحب التعقيب فاعطانا حديثا طويلا مسهبا عن موضوع آخر ما كان اجدره ان يقصر كلامه عليه ويتخذ له عنوانا آخر غير العنوان الذي قصده ان يلفت به الانظار ـ ليستقيم الامر مع نهج البحث العلمي السليم .

8 ـ اما محاولات التجريح الجانبية التي احتواها التعقيب ومنها وصفه لعالم من اجل علماء المسلمين وهو احمد بابا بالفجة فهذا خروج عن المنهج العلمي السليم في النقد واسلوبه ، ولا يحتاج منا لتعقيب .

هذه ملاحظات عابرة على بعض ما جاء بالتعقيب ولم اشأ ان اطنب في الرد على كل ما اثاره لان التحامل فيه على الحقيقة واضح لم يخف على اي قارىء للمقال الاصلي وللتعقيب. لقد حاول كاتب التعقيب ان يصور مقالا علميا تاريخيا قصد به القاء اضواء على حياة عالم من علماء الاسلام ، وابراز انتاجه العلمي ودور المغرب في ذلك بانه مساس بالمغرب والاسلام . ولست ادري كيف يتمشى هذا المنطق مع ما جاء في المقال موضوع التعقيب وما اراد المعقب ان يخفيه ليصل الى هدفه واشير لبعضه هنا مجرد اشارة دون اي تعقب فالقراء كما لا يجب ان يخفى على كاتب التعقيب ـ يتمتعون بقدر كبير من الذكاء والقدرة على التمييز بين الغث والثمين .

وفي الختام لا يسعني الا ان ارجو ان يقدر الجميع الكلمة المنشورة ـ خاصة في مجلاتنا الدينية التي لها مكانتها ـ قدرها فلا نسيء استغلالها لما هو بعيد عن رسالتها الحقيقية .

دكتور : شوقي عطا الله الجمل

الإسلام والنصر

العقيد الركن
محمود شيت خطاب

القيادة والتوجيه الديني

— 1 —

المشير مونتكومري قائد بريطاني ، من أبرز قادة الحلفاء في الحرب العالمية الثانية (1939 ـ 1945) وقد لمع اسمه لاول مرة بعد انتصاره على جيوش المحور في معركة (العلمين) سنة (1942) ، فاصبح معروفا في العالم كله .

بدا حياته العسكرية العلمية برتبة ملازم في الحرب العالمية الاولى (1914 ـ 1918) ، ثم تدرج في الرتب العسكرية ، وتولى المناصب القيادية ومناصب الاركان واصبح معلما في كلية الاركان البريطانية في (كامبرلي) وهو منصب تعليمي تربوي مرموق .

وفي اواخر الحرب العالمية الثانية اصبح قائد مجموعة جيوش مؤلفة من مختلف الاسلحة، كان تعدادها يناهز المليونين من الجنود وضباط الصف والضباط والمراتب الاخرى.

وبعد الحرب العالمية الثانية تسنم منصب رئيس هيئة اركان الحرب في بريطانيا ، ثم تسنم منصب نائب القائد الاعلى للحلف الاطلسي .

واخيرا اصبح عضوا في مجلس اللوردات البريطاني اذ منح لقب : «لورد العلمين» ، فتفرغ لواجبه في هذا المجلس ، وعكف على التاليف ، واصبحت هوايته توجيه الشباب ورعايتهم .

وقد امضى في الخدمة العسكرية نحو خمسين سنة ، ربى خلالها ما لايعد ولايحصى من العسكريين معلما ومدربا ومثقفا ومحاضرا وقائدا .

وقد سجل في آخر مؤلفاته : «السبيل الى القيادة» عصارة تجاربه في تربية الاطفال وتوجيه الشباب وهو يرعى في الوقت الحاضر جماعة من الشباب ، ويجد لذة ومتعة في توجيههم ، ويرى في ذلك خدمة لوطنه وتطبيقا عمليا لمبادئه التربوية .

وسأذكر ما اورده في كتابه هذا عن التربية والتوجيه لعل فيها فائدة للذين لا يرضخون الا لآراء الغربيين والذين لا تطربهم مغنية الحي ، والذين تشقى عيونهم رعال الغرب وتدميها ورود بلدهم ، والذين يستسلمون للاجنبي ولا يسالمون العربي او المسلم : بهرتهم حضارة الغرب لانهم يجهلون حضارة امتهم واستحوذ عليهم الاستعمار الفكري البغيض .

الى هؤلاء اسوق آراء مونتكومري التربوية ، تلك الآراء التي لو سمعوها من عربي مسلم لكالوا له التهم جزافا ولرموه بالتخلف والرجعية ! !

ترى ! ماذا سيقول هؤلاء عن آراء مونتكومري التربوية ؟

— 2 —

عقد مونتكومري في كتابه «السبيل الى القيادة» بابا كاملا هو الباب الحادي عشر بعنوان : «قيادة الشبيبة» استغرق نحو ثلاثين صفحة من كتابه ، ولا أرى مسوغا لعرض آرائه التربوية كافة لانني لا اريد ان اطيل فاثقل على القارىء ، ولكنني سأعرض مختصر ارائه لاعطاء فكرة كاملة عنها ، وهذا يقتضيني ان

اكتشف تلك الآراء بعيدا عن الايجاز المخل والاطناب الممل .

يذكر مونتكومري ان اولاد امته لا نقص فيهم من حيث المادة او النوع ولكن الخطأ في اسلوب تربيتهم مما ادى الى ان يصبحوا دون المستوى المطلوب ، وهذا خطأ المربين لا خطأ النسباب .

ثم قال : « انني غير راض عن شباب اليوم » (1)

ويمتدح بنات جيله فيقول : «ان البنات لم يكن ليسمح لهن بالخروج من البيت وحدهن والذهاب مع الاولاد الى المراقص وغيرها» 2 ، وبذلك ينتقد هو النقد ما يراه من ترك الابوين بناتهم يسرحن ويمرحن كما يشأن دون رقيب او حسيب .

ويقول عن تربية الاطفال وتنشئتهم ليكونوا عناصر مفيدة للمجتمع : ان ولد اليوم وهو رجل المستقبل يجب ان يكون الغرض من تربيته بناء سجيته ، ليتسنى له عندما يحين الوقت المناسب ان يؤثر في الآخرين الى ما فيه الخير . وهناك امر يجب الا نخطىء فيه ، وهو ان اسس (السجية) يجب ان توضع في البيت ، بل ان التربية الاساسية يجب ان تبدأ هناك ، فهذه التربية هي التي تؤثر في الولد وتوجهه طيلة حياته ، اما الى الخير او الى الشر . وعلى اسس الخير القويمة التي تبنى في البيت ، سيبنى المعلم (سجية) الولد عندما يأتي الى المدرسة ، فان لم تكن تلك (السجية) قد اقيمت في البيت ، فلا يستطيع المعلم او اى شخص آخر ان يفعل شيئا في هذا الصدد . اننا نسمع اليوم الكثير عن : (آثام الاحداث) التي لا شك أن السبب الرئيسي لاغلبها هو اهمال الآباء .

«ان تجربتي الشخصية تحملني على الاعتقاد بان الاسس لبناء السجية يجب ان تغرس في الولد عندما يصبح في السادسة من عمره ، واهم ما فيها التمييز بين خطأ والصواب والتحلي بالصدق والمروءة» (3)

ويرثي مونتكومري الحال البشرية التي اصبحت تلهث وراء (المادة) وتبتعد عن (الروح) فيقول : السنا نعيش جميعا في ضباب من خداع النفس ، في عالم تستحوذ عليه (المادية) وتنبذ فيه القيم الروحية ؟ !

«فلنفكر مثلا في نماذج الاعلانات الكثيرة التي تواجهنا اني ذهبنا ، والتي تؤثر في كثير من الناس فهي توحي الينا ان حل كل مشكلة يمكن ان يشترى بالمال . انها تقول مثلا : اتنشد السعادة في بيتك اذن فاشتر هذه المكنسة الكهربائية او ذلك النوع من طعام الفطور ، او هذا الصابون ، او اشرب تلك الجعة ! ولا شك ان الناس جميعا لا ينخدعون بهذه الاعلانات الكثيرة ، ولكن الولد المراهق يتعرض للخطر وهو يعيش في هذا الضباب من خداع النفس (ماذا ينفع الانسان ، لو حصل على الدنيا كلها ، واضاع روحه) 4 ، 5 .

هكذا يستشهد مونتكومري بآيات من الانجيل ليتأييد آرائه ، فكم من قادتنا من يستشهد بآيات من الذكر الحكيم ؟

ويضيف مونتكومري : «اذا اردنا ان يجتاز العالم بسلام وتعقل حالة الهياج والاضطراب التي تسوده اليوم ، فينبغي ان نحيا الحياة الحقة ونقتدي بالمسيح عليه السلام ، بدلا من الخبط في دياجير الظلام » 6.

انه ينصح بالاقتداء بالمسيح ، وهذا طبيعي لانه مسيحي ، فكم من رجالنا من ينصح علنا وبكل قوة العرب والمسلمين بالاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم.

ويقول : «وهكذا نرى مدى الصعوبة التي يجابهها اولاد اليوم ، وجسامة (الواجب) الذي يجابهه الآباء والمعلمون في تفسير كل ذلك لهم وتوجيههم نحو الصراط المستقيم . وقد زادت المهمة صعوبة زيادة كبيرة من جراء احوال الحياة العصرية .. الحياة التي يواجه فيها الاولاد مغريات ومشاكل اعظم من

---

1 ـ السبيل الى القيادة 191 ، 192 .
2 ـ السبيل الى القيادة 193 .
3 ـ السبيل الى القيادة 194 .
4 ـ آية من آيات الانجيل ... ترى ! كم من قادتنا يستشهدون بآيات من الذكر الحكيم ؟ !
5 ـ السبيل الى القيادة 195 .
6 ـ السبيل الى القيادة 196 .

تلك التي واجهها اى واحد منا عندما كنا شبابا ، فالاشياء المثيرة ، واقلام العصابات والبيوت المخربة بسبب التهاون فى الواجبات الزوجية ونشر القضايا الجنسية فى بعض الصحف ، كل هذه تفرض على الولد المراهق ضغطا شديدا ، وليس من السهل ان تنمى (السجية) فى ظروف كهذه» 7 .

ونحن ! ! لماذا نستورد اقلام العصابات ؟ لماذا نسمح للصحف والمجلات بنشر القضايا الجنسية لماذا نعرض الافلام الخليعة والتمثيليات الداعرة فى الاذاعة المرئية ؟ الاجل ان تخرب بيوتنا بايدينا ؟ الاجل ان نشيع الفاحشة فى اولادنا ؟ ! الاجل ان تتصاعد نسبة الرسوب فى مدارسنا وكلياتنا ؟ لماذا ؟ !

— 3 —

ويمضي مونتكومرى بالحث على تلقين الاطفال التعاليم الدينية فيقول : «لقد سبق ان ذكرت كلمة (الضبط) . ان لهذه الكلمة صدى غير مستحب عند فريق من الناس ، وربما كان السبب هو لانها غير مفهومة فهما صحيحا . ان الاساس الحقيقى للضبط هو ضبط النفس ، وهو السيطرة على النفس وكبح جماحها ، وان يعيش المرء حياة ، منظمة ومقيدة بقيود اختيارية يفرضها على نفسه ، وقد تعد هذه القيود بمثابة واجبات ينبغى ان تشعر بضرورة القيام بها .

«ان مفهوم الواجب هذا يؤكد اهمية التعاليم الدينية التى تتعلق بالسيرة الشخصية للانسان ، ويجب ان يوحى بهذه التعاليم الى كل طفل حالما يبدا بالذهاب الى الروضة (يريد روضة الاطفال التى تسبق المدرسة الابتدائية) وينبغى ان يتم ذلك حتما قبل بلوغه السنة السادسة من عمره» 8.

ويتساءل مونتكومرى : «فما هو غرضنا ؟ ويجيب : «ان الغرض هو ان نبث فى صفوف الشبيبة الاستقامة والشجاعة الادبية ، الحمية ، بغية اقامة حصن يتحدى المؤثرات المخربة التى تسعى الى تحطيم اخلاق اولادنا . وينبغى تربية هؤلاء ليكونوا (نقاطا قوية) فى الامة ، تدافع عن الامانة وسط مغريات تحرض على الخيانة، وتدافع عن العمل الجماعى والاخلاص ، وعن الجهد الصادق وشعور الواجب الرفيع ، عن كل شىء فيه خير البلاد » 9 .

ثم يقول : اين يجب ان يبدا التعليم ؟ فى البيت طبعا ، فذلك هو المكان الذى يجب ان يبدا فيه تكوين (السجية) . ويجب ان يتعلم الطفل فى البيت امورا معينة تعد خطأ واخرى تعد صوابا ، ويجب ان يتعلم الامانة والاخلاص والصدق والثبات على ما يعتقده صوابا وحقا ثباتا راسخا برغم ما يواجهه من اغراء ويجب ان تبدا اسس هذه التربية فى وقت مبكر وان ترسخ فى ذهن الطفل عندما يبلغ السادسة من عمره ، حتى اذا ما بدا بالذهاب الى المدرسة لا يكون فريسة لتاثيرات شريرة قد يواجهها» 10.

ثم ينبغي مونتكومرى على العالم تخليه عن « المثل العليا » ويتوجه الى قومه البريطانيين برايه صريحا واضحا : «لكى نخدم بريطانيا ونفخر باننا بريطانيون ليس من الضرورى ان نملك قنابل ذرية بقدر ما تملكه الولايات المتحدة الامريكية او علماء بقدر ما نملكه روسيا ، فليست البلاد التى تنقصها القنابل الذرية او القوات الكبرى هى التى يجب ان تدعى (دولا من الدرجة الثانية) ، بل ينبغى ان يطلق ذلك على البلاد التى تعوزها المثل العليا ، وهذه المثل تبقى وغيرها يفنى» . ثم قال : «ان اول ما تحتاج اليه ، هو معالجة الجهل المتفشى بيننا عن الحقائق الاولية للدين» 11 .

— 4 —

ووصف مونتكومرى آراءه التربوية التى تؤدى الى اعداد قادة المستقبل ورجال الامة فقال : «وقد لا تكون آرائى مقبولة على العموم ، لكنها بسيطة على

---

7 ـ السبيل الى القيادة 197 .
8 ـ السبيل الى القيادة 197
9 ـ السبيل الى القيادة 198 .
10 ـ السبيل الى القيادة 198 ـ 199 .
11 ـ السبيل الى القيادة 205 .

الاقل ، وقد بنيت على (مثل عليا) وحقائق ازلية ، لن تتغير مهما كان العصر الذى نعيش فيه» 12 .

ثم يكرر ما قاله سابقا باسلوب جديد ، اكثر وضوحا وتفصيلا فيقول : انى من المؤمنين ايمانا راسخا بوجوب توجيه الشباب نحو «العلا» ويجب ان نوضح لهم ما يجب ان يفعلوه لبلوغ ذلك ، وان نبين لهم السبيل . ان ذلك لامر مهم ، لان المستقبل هو للشباب ، فهم الذين يجب ان يستلموا المشعل هنا ان مهمتنا ان نوحى الى الشباب ان يستهدفوا غرضا «اخلاقيا» عاما مبنيا على ايمان واع قوى بالدين . فاذا استطعنا بعدها ان نوحد شبابنا وراء قادة يهتمون بهذا الدين كما يهتم الشيوعيون بعقيدتهم ، فما من شيء نخشاه : لا الاعداء ولا المشكلات الاقتصادية ، اذ يمكن التغلب عليهما معا . ان اهم ما فى التربية ـ وفى الحياة كذلك ـ هو ان يكون لدى الطفل او الشاب احساس بالغرض قوى الى درجة تمكنه من «واجهة الصعاب والتغلب عليها . ان غرضا كهذا لا يمكن ان يبنى الا على (عقيدة) ، ولا يمكن تنمية هذه العقيدة الا فى زمن الصبا لكنه يجب ان تكون هذه (العقيدة) حسنة ، فالعقيدة السيئة هى السبب فى معظم ما نعانيه اليوم من اضطرابات 13

ويعتبر مونتكومرى تضليل الطفل او الشاب اخلاقيا من اعظم الجرائم فيقول : «سئلت ذات مرة عن رايى فى أسوأ جريمة يمكن ان يرتكبها اى انسان ؟ فاجبت بدون تردد : تضليل طفل او شاب اخلاقيا !

«واضفت الى ذلك قولى : ما من عقوبة تعد قاسية بحق انسان كهذا» 14 . ومن الواضح ان راى مونتكومرى هذا سليم الى ابعد الحدود ، لان الذى يضلل طفلا او شابا اخلاقيا ، سيقضى على مصدر الخير فيه ، وسيجعل منه بؤرة للفساد والشر ، اذ سيكون عملا من عوامل اشاعة الفساد والشر ، يهدم ولايبنى ، ويفسد ولا يصلح ، ويخرب ولا يعمر .

ان الوالدين اللذين لايربيان طفلهما تربية سليمة يضللان طفلهما ويحرمانه من ومضات النور والخير.

والمعلم الذى لا يعلم تلميذه تعليما ناجعا ، يضلل تلميذه ويفسد طبعه ويوجهه نحو الجهل والضياع .

فكم من اب او ام ضللا طفلهما عن عمد باهمالهما تربيته او عن غير عمد لجهلهما التربية السديدة .

وكم من معلم ضلل تلميذه لكسله او جهله او عدم تقديره المسؤولية الملقاة على عاتقه ، فاصبح ذلك التلميذ مشردا ، او لصا او قاتلا او تافها .

— 5 —

ويعود مونتكومرى الى تلخيص آرائه التربوية فيقول : ما هى النصيحة التى اقدمها للشباب كيف يستطيعون احراز مجد الفتوة ؟ انى اقدم اليهم الوصايا الاربع التالية :

«اولا : ليكن لديك شيء من رزانة الفكر ! ان ذلك لا يعنى ان الطفل او الشباب لا يجب ان يكون سعيدا نبيها ، بل بالعكس . ولكن انبه الناس هو من كان ذا بصيرة ، وقلب بسيط ، وضمير طاهر ومن يحاول قلبيا وبكل تواضع التمسك الشديد بتعاليم الدين .

«ان الملذات التى لا نهاية لها ، والفرص الضائعة والامتيازات التى يساء الاستفادة منها ـ كل هذه الامور لا تعوض عن ضياع الفضيلة ، وفقدان الرجولة وعدم احترام النفس .

ثانيا اوصيكم بالطاعة ، تلك الفضيلة التى سنى علمها السلطان ، وهى تعنى قبول قانون (الواجب) قانونا للحياة . ان الله سبحانه وتعالى يفوض شيئا من سلطته الى اخواننا البشر منذ السنين الاولى من حياتنا : يفوضه اولا الى ابوينا ، ومن ثم الى الذين يولون علينا ، فاحترام السلطة اذن واجب مقدس كما هو امر الهى ، وما من عصر انتهكت فيه حرمة هذا الامر الا وساد فيه الفساد . ان آمال الامم تتعلق باخلاص ابنائها وتواضعهم وفى طاعة شبيبتها واحترامهم لمن هو اكثر منهم سنا .

---

12 ـ السبيل الى القيادة 211 .
13 ـ السبيل الى القيادة 213 .
14 ـ السبيل الى القيادة 215 .

«ثالثا : اوصي بالجد والمثابرة ، فالوقت المتيسر للعمل والدراسة قصير وسن الصبا سرعان ما يمر من غير ان نشعر به الى دور الشباب فدور الرجولة.

«رابعا : لقد تعلمت في حياتي الخاصة ، ان صفات تزاله ضرورية للنجاح : العمل الشاق ، والاستقامة المطلقة ، والشجاعة الادبية ، وهي تعني علم خوف الانسان من قول ما يعتقده صوابا والثبات على هذا الاعتقـــاد 15 .

ولا يكتفي مونتكومري بهذا الباب من كتابه للحديث عن : (آرائه التربوية) ، بل يعود ثانية في الباب الخامس عشر الى عرض آرائه في التربية فيقول : «بالاضافة الى تزويد المدارس بنظام تربوي جيد ، وبمعلمين ماهرين ، يجب ان يتيسر فيها نظام سليم للتدريس الديني بالتعاون مع رجال الدين» 16 .

ثم يقول عن اثر المثال الشخصي الذي هو التطبيق العملي للنظريات التربوية : «والواقع ان التربية الفكرية والخلقية التي نزود بها اولادنا ، هي ليست بذاتها اهم الامور ، بل المهم هو ما سيفعلونه بهذه التربية ، والفائدة التي سيجنونها منها في السنين القادمة . ومن الواجب تخصيص قسم من هذه التربية لغرس الصفات التي هي جزء لا يتجزأ من القيادة الجيدة ويجب ان يقوم بذلك حيرة المعلمين الذين يمكن ان نحصل عليهم ، وان يقوموا به بالمثال الشخصي الحسن الذي يضربونه بانفسهم لتلاميذهم وطلابهم » 17 .

وفي ختام كتابه قال مونتكومري : «عندما انظر الى عالمكم اليوم ، يشابني القلق احيانا على الجيل الجديد ، عندهم مغريات لم نحصل عليها انا وانت 18 . ويبدو انهم ينضجون مبكرا ، ولكن ذلك يجري في عالم غير مامون ، وهم يميلون الى ان يجعلوا للامور (المادية) قيمة كبيرة ويهملوا (القيم الروحية) على الشباب ان يتسلح جيدا بالشعور (الروحي) اذا اراد الاينحرف او اراد الايجرفه التيار ..

«ان (الحرية) الحقيقية ، هي ان يكون لديك الخيار في ان تفعل ما (يجب) ان تفعله لا ما (تريد) ان تفعله ان هذه هي الحقيقة بعينها التي تواجه اي ولد ،وهي التوفيق بين ما (يريد) ان يفعله وبين ما يوحي اليه ضميره ان يفعله» 19.

تلك هي موجز آراء مونتكومري في (التربية المثالية) اعرضها للذين يتلقون الوحي من الاجنبي ، ويؤمنون بما يقوله دون مناقشة .

اما الذين يعرفون ما ورد عن : (التربية المثالية) في تراثنا العربي الاسلامي العظيم ، والذين درسوا هذا التراث بامعان من منابعه الاصليه ، فيعلمون ان آراء مونتكومري تعتبر تافهة عند موازنتها بآراء السلف الصالح من علمائنا الابرار .

وبكل صراحة وامانة ، اذكر انني نقلت آراء مونتكومري في التربية مضطرا وبعد تردد طويل ولكن ما حيلتي مع الذين تستهويهم آراء الاجانب ولا تستهويهم آراء الاقارب ؟ ؟ ! !

على كل ، فان العلم لا وطن له ، وباستطاعة من يشاء ان ينقل ما يشاء من علوم الآخرين وآرائهم ، على ان تكون تلك الآراء مفيدة وبناءة .

ولكن رايي الذي اومن به ، هو ان العربي المسلم اذا وجد في تراثه ما يتفوق على تراث الاجانب او يشابهه ، فلا ينبغي ان يغمط حق آبائه واخوته ليستورد من الابعدين ، او يتباهى باقوال الاجانب ويتنكر لاقوال قومه وبني عقيدته .

اننا بحاجة الى علوم الغرب ، ولكننا لسنا بحاجة الى مبادئه .

وكلمة اخرى ..

لو ابدى عربي مسلم مثل آراء مونتكومري في التربية فماذا يقول عنه ابناء جلدته المحدثون ؟ !

ان الاسلام اقوم المبادىء التي تبني الرجال والنساء وهو دين الخلق الكريم والفضيلة والعزة والمجد والسؤدد .

فمتى يعرف قيمة هذا الدين ابناؤه من العرب والمسلمين ؟ ؟ متى ؟ ؟

يتبـــع ان شـــاء اللـــه

---

15 ـ السبيل الى القيادة 217 .

16 ـ السبيل الى القيادة 291 .

17 ـ السبيل الى القيادة 282 .

18 يقصد الناس من جيله .

19 ـ السبيل الى القيادة 307 ـ 308 .

آفاق دولية :

نحو جعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة سلام

للأستاذ المهدي البرجالي

تعد منطقة البحر المتوسط من اكبر مناطق العالم اضطراما بالتناقضات الايديولوجية وتشعبات النظرة والممارسة السياسية

"لا ان هناك ـ مع ذلك ـ اتجاها مشتركا بين عدد من الدول المتوسطية تتلاقى خلاله حول الرغبة فى ابعاد المنطقة عن مخاطر التهديد النووى ، وتوفير الظروف المناسبة لتصير منطقة سلام وتعاون .

وفي التحليل التالى ، محاولة لاستباقة الآفاق الدولية التى تتسلسل فيها احوال الحرب والسلام بالمتوسط ، وذلك بما يمكن من رؤية التفاعلات التى تتطور فى مضمونها الاتجاهات الايجابية الحالية فى المنطقة .

حروب ساخنة ، وحرب باردة

انطلقت شرارة الحربين العالميتين فى النصف الاول لهذا القرن من البحر المتوسط (حادثة سراجيفو) او من المناطق المشارفة للمنطقة المتوسطية (بولندا) وان كانت عوامل انطلاق الشرارة فى حالة او اخرى قد تراكمت على مدى طويل ، متأثرة بالمنافسات الناجمة عن تناقض مصالحها الامبريالية .

وكما كان البحر المتوسط منطلق انفجار الحربين العالميتين مباشرة ، او ضمنا ، فانه كان مسرحا رئيسيا للصراع فى تلك الحربين (معارك الشام فى الحرب العالمية الاولى ـ معارك البلقان ـ ـ معارك صقليه فى الحرب العالمية الثانية) كما تطور فى محيطه عدد من التيفورات المؤذنة بالاتجاه نحو النصر بالنسبة لطرف من اطراف الصراع (فوز الحلفاء فى العلمين) او نحو الهزيمة بالنسبة لطرف اخر (تراجع المحور فى شمال افريقيا والغرب الاوروبى ، اثر نزول الحلفاء فى المغرب وتونس ، ثم فى نورماندى) .

واستوعبت المنطقة ـ الى ذلك ـ فصولا اساسية من التحرك السياسى الدولى الذى اسهم فى التأثير على سير الحرب وحسمها (مؤتمر آنفا مثلا) .

وفى عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث انقسم المعسكر المنتصر الى طرفين متعارضين وتغيرت ـ فى اتصال بذلك ـ الاطروحات الفكرية

الديموقراطية في مواجهة الفاشية) اصبح البحر الدولي (الرأسمالية في مقابلة الشيوعية بديل المتوسط من جديد مضمارا للتيارات المتعارضة في خضم هذا الصراع ، بعد ان عدت اقطار الضفة الشمالية منه موزعة بين الجبهتين المتصارعتين . ومستقطبة استقطابا حادا في نطاق هذه الكتلة او في حظيرة الكتلة الاخرى المضادة لها

ومما شهدته المنطقة المتوسطية من تفجرات الصراع الدولي في وضعه ذلك :

أ ـ استحواذ الشيوعيين على الحكم في اوروبا الشرقية والوسطى ، مع ما كان للامر من انعكاسات على المتوسط الشرقي اتوزع البلقان بين المعسكرين الشرقي والغربي) .

ب ـ قيام الحلف الغربي ، وانخراط عدد من الدول المتوسطية فيه (فرنسا ، ايطاليا ، تركيا ، اليونان) .

ج ـ قيام اسرائيل ، وانفساح صفحة النزاع العربي الاسرائيلي داخل الاطار الدولي الذي أصبح هذا الصراع يتطور فيه

واثناء الخمسينات ، ظل حوض المتوسط محيط توترات دولية حادة في مناخ الحرب الباردة بين الشرق والغرب .

وشهد في سياق الفترة ، تفاقم المضاعفات الناجمة عن الصراع بين العرب واسرائيل (حرب سنة 1956 مثلا) وهي المضاعفات التي استمرت اثناء العقدين التاليين (حربا سنة 1967 و 1973) بكل ما يرتبط بها من خلفيات دولية معقدة .

والى هذه النزاعات ذات البعد الدولي ، عرفت المنطقة سلسلة من المشابكات المحلية ، ارتبط بعضها بالصراع الايديولوجي العالمي (الحرب ضد الشيوعيين في اليونان اثناء الاربعينات) وتواصل بعضها عن انقسامات طائفية ذات تشعبات دولية محدودة (النزاع الطائفي بقبرص ومضاعفاته على العلاقات التركية اللاغريقية بينما تبلور بعضها الاخر ، كنتيجة لحالة من الصراع الطائفي ايضا ، الا انه صراع أكثر تعقيدا خاصة من حيث الملابسات الدولية المحيطة به (الازمة اللبنانية وملابساتها الشرق اوسطية ، والدولية) .

وبطبيعة الحال ، فان مجمل هذه التطورات التي ارتج بها حوض المتوسط ، انما كانت نتاجا لصراعات المصالح ، وتناقض الاتجاهات بين اقطار الضفة الشمالية للحوض (اوروبا) ضمن نطاق الصراع الاعم بين الشرق والغرب الذي تميزت به مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، ولم يكن يدخل في الحساب بهذا الشأن الجانب المتعلق بمصالح سكان الضفة الجنوبية للمتوسط (شمال افريقيا) ومآلهم من حوافز وتطلعات ، وما يجري في مسار حياتهم من تطورات تاريخية ومن ثم ، فان التحول الذي سجلته الخمسينات بتلاحق الثورات في المغرب العربي ضد الهيمنة الاوروبية ، وتعمق فاعليتها محليا ، واتساع ابعاد انعكاساتها الدولية ـ قد خلق وضعية ، جديدة في المنطقة المتوسطية ، ضغطت بكيفية قوية على اتجاه التفاعلات الدولية بالمنطقة ، وغيرت موازين العلاقات المترتبة عن ذلك تغييرا اساسيا وكان استقلال المغرب اواسط الخمسينات حدثا رائدا في هذا السياق التاريخي ، انفتحت به افاق التحول الفعال والجذري ، الذي عرفته المنطقة بهذا الصدد ، حيث انه ما ان انقضت سنوات قليلة جدا على المتوسط الشرقي ، توزع البلقان بين المعسكرين كل الضفة الجنوبية للمتوسط قد تحررت بكيفية شاملة .

منطقة المتوسط ساحة تراجع الحرب الباردة :

كان القرن الحاضر قد انتصف قبل بضع سنوات حين افضى المغرب الى احراز استقلاله ، وطبعا فقد شكل الحدث ـ بالنسبة لهذه البلاد ـ منعطفا تاريخيا في حاضرها آنذاك ، ووجهتها المستقبلية ، الا انه ـ بصرف النظر عن هذا المضمون المغربي الذي احتواه الظرف ، فان التاريخ في منظوره العالمي الاوسع كان يتهيأ ـ ساعتها ـ للتمخض عن تطورات جوهرية تشمل

آفاقها ، الاتجاه التدريجي نحو التخفيف من حدة الحرب الباردة بين الشرق والغرب ، وتسرب بعض عوامل المرونة على حالة الاستقطاب الشديد في كيانات واتجاهات التكتلات الدولية الكبرى ، خاصة حلف الاطلسي ووارسو ، والارهاص بظهور مواقع جديدة للاستقطاب خارج المواقع التقليدية المتمثلة في المعسكرين الشيوعي والراسمالي وبدء تبلور دلالات

مؤذنة ـ بتحولات واسعة في خريطة العلاقات الدولية على العموم .

والواقع ان آثار هذه التغيرات لم تتجل بكيفية ملموسة الا في غضون العقد السادس وما تلاه ، الا ان المؤثرات الدالة عليها بدأت في الظهور خلال النصف الثاني من الخمسينات بعد ان مضى على نهاية الحرب العالمية الثانية اكثر من عشر سنوات كانت كافية لادخال تغيير فعلي على نظرة الاطراف المتشابكة في الحرب الباردة ـ الى الاطروحات القائمة عليها المواجهة بينها والى طبيعة الاسلوب المتبع في الصراع وغاياته .

وقد تتابع مسلسل التراجع عن ساحة الحرب الباردة، متأثرا بالمناخ الدولي الذي أخذ يسود العالم في اثناء الستينات ومؤثرا فيه ، ومن بين ما كان من حوافز هذا التراجع :

1) بلوغ السباق الدولي مجال توازن الرعب ، الى طريق مسدود .

2) آثار التطور التقني في مضمار الاسلحة الكنيكية ، على الاوضاع التقليدية للتخطيط الستراتيجي ، وتقلص حجم الحاجة ـ نتيجة لذلك ـ الى القواعد في البلدان الاجنبية .

3) تخلخل متانة التماسك داخل الاحلاف القائمة وانفتاح ثغرات واسعة بهذه الصورة في بنياتها ، (حالة يوغوسلافيا ورومانيا والصين في المعسكر الشيوعي ، وحالة فرنسا في المعسكر الغربي) .

4) انهيار النظام الاستعماري ، واتجاه الدول المتحررة منه الى سلوك سبيل خاص بها في سياساتها الدولية باستقلال مطلق او نسبي عن هذا المعسكر او ذاك

5) الانعكاسات المالية والاقتصادية لسباق التطوير المستمر للاسلحة والاسلحة المضادة ، وما اسفر عنه الاتجاه المحموم الذي ساد جبهات الصراع الدولية الكبرى بهذا الشأن ـ من اثر في ارهاق الطاقة الاقتصادية للبلاد المعنية ، ورفع نسبة التضخم عندها وربما ينطوي عليه من مضاعفات مختلفة .

المنطقة المتوسطية في تطورات الاتجاه نحو الانفراج الدولي :

استقطبت منطقة البحر المتوسط ـ كما استعرضنا ذلك في الفقرة الاولى ـ جانبا اساسيا من اسباب فاعلية المواجهة بين الاطراف الدولية في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، وكان لمحورية موقع المنطقة بين مختلف القارات ، ووجود اوروبا فيها ـ وهي بؤرة الصراعات الدولية الكبرى في العالم الحديث ومنطلقها ـ دخل في الامر على نطاق مهم .

ولنفس الاعتبارات ، كانت المنطقة ايضا مجالا رئيسيا لظواهر التغيير الذي حصل في العلاقات الدولية خلال العقدين الاخيرين ، حين اخذت سياسة الوفاق بين الشرق والغرب تحل بالتدريج ـ محل الحرب الباردة ، وارتفعت في الافق الدعوات للتعايش بين الانظمة الاقتصادية والاجتماعية المختلفة ، وخفتت توازع الاندفاع نحو الصراع المسلح بين المعسكرين الرئيسيين في العالم ، لتقوم مقامها فكرة اعتماد المنافسة السلمية كأداة لتحقيق التفوق الذي يبتغيه احدهما على حساب الآخر .

وصحيح ان هذه التحولات في السياسة الدولية ، قد تبلورت في ظل مناخ فكري وسياسي عالمي ، يفسح لها بين الشرق والغرب في مجموعه ، ولا ينحصر في منطقة البحر المتوسط بالذات ، الا انه يجب ان يوضع في الاعتبار انها ـ اي هذه التحولات لم يكن لها التحصل الا تحت ضغط مؤثرات فكرية وسياسية مختلفة ، توالت خلال امد طويل على الصعيد العالمي ، وتحت تأثير هذه التفاعلات العالمية التي طال امد اختمارها اثناء العقد الخامس واوائل السادس ، فحدثت تبلورات اساسية على سطح الحياة الدولية برز من خلالها الاتجاه الذي اصبح يحدو الدول الكبرى الى مراجعة الوضعية الدولية الناجمة عما بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث كانت تلك الدول تستقطب مقدرات العالم الستراتيجية والسياسية ، وانفسح المجال لوجهة جديدة عند هذه الدول ، تتميز بالبحث على اسس علاقات مرنة ومتطورة فيما بينها ، والسعي لبناء صلات متفتحة ـ بقدرها ـ مع الجهات الاخرى في العالم .

وقد كان هذا التحول ولا شك وليد حتميات تاريخية قوامها ، الا ضرورة تدعو الى استمرار الاحوال

الناجمة عن عالم ما بعد الحرب الى ما نهاية له ، خصوصا في ظل الظروف المحفوزة بسرعة عوامل التطور ، التي كان من اللازم ان تسود العالم في اعقاب الحرب .

وفي نطاق هذه النظرة الشمولية للامور ، المستمدة من طبيعة سنن التاريخ، نتبين سلسلة من الظواهر مما حفل به المسرح الدولي في خلال العقدين الاخيرين ، وقد نتبنا الكثير منها في منطقة البحر المتوسط ليؤثر بثقله في اعادة صياغة كثير من اوضاع العلاقات الدولية ، وليعبر عن عمق التيار التاريخي الذي اصبح يحتم هذه المراجعة ، ويوسع نطاقها .

ومن بين الظواهر المؤثرة من هذه القبيل التي عرفتها منطقة المتوسط ، في خلال العقدين الاخيرين وهي واقعة في نفس السياق التاريخي الموجودة فيه النقط الاخرى التي عرضنا لها من قبل ، ومن ثم امكانية جمع هذه وتلك ، وفي نسق واحد ـ اذا اريد ذلك ـ على الرغم من اختلاف حجمها التاريخي وملابساتها الفكرية وما تنطوي عليه من تأثير ، ونذكر من هذه الظواهر :

1) بروز فكرة الحياد الايجابي وعدم الانحياز ، وهي فكرة النقت فيها الصفة الجنوبية للبحر المتوسط مع دولة من الضفة الشمالية (يوغوسلافيا) وكان مظهر هذا التلاقي الفكري السياسي في حد ذاته ، ايذانا بحالة تطور في الفكر الدولي بحوض المتوسط ، ذي دلالات تاريخية رائدة .

ب) تطور النظرة الى الالتزام المذهبي في اوساط شيوعية مختلفة باوروبا ، واتجاه ذلك التطور الى القول عند احزاب ماركسية اوروبية مهمة كالحزب الشيوعي الايطالي ، بتعدد المحاور الشيوعية ، وتنوع الاجتهادات في مضمون الفكر الماركسي ، وقد كانت منطقة المتوسط منبثق مثل هذه الاتجاهات التي اصبحت تعكس ـ بالفعل ـ وجهة مطاع من الراي العام الاوروبي على جانب كبير من الاهمية فكريا وسياسيا .

ج) امتداد مضاعفات الخلاف الروسي الصيني الى ساحة المتوسط ، نتيجة لاقحام موقف البانيا ـ خاصة قبل الآونة الاخيرة ـ مع الاتجاه الصيني في مضمار الايديولوجية الشيوعية ، وقضايا السياسة الخارجية ، وعلى الرغم من ان «حالة» البانيا في هذا النطاق ـ لم يؤدعميا ـ الى خلق وضع مثير في منطقة المتوسط ، فان الامر شكل ـ على اي حال ـ ظاهرة دولية لها شان يذكر ، خاصة في نطاق الاعتبار الخاص بتماسك الكتلة الشيوعية واتساق وحداتها .

د) تزايد معارضة الاقطار المشرفة على المتوسط ، لوجود اساطيل الدول الكبرى في مياهه ، والالحاح المتواتر على ضرورة تجريد المنطقة من الاسلحة النووية ، واعلانها منطقة سلام وتعاون ، والسلفت للنظران مثل هذه المطالبات الداعية الى تحييد المنطقة في خضم الصراع الدولي ، ليست صادرة فقط عن الدول المعتنقة لمبدا الحياد ، بل تروج لها كذلك ـ بصيغ مختلفة ـ بعض البلدان المرتبطة على وجه او آخر بنظام الاحلاف والتكتلات : وهو امر ذو بال في مضمار التطورات الدولية ، ومن الضروري ان تكون له انعكاسات ما ، على مستقبل الصراع بين الدول الكبرى .

نحو صيغة سلام بالبحر المتوسط في اطار التعدد والتباين :

هذه التحولات التي استوعبت اصولها ، أو تفرعاتها منطقة البحر المتوسط في تفاعل هذه المنطقة مع تيارات التطور العالمي خلال العقود الاخيرة منذ نهاية الحرب ـ تتضافر كلها ـ كما راينا في غضون الفقرات السالفة ـ على تاكيد الاتجاه نحو تخفيف التوتر الدولي ، وترسيخ عوامل الانفراج بين الشرق والغرب ، كما انها لم تفتأ تتكشف ـ في نفس السياق ـ عن تصاعد فاعلية الدول الصغرى المتساكنة على ضفتي الحوض الموسطي ، وما اصبحت تستطيع احداثه من تاثيرات بناءة في دعم الاتجاهات السلمية بالمنطقة ، وتقوية النزوع الى مزيد من التقارب بين مختلف الاتجاهات فيها ، وذلك رغما عن استمرار بعض بؤر التوتر في عين المكان ، وبعضها مفتعل ولا مسوغ له (التوتر الذي احدثته السياسة الجزائرية في منطقة المغرب العربي) .

ومن ايجابى المؤشرات المنبئة عن اهمية هذا الاتجاه فى عالم البحر المتوسط :

أ ـ بدء تحول الراى العام الاوروبى بعد حرب اكتوبر 1973 عن ايلاء المساندة المطلقة واللامشروطة لاسرائيل ، وتفتحه التدريجى على القضية الفلسطينية.

ب ـ انبثاق فكرة الحوار العربى الاوروبى ، وتواتر اللقاءات فى نطاقها بين العرب والمجموعة الاوروبية لمحاولة ايجاد ارضية للتفاهم والتعاون بين الجانبين .

جـ ـ تفتح بعض الاقطار الملتزمة داخل الاحلاف على المعسكر الآخر الذى تقف مبدئيا فى مجابهته بحكم التزاماتها التحالفية ،تطور العلاقات التركية والايرانية مع الاتحاد السوفياتى ـ ذويان الجليد فى مضمار العلاقات الاقتصادية بين بعض اعضاء «الكوميكون» وبين الغرب بما فيه الاقطار الغربية المتوسطية).

د ـ تطور الاوضاع بالبحر المتوسط فى اتجاه تصفية آخر الجيوب الاستعمارية بالمنطقة ، (تصفية الاستعمار الاسبانى بالصحراء المغربية) ووضع حد لبقايا الحروب الاستعمارية المنطقة مصادرها من الناحية (انهاء الامبراطورية البرتغالية فى افريقيا) ومن الجلى ، اهمية المؤثرات الايجابية لهذه التطورات على صعيد الحوض المتوسطى ، علما بما ادى اليه بعضها (تصفية الاستعمار الاسبانى) من تفادى بعض حالات الصراع التى كان من الجائز نشوبها فى المنطقة ، وما افضى اليه بعضها الآخر (تصفية الاستعمار البرتغالى) من اقصاء لمصدر من مصادر التطرف الاستعمارى الذى كان مشحونا ـ حالة وجوده ـ بالكثير من الاحتمالات المتفجرة .

و ـ الانعكاسات غير المباشرة للتقارب بين الشرق والغرب على اساس تحديد السباق فى موضوع الاسلحة الستراتيجية ، وتقريب شقة التفاهم بين طرفى القارة الاوروبية .

ومن الاكيد ان مزيدا من التلاقى والتفاعل بين هذه النزوعات البناءة التى يتمخض عنها قطاع البحر المتوسط او تنعكس عليه ، لمما سيضاعف من فرص التعاون والتبادل فى المنطقة ، ويعزز توافر الظروف التى يجب ان تفضى ـ كما تتمناه الاقطار المتوسطية الى جعل الحوض الذى تتساكن حواليه ، بحيرة سلام وتعايش .

موقف الاسلام من التنمية الاقتصادية

اقرأ دراسة فى الموضوع للدكتور ابراهيم دسوقي أباظة فى العدد القادم ان شاء الله

من أساليب الحرب الفكرية والنفسية

للأستاذ ابو عبدالله عبد القادر البوشيخي

في البداية اذكر بما جاء في الحلقة السابقة (عزل الاسلام وعلمائه وتغريب المجتمعات الاسلامية) وهو أن عملية القارة على العالم الاسلامي تمر الآن بمرحلتها الثالثة ، كانت المرحلة الاولى هجوما حاميا صارخا بالسيف والخيل والمنجنيق ، أرضه حوافر وحديد، وسماؤه رايات صليبية ودخان ونقع ونار ، وكانت الثانية هجوما سافرا صامتا أيضا ، أرضه دبابات وشركات واحتكارات ، وسماؤه الاسجيل والقروض والمساعدة «والمحبة والاخاء والاحسان» اما المرحلة الحالية فهجوم صامت بارد مقنع ، خفي ملفوف ومغلوف ، أرضه أقلام وبيادق وأشباح ، وسماؤه العلم والفكر والثقافة والادب .

فما شعار الحضارة الحديثة واعلام العلم ورايات الآراء المعاصرة ـ والمسيحية ايضا ـ الا ظلال واقنعة تخفي ملامح الوجه البشع للهجمة الشرسة الجشعة الحاقدة على الاسلام والمسلمين(1) ، لقد استفاد الغرب من المرحلتين السابقتين دروسا وتجارب وخبرات عدته الى اعادة الكرة ولكن بعد ان يضع على رأسه «طاقية الاخفاء»(2) أي أنه يطبق خدعة «حصان طروادة» بأسلوب عصري متناسب ، وما هو هذا الحصان ؟ وكيف أخرج وملئت بنادقه بارودا وقيد ويقاد اليوم ؟

1 حصان طروادة قديم ، حصان طروادة جديد

حصان طروادة قديم حصان طروادة جديد ، ونعود الى الحصان القديم : طروادة مدينة في آسيا حاصرها اليونان ـ 1193 ق م نظرا لحصانتها ومناعتها واستماتة أهلها في الدفاع عن العرض والشرف ، وعندما لجأوا الى سلاح الخداع والحرب خدعة كما قال الرسول عليه السلام ، فصنعوا حصانا ضخما من الخشب فوق قاعدة خشبية تحملها عجلات من خشب ، وأدخلوا في جوفه رجالا شجعانا مسلحين ، وتظاهروا بالانسحاب والعودة الى بلادهم تاركين بعض الاثقال ، وخرج أهل المدينة وجمعوا مخلفات المنسحبين ، وكان الحصان العجيب «أثمن» غنيمة باردة تدخل المدينة المنيعة

وفي الليل ـ والليل في خدعة الحصان الحديث هو حالة الغموض التي تحدث عنها مالك بن نبي عشر سنوات دون ان يتمكنوا من فتحها واقتحامها حيث لا يتميز بكامل الوضوح العدو من الصديق والاعلى من الاجنبي والاصيل من الدخيل ـ وفي الليل

---

1 يقول المجاهد محمد محمود الصواف وفي الحقيقة والواقع فان جميع حملات المستشرقين والمبشرين على الاسلام ومكافحتهم له ولعبادته واهله ، ما هي الا ثمرات من الحروب الصليبية واتخذت حملات اليوم جلباب العلم الكاذب . المخططات ص 116 .

2 يقول المرحوم مالك بن نبي : ان الاستعمار يعتمد في حربه الفكرية على مبدأين هما : مبدأ الغموض ومبدأ الفعالية فالمبدأ الاول يقضي بالايكشف الاستعمار النقاب عن وجهه في المعركة الا اذا لم تترك له الظروف حيلة ، فهو دائما او غالبا يستخدم قناع القابلية للاستعمار الصراع الفكري طبعة ثانية ص 62 والذي يهمنا من كلامه في هذه الحلقة هو مبدأ الغموض الذي يتوسل الى اغراضه بالنقاب والقناع .

خرج الرجال المسلحون من جو الحصان ، وذبحوا الحراس وفتحوا أبواب المدينة ، واشعلوا نيرانا كان متفقا على اشعالها كاعلان عن نجاح الخدعة ، والنهاية مسروقة ، فقد اقتحم اليونان المدينة واستباحوها وخربوها .

حصان طروادة الجديد : هاجم الصليبيون مدينة حصينة منيعة عالية الاسوار مسلحة الابراج حديدية الابواب اسمها الاسلام ، هاجموها ليس عشر سنوات فقط كما فعل اليونان ، بل قرنين كاملين ، وعندما تحطمت قواهم وانهارت معنوياتهم أمام مقاومة الاسوار الاسلامية رجعوا الى بلادهم يجرون اذيال الذل والحسرة والخيبة والخسران ، وهناك فكروا او قدروا ودبروا ، وانتهى تفكيرهم الى تطبيق خدعة اجدادهم الاقدمين ، فصنعوا «حصانا» من المبشرين والمستشرقين والمفكرين ـ اجانب و«اهليين» وملأوا جوفه افكارا ـ وبتعبير اصح الغاما ـ وادخوه الى مدينتنا الحصينة ، وقد خرج العملاء من جوف الحصان مسلحين بالغام وقنابل الافكار ، الا أن الحراس انتبهوا والقيادة متيقظة ، والمعركة الآن انما هي معركة أفكار بين المذاهب والمبادىء الاسلامية ـ التي عزلت وحوصرت في مرحلة ضعف بدأت تنحسر الآن ـ وبين الافكار والمبادىء التي تسربت تحت جنح الظلام الى بعض الابنية والمخابىء واختفت هناك وتفننت ، ومن مخابئها ومكامنها تنطلق القذائف والقنابل الفكرية الهادفة الى تخريب المدينة وتمكين المتسحبين من العودة ، والاستباحة والاستعباد .

واذا عدنا باذهاننا الى ما جاء في الحلقة الاولى من هذا المقال من الاقوال والآراء المتنبئة بيقظة الاسلام واستعادة سطوته وقوته ـ حكمنا حكما جازما أن نهاية المعركة هي انتصارنا وطرد الدخلاء رجالا وأفكارا ، وان الباطل كان زهوقا .

لكن الانتصار لاينزل هبة من السماء اذا لم تتوسل اليه باسباب العمل ، ولو كان الله سبحانه ينصر الحق دون دفاع لما اضطر رسولنا عليه السلام الى خوض معارك طاحنة ضد وثنيي ويهود الجزيرة العربية ولما قارع أجدادنا حملات التتار والصليبيين ، ولما تسلح مفكرونا ومثقفونا حاليا ببنادق الاقلام ورصاص الحبر ، وأداروا مدافع المطابع ، ونصبوا رادارات التصور ومراصد الاستقراء لتتبع خط المعركة الفكرية ، واستنتاج قوانينها وحصر اساليبها ، وكشف أوكارها ومكامنها ، تمهيدا للهجوم المضاد ورد العدوان «والرأي قبل شجاعة الشجعان» .

3 ـ الدفاع عن السكن ام الساكنين

أعتقد أن الجهود التي تبذل حاليا في عملية البعث الاسلامي ـ في العالم الاسلامي عامة والمغرب خاصة ـ يجب الا تقتصر في مرحلتها الحالية على الدفاع عن الاسلام كعقيدة وشريعة صالحة لكل زمان ومكان ، والرد على الدعاوى المضادة والافتراءات والشبهات ، فبالاضافة الى أن الاسلام لم يعد هدفا مباشرا يهاجم مهاجمة سافرة داخل العالم الاسلامي وانما بوسائل مقنعة فان للقرآن الكريم قوة ذاتية ومناعة وحصانة الهية قادرة على رد وصد وتحطيم الافكار والمبادىء عندما تهاجمه مجردة من الاقنعة والاغفة واللفائف ، كما سأوضح في حلقة «القرآن والمبشرون» ولهذا أرى أن الجهود يجب أن تصرف أيضا الى الدفاع عن المسلمين وتبصيرهم بالوسائل الخبيثة التي تستعملها الحرب الفكرية في سبيل السيطرة على نفوسهم وتعطيل فعالية الاسلام الكامنة في أعماقهم .

انني أرى من التبذير والاسراف أن تصرف الاموال الطائلة والجهود والوقت في الدعوة الى عالمية الاسلام ، في الوقت الذي لا تزال فيه أرضنا مزروعة بافكار ومبادىء معوقة ومعرقلة لانطلاق الاسلام ، وفي الوقت الذي تعطى فيه حياتنا وسلوكنا ونظرتنا الى الوجود مثالا صارخا على تنكرنا للاسلام وإبعاده ومحاصرته وعزله !

ان الوسيلة السليمة والطريقة المثلى القوية لتحقيق عالمية الاسلام هي القدوة والمثال ، لا الدعوات والافكار والنظريات المجردة التي تسقطها عادة عند اصطدامها بالواقع الاسلامي المتخلف يجب أن يكون العالم الاسلامي برقيه وتقدمه وحضارته مثالا ومنارة وواجبة لساعة تجذب اليها بقية الشعوب الباحثة عن النور والحضارة الانسانية المتوازنة روحيا وماديا ، والشرط الجوهري الاساسي لبناء حضارة اسلامية راقية هو تطهير الارض الاسلامية أولا من الطفيليات والالغام وتنقية التربة وتصفيتها ، والا كنا كمن يبني قصورا فوق الرمال أو على اسس ملغومة .

فنقطة الانطلاق اذن هي المسلم هي الدماغ والقلب والنفس حيث تسكن وتعشعش وتفرخ الافكار التي بثها هناك رجال الحصان الطروادي ، فما دامت هذه التربة النفسية ملغومة فلن تتمكن اطلاقا من اقامة هيكل اسلامي سليم ، وما دامت هناك الافكار المعطلة لفعالية الاسلام ، فان هجماتنا على المبشرين والمرتزقة والمستشرقين والعملاء من ابناء جلدتنا لن تجدي فتيلا . يقول المرحوم مالك بن نبي في هذا الموضوع: «ويجب أن نضيف الى هذا أنه كلما وضعنا أنفسنا في فصل كهذا ـ يقصد محاربة الظل والقناع ـ فان الاستعمار سوف يكلف الاخصائيين في لعبة الظل ليصور لنا معركة خيالية تصرف المسؤولين في البلاد الاسلامية عن المشاكل الحقيقية ، وهذا ما نشعر به أولا ازاء بعض المشاريع ذات الشان، حينما يحاول من يقوم بها ، أو يجند الافكار والاقلام والاموال للدفاع عن الاسلام من هجمات المستشرقين، فاذا بالاستعمار يبدي ارتياحه لمثل هذه المشاريع حينما يأتيه نبؤها ، ان لم نقل أنه أوحى ، من بعيد بفكرتها لانها سوف تصرف الاموال والاقلام والافكار عن الاشياء الجدية ، كما نشعر أنه سوف يبدي قلقة ، لو ان احدا انفلت من تأثير سحره وحاوله ان يقول ان المشكلة ليست في الدفاع عن الاسلام الذي يجد في جوهره حصانته من عطاء الله اليه ـ ولكن في تعليم المسلمين كيفية الدفاع عن أنفسهم بما في الاسلام من وسائل الدفاع .

فالاستعمار ينضب حينما يتوقع بان المشكلة سوف توضع هكذا ، اذ بذلك سوف يفلت من يده زمام الامور ، وان القضية سوف تخرج من عالم الميتافيزيقيا والظلام لتدخل عالم الجد ، وتصبح قضية مطروحة لعلم النفس والاجتماع لتدرس على ضوئها الشروط التي تشجع الاستعمار ، أو تنسي القابلية للاستعمار» الصراع الفكري طبعة ثانية ص 122.

فالمشكلة كما يراها مالك بن نبي وبعض الاصلاحيين الذين يرون ما يرى هي البحث في كيفية تخليص المسلم من « القابلية للاستعمار » والقابلية للاستعمار الفكري تعني الذوبان في بيئة الغرب واعتناق مبادئه وفلسفته ونظرته شعوريا أو لاشعوريا وبالتالي استعبادا واستسلاما له ، وقد تقدم أن الاستعمار الفكري وهو في طريقه الى غرس أفكاره يلجأ الى قناع يزرع بواسطته أفكارا معينة في نفس المسلم حتى اذا ذابت وانحلت وامتزجت بنفسه كونت الحالة المسماة بالقابلية للاستعمار انظر الهامش رقم 2).

والسؤال الاساسي هنا هو كيف نخلص المسلم من القابلية للاستعمار الفكري ؟ وبالتالي كيف نمزق الاقنعة التي يختفي خلفها الاستعمار ـ ويتوسل بواسطتها الى تحقيق أغراضه دون مقاومة ـ ونكشف عن وجهه البشع الجشع الحقود فنعطل مفعول أفكاره ؟(3) .

للاجابة على هذا السؤال نعود ثانية الى حصان طروادة الجديد لنحلل تركيبه ونستخلص العناصر والمواد التي استعملت في بنائه ، وكيف استعمل كقناع وملء جوفه بالاقنعة والاغلفة والنفائف .

نظرا للوقت الطويل الذي يستغرقه تحرير وقراءة تحليل هذا الحصان القناع ـ اذ يتكىء كلية على تقديم استشهادات من كتب ومراجع عديدة ، وتطبيقا لقاعدة من قواعد علم النفس تقول «ان الموضوع المفتوح أشد تأثيرا من الموضوع المغلق» وتعني في احد تطبيقاتها أن الحديث عن موضوع ما اذا ابتدا وانتهى في جلسة واحدة ، فان آثاره سرعان ما تتلاشى وتنسى بخلاف اذا ما بدىء الحديث بتمهيد قوي مثير ثم توقف قبل النهاية ، فان العقل الباطن يظل طوال المدة الفاصلة بين التوقف والاستئناف يفكر في الموضوع ـ رغم نسيان العقل الواعي له ـ

3 يعرف (انجلز) تلميذ وشريك ماركس ، ولاغضاضه في الاستشهاد برايه مادام حقا ولاسيما اذا كان يتصب على الحرب الفكرية التي يعتبر الشيوعيون قادتها واساتذتها حاليا بعد تلمذهم على الصهيونية مخترعة الحرب الفكرية ـ اقول يعرف الايديولوجية وهي الحرب العقائدية كمايلي : «هي مجموعة من الافكار تعيش حياة مستقلة لا تخضع الا لقوانينها الخاصة . ان ظروف الحياة المادية التي يحياها الرجال الذين تجري في أدمغتهم هذه العملية الفكرية تتوار في التحليل الاخير خط سير هذه العملية . ولكن اولائك الرجال يجهلون تلك الحقيقة ولو عملوا بها لكانت انتهت الايدلوجية . النكسة والخطأ اولى ص 33 .

صارفا جهده في هضم وتمثيل الجزء المتقدم من الموضوع ، محاولا تصور النهاية ، باعثا في النفس الشوق والرغبة في استقبال الجزء الذي لا زال مجهولا وكشف غموضه وانهاء حالة التوتر التي أوجدها الانتظار . (وهذه احدى القواعد الهامة التي تعتمد عليها الحرب الاعلامية) نظرا لكل هذه الاعتبارات ارجيء الجواب عن السؤال السابق – كيف نمزق قناع الاستعمار – الى حلقة قادمة بعنوان «حصان طروادة الجديد» .

وابادر فاقول انني باستعمال هذا الاسلوب التشويقي لا اقصد به السادة العلماء الافاضل المطلعين على اوكار ومخابيء ومكامن الافعى النفسية والمتتبعين لاتجاهات وتمددات اذرعها الاخطبوطية ، ومراوغاتها وخبث وسائلها في نفث سمومها ، والعارفين باسرار واساليب الحرب الفكرية اضعاف ما اعرف ، وانما اقصد بالذات طبقة خاصة من المثقفين ، اختنوا بالاساليب التبشيرية – الدينية والفكرية – وخدعوا ببريق الحضارة الغربية (4) فاصبحوا مبشرين بها دون ان يفطنوا الى ما في خباياها وثناياها من بذور التخريب والتدمير لكيان مجتمعهم وكيانهم ذاته ، وبعملهم هذا اصبحوا يكونون قطعة او مسمارا في الحصان الطروادي دون ان يشعروا .

---

(4) لست ادعو الى رفض الحضارة الغربية جملة وتفصيلا ، ففيها لباب وقشور ، وقد اشرت سابقا الى الفرق بين التحديث والتجديد ، والتغريب .

سئل لابلاس العالم الفلكي الشهير ، صاحب الراي السائد ان العالم تكون في بدايته كرة ضبابية تفجرت وصدرت منها الاجرام السماوية ومنها ارضنا ، سئل « لماذا لم يتكر الله في ابحاثه الفلكية ؟ فاجاب : لانني لم اجد حاجة الى ذلك ، لان الله خلف كل بحث تناولته او اي رأي ابديته . الله خلق كل ظاهرة في الكون والطبيعة والحياة » .

الشاعر الوزير محمد بن موسى (1)

دراسة وشهادة

للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

تمهيـــــــد

شدني الى شعر ابن موسى اعجاب قوى منذ سن مبكرة من حياتي ، سن الطلب والتحصيل ، تلك السن التي تبرعمت خلالهـا في الاعماق الرغبـة في ارتياد آفاق المعرفة ، فالهب الاصرار العـزم على المضي في الطريق قدما لاكتساب المعارف لاجـل المعارف وحدها ، وضمن هذا الولع بالمعارف اتفقت مع بعض الاخوان على انشاء مجلة اسميناها (النصر) تيمنا بالنصر الذي احرزه المغرب في انتفاضته على الاستعمار البغيض الغاشم ، وحصوله على سيادته واستقلاله ، وكان ذلك في محرم عام 1377 موافق غشت 1957 وصدرت المجلة ، وبدأنا ننشر فيهـا بواكير اعمالنا ، وشارك فيها اساتذتنا ، واخـوان آخرون باناجاتهم ، وكان اخي الاسـتاذ محمد ابـو خبزة من الذين يشاركون فيها ، فمدنا بقصائد شاعرنا ـ وكان من اصدقائه المقربين ـ واذكر ان اول عمل شعري نشرناه له مولدية رائعة يقول في مستهلها :

واها لعهد باكناف الحمى سلفـا
لم استطب اسفا من بعده خلفا

الوى فما جذوة الاشواق كاتمة
وجدا ولا الدمع في اخمادها وقفا(1)

وهكذا اخذنا ننشر لشاعرنا انتاجه الشعـري طيلة صدور المجلة المذكـورة الى ان توقفـت عن الصدور عام 1380 .

وشاء الله لي ان اطلع على اعمال ابن موسـى رحمه الله ، وان احتك به احتكاكا ، وان أعيش معه لحظات مقوفة خصبة في عالمه الشعري المعطـاء ، فاعجبت به اي اعجاب ، وليس من تفسـير لهـذا الاعجاب الا انني وجدت في عمله اصداء شعرائنـا القدامى الذين صاحبتهم مدة غير قصيرة ، واستظهرت نماذج من اشعارهم امثال المتنبي وابي تمام والبحتري وابن الرومي وغيرهم من اقطاب الشعر العربي .

تلك هي صلتي الاولى بشعر ابن موسى ، وبعد مرور الايام والسنين وجدت نفسي مشدودا مـرة اخرى الى شعر هذا الشاعر فاكببت على قراءته مرة اخرى وعشت معه ردحا من الزمن املمه باعمـان ، مستمتعا بخصب العطاء ، وقوة التعبير وصفاء اللغة وصدق الشعور ، فاتضحت لي ملامحه الشعريـة وخصائصه بجلاء ووضوح ، مما جعلني احله من نفسي محلا عزيزا اكثر من ذي قبل ، وعـن لي ان اجمـع شعره ـ وكذلك نثره ـ بعد ان اقتنعت مع نفسي ان الرجل له وزن كبير وثقيل في شعرنا العربي بعامـة

(1) مجلة النصر العدد الثاني ـ السنة 1 ـ صفر ـ ربيع الاول عام 1377 ـ شتنبر ـ اكتوبر 1957 ص 6 وما بعدها .

والمغربي بخاصة ، وانه يمتلك شاعرية من الطراز الكلاسيكي الفريد لا يشاركه فيها ـ بدون مبالغة ـ احد من معاصريه الا القليل النادر جدا ، لذلك اعتبره ـ كما سياتي في الدراسة ـ خاتمة الكلاسيكيين في المغرب على النمط الرفيع ، وهذا ما دفعني الى ان اكتب عنه بحثا تحت عنوان (محمد ابن موسى شاعر من الجيل الماضي) بهذه المجلة (2) ، سلطت فيه الاضواء على أعماله الشعرية وعرفت به كشاعر كلاسيكي متميز بقوة النسج والنفس الطويل ورصانة التعبير وثراء الخيال .

وسرت في الطريق ، وعزمة الاصرار تشد من ازري ، أجمع شعره ونثره مما ليس تحت يدي لتحقيقهما ودراستهما دراسة وافية ونشرهما ، وراجعت المجلات والصحف (3) التي تولت نشر انتاجه والتي كان اكثرها يصدر بتطوان ، واتصلت باخي الاستاذ محمد ابي خبزة السالف الذكر باعتباره صديق الشاعر ومن المعجبين بشعره فعمرني بفضله وكرمه ـ وسوف لا انسى له هذه اليد السخية ـ وامدني بما عنده ـ وهو الكثير ـ من اعمال الشاعر الشعرية والنثرية في حالتيه ـ كما هي عادته دائما في مجال الفكر ـ ولولا امداده ما رأت هذه الدراسة النور ، وما سنى لي تحقيق ديوانه ، واتصلت كذلك بأساتذي الجليل السيد عبد الله كنون وبالاخ الاستاذ السيد سعيد اعراب وخالي الاستاذ السيد الحسن ابن عبد الوهاب فامدوني بما لديهم من شعر ابن موسى ـ جزاهم الله خيرا على لغة القرآن ـ واستطعت بفضل الله ثم بفضل هذه الصفوة من الاساتذة ـ ان اجمع جل ما تحدث به يراعه شعرا ونثرا ، غير انني آثرت الاقتصار على تحقيق شعره ليس غير ، واثبات ملحق لبعض نماذج من نثره الجيد في آخر الديوان مع دراسة مقتضبة عنها مرجئا اخراج نثره ودراسته باسهاب الى فرصة اخرى ان مد الله في العمر .

هذه قصتي كاملة مع شعر ابن موسى ، وهذه هي دراستي عن شعره سأوالي نشرها في حلقات ان شاء الله بهذه المجلة . حاولت فيها اعطاء لمحة تاريخية عن شعرنا المغربي منذ القرن الماضي والتركيز على الروافد التي أمدته انطلاقا لدراسة شعره ، كما حاولت الكشف عن حياة الشاعر بما توافر لدي من معلومات عنه ، واستقراء ثقافته من خلال شعره ونثره وتقري المضامين التي عالجها والسمات الفنية التي تميزت بها والقيم الشعورية التي رفدت عمليته الشعرية وقد استقطبت ذلك في فصلين اثنين:

الفصل الاول :

تمهيد

حياة الشاعر

ثقافته

الفصل الثاني :

شعره ـ خصائصه الفنية

المضمون

1 ـ المدح 2 ـ الرثاء 3 ـ الغزل 4 ـ الاخوانيات 5 ـ التوسلات والاستغفارات 6 ـ الوصف 7 ـ الهزليات والاجتماعيات .

1 ـ الوزن 2 ـ البديع 3 ـ التشخيص 4 ـ ندوة العاطفة .

فالدراسة ـ في الحق ـ استوعبت ـ حسب الطاقة ـ بالتحليل والتقييم حياته وثقافته ومكانته الشعرية من حيث المضمون والشكل .

ومهما يكن من امر فهذه دراستي عن الديوان ، وغايتنا هي خدمة لغتنا الاسلامية ، لغة القرآن ، وابراز ما لها من فضائل ومزايا لا تحصى ، وغايتنا كذلك الكشف عن الطاقة الشعرية لشاعر مغربي يكاد يكون مغمورا لدى كثير من مثقفينا ، ذلك الشاعر الذي سخر قلمه ، ووظف امكاناته الفكرية لخدمة الثقافة في هذا البلد ، وابراز القيم الاسلامية وخاصة في مولدياته الفريدة وتوسلاته التي حفلت بالصدق الشعوري والروح الايمانية والاشراق الوجداني ، وارجو الله ان اكون قد وفقت في هذه الدراسة التي لا أزكيها ولا ابرئها من التقصير غير المقصود ، ولكنها على كل حال ثمرة عمل استفرغت فيها جهد الطاقة غير ضنين بوقتي ، فاذا كان هناك توفيق فمن الله ،

(2) العدد الثاني ـ السنة 12 ـ رمضان ـ شوال ـ 1388 ـ دجنبر ـ يناير 1969 ص 65 .
(3) ارى من الواجب ان اشكر لقسم الصحف بالمكتبة العامة بتطوان مساعدته الطيبة في هذا الشأن.

واذا كان هناك آثارة من شطط فمني والكمال لله وحده ومنه استمد العون وعليه قصد السبيل .

= × =

شهد الشرق العربي في القرن التاسع عشر انبعاث الحركة العلمية والادبية وخاصة حين تولى محمد علي عرش مصر ، فعمل على انشاء دولة قوية ترتكز على اسس علمية ، لذلك قامت نهضة شاملة في الجيش والصناعة والزراعة والتعليم والادارة ، وحينذاك نشطت حركة البعثات والطباعة وتأسيس المدارس ونقل آثار الامم الغربية .

وكان المغرب في هذه المرحلة التاريخية بالذات ضاربا على نفسه العزلة ، لا تربطه بالشرق او الغرب علاقة خصوصا وانه لم يكن تابعا للسيادة العثمانية التي كانت تدين لها الجزائر وتونس ، ذلك انه كان ـ كما هو معروف عن تاريخه ـ يتمتع بكيان مستقل.

وحين سقطت الجزائر في قبضة الاستعمار الفرنسي سنة 1830 وتونس سنة 1881 م أصبح المغرب يحتاط اكثر في علائقه بالغرب بعد أن تحققت اطماعه السياسية في الجزائر وتونس وغيرهما .

وهكذا تقوقع المغرب على نفسه في هذه الفترات التاريخية العصيبة خوفا من ان يضحى لقمة سائغة للاستعمار البغيض ، الذي لا يتورع ابدا عن التفكير في توسائل الخفية للاستيلاء على اراضي الشعوب من اجل استنزاف خيراتها واذلال اهلها واستعبادهم واسترقاقهم .

وفي معركة (اسلي) (4) عام 1260 هـ الموافق 1844 م هب المغرب لانجاد اخوانه الجزائريين ، فاشتبكت قواتنا المغربية مع القوات الفرنسية في الحدود الشرقية ، ومنذ تلك الحقبة تحطمت اشداق الاستعمار الفرنسي للاستيلاء على البلاد المغربية الجنوبية ، كما طمعت اسبانيا في الاستيلاء على شمالها حين اقدمت على احتلال تطوان سنة 1276هـ الموافق 1860 م .

وكل هذا حفز الاستعمار الحقود الى ان يفكر جديا ، ويبيت النية الخبيثة في غزو ديارنا فتوالت المؤتمرات والاتفاقيات لتنفيذ المخطط الامبريالي الجهنمي ، ثم بعد ذلك تحقق حلم الاستعمار بتوقيع عقد الحماية سنة 1912 م .

والحق ان المغرب لم يكن مكتوف الايدي امام هذه الدسائس الخطيرة والاطماع الاستعمارية السافرة ، فقد بذل قصارى جهده في الدفاع عن سيادته ، والذود عن كرامته ، كما قام باعمال في الميادين العسكرية والتعليمية ، وكل ما له صلة بالنهضة العلمية اذ اعتنى بايفاد البعوث الى مصر أيام حكم السلطان محمد الرابع ، وكان من المتخرجين من مصر الطبيب عبد السلام العلمي (5) والجغرافي احمد شهبون (6) ، واعتنى كذلك بايفاد البعوث الى أوروبا أيام السلطان مولاي الحسن الاول ، وقد اورد في هذا الشأن ابن زيدان في كتابه (العز والصولة في معالم نظم الدولة) (7) اسماء الاشخاص الذين تخرجوا من المعاهد الاوربية في العلوم الهندسية والرياضية ، فمن فرنسا تخرج الطاهر بن الحاج الوديي والقاسم الوديي ومحمد بن الكماب الشركي ، ومن انجلترا محمد الجباص الفاسي والزبير سكيرج ومن ايطاليا المختار الرغاي البخاري ومحمد بناني الفاسي وعبد السلام الوديي ، ومن اسبانيا احمد بن العباس بن شقرون الفاسي وعبد السلام الرباطي ومحمد الشرادي الرباطي ، ومن المانيا المصلودي الرباطي والحسين الوديي وعبد السلام المصولي كما توجهت الى جبل طارق مجموعة كبيرة من الاشخاص قصد تعلم الفنون الحربية هناك وتتشكل هذه المجموعة من 280 شخصا منهم علال بن بلا العراكشي ، والمختار بن ناصر العراكشي والعربي بن التاودي السقاط الفاسي وغيرهم .

يتبع

تطوان : محمد المنتصر الريسوني

(4) راجع بتفصيل الناصري الاستقصا ج 9 ، ص 49 ومابعدها طبعة دار الكتاب ـ الدار البيضاء 1956

(5) من انتجه الطبي شرح الوزكاي ، وضوء السراس في حل مفردات الانطاكي بلغة فاس ، والبدر المنير في علاج البواسير ـ انظر ابن زيدان الدور الفاخرة ص 95 ـ المطبعة الاقتصادية الرباط ، 1356هـ 1937 م

(6) له مصنف في الجغرافية تحت عنوان (الجغرافية المغربية) يتضمن صورا وخرائط ـ المصدر السابق ص 95 وما بعدها .

(7) ج 2 ـ ص 150 وما بعدها المطبعة الملكية 1382 هـ ـ 1962 م .

الروح والايمان

د/ سعاد محمد هادي العزيز

تبدأ الروح وجودها فى فكر الله الخالق .

وهى خالدة خلودا ابديا (1)

وترتبط ابديـة خلودهـا بازليـة الله الخالق وسرمديتـه .

وبأمر الكينونة من الله الخالق تكون الروح روحا ، وتحيا كما قضى عليها وقدر لها .

وهى رسـوله (2) الالهى الغيبى المباشر فـى أعماق كل انسـان ، كائن من كان ، فى اى مكان وفـى اى زمـان .

ولهذا فهى الواسطة الغيبية المباشرة التى تنقل الاشعاع الالهى الى الانسـان ليشرق فى اعماقه بانوار الايمان ، والهدى ، والرشد والخير ، والمعرفـة ، والحكمـة .

والله الخالق هو المؤمن الازلى السـرمـدى ذو الايمان الدائم اللانهائى اللا محدود .

انه سبحانه وتعالى يؤمن بنفسـه ، ويؤمن بوجوده ، ويؤمن بكل من وما أوجد من مخلوقات وموجودات .

وهو يحب الايمان لكل انسـان كائن من كان ، فى اى مكان وفى اى زمان كان .

والاصل فى الروح التى يتعلق وجودها بوجود الله الخالق، وبأمره وترتبط ابدية خلودها بازليته وسرمديته، وتبدأ فكرة ايجادية فى فكره الالهى المؤمن ان تؤمن بالله، وتكون روحا مؤمنة .

ان هذا الايمان فرض عليها لانها تبدأ فى الفكـر المؤمن لله الخالق المؤمن من الازلى السـرمـدى ذى الايمان المطلق اللا نهائى اللا محدود .

ويعنى كل هذا ان للروح علاقة وثيقة بالايمان ! فهى تبدأ فى الفكر المؤمن لله الخالق المؤمن !

وهى بالايمان وجدت وخلقت .

وهى فى مراحل وجودها وحياتها تتعلق بالايمان الالهـى .

واذن ، فالاصل فى الروح انها تبدأ وجودهـا بداية ايمانية اصيلة وتكون فى بدايتها هذه مؤمنة !

والمفروض انها يجب أن تستمر بعد بدايتها هذه فى طريق الايمان وتظل مؤمنة ، وتخلد مؤمنة !

---

1) راجع مقال « الروح والخلود » .

2) عن عبد الواحد بن زيد قال : سألت الحسـن عن علم الباطن فقال : سألت رسول الله عـن الباطن فقال : سألت الله عز وجل عن علم الباطن لا يقف عليه أحد من خلقى « والسرائر مـن علم الباطن فقال : سألت حذيفة بن اليمان علم الباطن فقال : « سألت جبريل عن علـم فقال : هو سر من سرى ، أجعله فى قلب عبدى، اسمـاء الـروح » .

واما ان تؤمن وتكون مؤمنة ، او لا تؤمن، وتكون غير مؤمنة فتلك قضية تتعلق بالظروف البيئوية السائدة في المجتمع الذي ينتمي اليه الانسان ، وبجميع ما فيه من عقائد ، وطقوس واديولوجيات واعراف ، وتقاليد ، وغيرها ، وتتعلق ايضا باختيار الانسان نفسه !

والروح المؤمنة في الانسان المؤمن تعرف انه يوجد الله الخالق ، الذي خلق الوجود والحياة والكون ، وخلقها لتتمتع بالوجود والحياة والخلود ، وتؤمن به !

وايمانها هذا ايمان مباشر بالله الخالق .

اما في حالة عدم ايمانها بالله الخالق ايمانا مباشرا ، في حالة الانسان الذي لا يؤمن فان الايمان يمكن أن يكون موجودا ، باية صورة غير مباشرة ، يمكن ان تعوض الايمان المباشر بالله كالايمان بالوجود اللا نهائي اللا محدود ، والايمان بخلود الروح ، والايمان بوجود مبرر على مطلق لوجود الوجود والكون والحياة .

والايمان المبرر العلى المطلق للوجود هو نفسه الايمان بالله ولكن بشكل آخر ، بشكل ضمني فيه احتياط او حذر ، او فيه مرونة وتهرب واع ذكي من الايمان المباشر بالله وما يترتب عليه من مسؤوليات .

ويمكن اعتبار الانسان الذي وصلت الى اعماقه احساسات انتائية بوجود حياة بعد الموت وبخلود الروح باية صورة تاويلية من الصور الفلسفية هو انسان مؤمن بالله الخالق بصورة غير مباشرة شعوريا اولا شعوريا .

وان الانسان عندما يرفع عينه الى السماء يتامل كواكبها ونجومها ، وسحبها ، وغيومها وزرقتها اللا نهائية فانما يتامل في الله الخالق تاملا لا شعوريا ان كان لا يدري شيئا عن الخالق وعن الايمان به ، او تاملا شعوريا ان كان يعرف عنه سبحانه وعن الايمان به اشياء كثيرة ، ولقد اكتسب هذا التامل في السماء زرقتها اللا زوردية نوعا من القداسة ، فاصبح اللون الازرق محبوبا لانه يذكر الانسان بالامتدادات السماوية البعيدة حيث يوجد الله الخالق ، وحيث توجد الجنة ، وحيث حياة الخلود الابدي ، وحيث يوجد الهناء والصفاء، وبهذا صار اللون الازرق معاد لا للون الابيض .

ولله الخالق في كل لغة من اللغات ، وفي كل لهجة من اللغات ، وفي كل لهجة من اللهجات اسم اعظم واسماء حسنى .

ومنذ القديم عرف الانسان الله الخالق معرفة واضحة مباشرة .

ومنذ القديم ايضا عرفه معرفة رمزية غير مباشرة لاسباب بيئوية ومجتمعية وسياسية وطقوسية عديدة .

وكثيرا ما كانت الرموز تغطية اضطرارية للحقيقة الالهية خوفا من العذاب والاضطهاد والهلاك .

ان في لا شعور كل انسان كما في وجدانه (ضميره) ايمانا بالله الخالق بصورة مباشرة او بصورة غير مباشرة .

ومهما استطاعت قوة التاثيرات البيئوية والمجتمعية والسياسية والطقوسية والاديولوجية المتنوعة ان تسيطر توجيهيا على الانسان وتمنعه من التدين بصورة ظاهرية علنية لن تستطيع أن تدخل اعماقه ووجدانه (ضميره) او لا شعوره لتبعده عن الله الخالق او لتمنعه من الايمان به باطنيا .

ان الانسان حر داخل اعماقه ، وهو يستطيع ان يستبطن ايمانه بالله الخالق استبطانا ذكيا ويتمه في لا شعوره مثلما يكتم جميع ذكريات حياته ، وبامكانه ايضا ان يصونه في وجدانه (ضميره) صيانة لائقة اريبة (4) .

وازاء قوة التاثيرات البيئوية والمجتمعية والسياسية والطقوسية المتنوعة والاديولوجية لا يجد الانسان من مفر الا ان يتخذ لنفسه قناعا يستتر به اعماق لا شعوره ووجدانه (ضميره) !

وحقيقة الايمان (5) في اللا شعور والوجدان تختلف عنها في الواقع الحياتي الظاهر كما تبدو في اقناع

---

4) **وكمثال مؤمن فرعون الذي كان** يكتم ايمانه .

5) نقل عن ابي حنيفة انه قال : « ايماني كايمان اهل السماء والارض وجبريل والملائكة باعتبار أن الايمان اعتقاد فقط والعمل كله خارج عنه » انظر صفحة 97 من كتاب « التعرف لمذهب اهل التصوف » تاليف تاج الاسلام ابو بكر محمد الكلاباذي الطبعة الاولى سنة 1969 القاهرة مصر — (الهامش 2) .

الاصطناعي الذي وضعه الشعور ليتقي به عتاب قوة التأثيرات البنوية والمجتمعية والسياسية والطقوسية والايديولوجية المتنوعة .

ولاينبغي أن يحار القارىء في هذا فالروح من أمر الله ، وهي رسوله الغيبي المباشر في أعماق كل انسان كائن من كان ، في أي مكان وفي أي زمان .

واذا كانت قوة التأثيرات البنوية والمجتمعية والسياسية والطقوسية والايديولوجية المتنوعة تستطيع أن تحكم على ما هو انساني فانها لن تستطيع ابدا أن تنال بأي حكم من أحكامها ما هو الاهي .

وعندما يموت الانسان يبقى القناع الذي تقنع به في الواقع الحياتي الظاهر مجرد ذكرى دنيوية ويدفن جسمه في التراب ويتلاشى ، أما روحه فانها وحدها التي تبقى خالدة لا يعلم ما كانت تخفيه وتكتمه الا خالقها !

وعندما يستقر الايمان في اللا شعور استقرارا مكينا فانه يسمو بوعي الانسان ويرقى بوجدانه .

وان أصدق وأوثق من وما يثق به الانسان هي اعماقه الذاتية .

وهذه الاعماق تريد أن تقتنع اقتناعا ذاتيا عن طريق الدراسات التأملية الباطنية الواعية الهادئة الصامتة لتعرف معرفة حقة وتؤمن ايمانا حقا .

وليس الوجدان (الضمير) الا يقظة اللاشعور وتفتحه للشعور (الوعي) من جديد تفتحا واعيا ايجابيا وملتزما .

— وهل يوجد انسان لا يحمل في لا شعوره شيئا ولو قليلا جدا من المعرفة بالله ، والايمان به ، وبالدين ، وبالمقدسات ، وبالطقوس الخاصة بالعبادات ؟

والجواب على هذا السؤال هو :

— كلا ! ولا ينبغي أن يكذب الانسان على نفسه ابدا !

ويعرف الايمان ، ويهتدي الى الدين ان لم يكن يعرفه .

فبواسطة الروح يعرف الانسان الله الخالق ،

واذا أراد الانسان ألا يعرف أي شيء ولولا شعوريا من الله الخالق فليبعد الروح عنه ان استطاع !

ان الروح كرسول غيبي مباشر لله في كل انسان واجبها ان تعرفه بالله ، وبالايمان به .

وفي حالة الانسان المؤمن فان الايمان بالله يوجد في اللا شعور ، والشعور ، والوجدان وجودا متجليا في كل آن .

أما في حالة الانسان غير المؤمن فان ادراك وجود الله يوجد في اللا شعور ، ولكن ذلك الانسان لم يرد ان يهتدي اليه ولم يرغب ان يؤمن به ، لهذا لم يتجل في شعوره وفي وجدانه تجليا حقيقيا ظاهرا في كل حين .

وعلى ضوء هذا نستطيع أن نفهم كثيرا من الحالات النادرة عن الصوفيين الفلاسفة ، وعند الفلاسفة الصوفيين .

وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم :

« ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد » (6) .

« وفي انفسكم أفلا تبصرون » (7) .

« وهو معكم اين ما كنتم » (8) .

اذا كان الله الخالق يعلن في هذه الآيات قربه من الانسان المخلوق فهل من المنطق أن ينكره الانسان ؟

ولنتأمل الآيات البينات السابقة تأملا عميقا لنعرف عظمة الروح التي يشعر بها كل انسان منا في أعماقه ، ولا يعلم من حقيقتها شيئا ، ولا حول له ولا قوة في أي أمر من أمورها ، لانها من أمر الله الخالق وحده !

---

6) الآية 16 من سورة « ق » .
7) الآية 21 من سورة الذاريات .
8) الآية من سورة

ولنتأمل أيضا فضل الله الخالق الذى هو أقرب الى كل انسان منا من حبل الوريد فى عنقه والذى هو مع كل منا أين ما كان ، وفى كل آن !

ان حبل الوريد فى عنق كل انسان ليس روحا ، ولذا فهو ليس واسطة الاتصال بالله الخالق .

والروح شىء آخر غير حبل الوريد ، وهى الرسول الغيبى الذاتى المباشر لله الخالق فى كل انسان كائن من كان فى كل مكان وفى كل زمان ، ولهذا فان الله سبحانه وتعالى قريب الينا بواسطة الروح التى فى أعماقنا ، والتى تبعث الحياة فى أعضاء الجسم المتعددة فى حبل الوريد بالعنق !

هذه النفس ، أو الروح ، عندما تؤمن ، وتزكى ، وتبلغ ذروة صفائها واطمئنانها تفيض عليها نعم الله الخالق ، وعندئذ يشعر الانسان انه قريب جدا جدا من الله اللطيف الخبير !

ومن أقوال الصوفيين المشهورة : « من عرف نفسه عرف ربه » !

وقديما وجد الفيلسوف سقراط الاثينى هذه العبارة الشهيرة : « اعرف نفسك » مكتوبة على باب معبد دلفى ، واتخذها شعارا لفلسفته ودعوته .

وتعد الآية « وفى انفسكم افلا تبصرون » بالنسبة للانسان المسلم بصفة خاصة ولكل انسان بصفة عامة أمرا الاهيا صريحا بوجوب التأمل فى النفس ، ودراستها ودراسة ما يجرى فى أعماقها ، ومعرفتها المتينة من فضل الله الخالق والايمان به .

حتما ، ان الانسان لا يستطيع ان يتوصل الى معرفة سر الروح ، ولكنه يتمكن من دراسة تجلياتها ، ومظاهر نشاطاتها المتنوعة وتحليلها والاحاطة بها علما والاستفادة منها فى فهم وجوده وحياته .

وعليه ، فان التأمل فى النفس ، والنظر فى شؤونها ، ودراستها واجب علينا أمرنا الله به !

ولنتأمل فى نعمة من النعم الكبرى التى وهبها الله الخالق لكل انسان وهى معيته عز وجل له .

فالله سبحانه وتعالى مع كل انسان كائن من كان فى كل مكان وفى كل زمان ، يرى ، ويسمع ويهب ، ويرحم ، ويتوب ، ويغفر !

والروح التى يشعر كل انسان بها فى أعماقه هى واسطة هذه المعية الالهية العظيمة .

افلا يجب على الانسان الذى فى أعماقه هذه الروح التى تبدأ وجودها فى الفكر المؤمن لله المؤمن الازلى السرمدى ، والتى هى من أمره ، وسر من أسراره الالهية ، والتى بفضلها يتمتع الانسان بمعية الله الخالق الابدية الدائمة ان يؤمن به سبحانه وتعالى ، ويكون مسلما حنيفا .

أو ليس من المنطق والمعقول انه أولى بالروح التى تبدأ وجودها بداية مؤمنة فى الفكر المؤمن لله المؤمن الازلى السرمدى أن تحيا كل مراحل وجودها وحياتها مؤمنة ، وتخلد مؤمنة ؟

أو ليس من واجب الروح التى تتمتع بمعية الله الخالق أن تكون مؤمنة وتخلد مؤمنة لتحافظ على هذه النعمة العظمى ؟

واذا كان الله الخالق مؤمنا ايمانا ازليا سرمديا افليس من واجب المخلوق أن يكون مؤمنا ايمانا أبديا ؟ !

لقد بدأت الروح بالايمان !

ويجب عليها أن تستمر مؤمنة فى طريق الايمان .

ولا مناص لها من الايمان اذا أرادت ان تخلد خلودا أبديا منعمة فى الجنان !

* * *

لقد آمن الانسان منذ بداية الوجود الانسانى بالروح وبالمادة فى كل مكان وزمان ، وميز بينهما .

فالروح عنده ليست المادة .

والمادة ليست الروح .

الروح روح والمادة مادة .

وهذا أمر عند الانسان معروف ، وواضح ، وصريح لا يقبل الشك أو الجدل .

ورغم أن الروح روح والمادة مادة فانهما تتصلان ، وتتلاقيان ، وتتكاملان بل وتتداخلان ، لان المادة لا تتحرك بدون روح ، وتظل جامدة هامدة ساكنة حتى تتصل بها الروح فينبعث فيها الوجود وتندفع فيها الحياة .

ويدل هذا على توأمتهما ، ووجوبه وضرورته ليتكامل الوجود للانسان وتستقيم حياته .

وهذا أمر عند الانسان معروف ايضا .

واذا كان الانسان لا يعرف سر الروح فانه يعرفه اليوم الكثير من مظاهر نشاطاتها السلوكية كنفس .

ورغم وجود المادة في متناول الانسان وتقدمه في الاحاطة علما بشؤونها فانه لا يعرف من امرها ايضا الا القليل .

ومهما بلغ من تشيع الماديين للمادة وايمانهم بها فانهم لا يستطيعون نكران الروح وجحود فضلها .

وما داموا لا يستطيعون نكران الروح ولا جحود فضلها فانهم يؤمنون بها ايمانا ضمنيا بل ايمانا حقيقيا .

وما داموا يعرفونها كرابط غيبي مباشر بين الله الخالق وبين الانسان المخلوق فانهم ، اذن ، يؤمنون ضمنيا بالله ان لم يكن في مستطاعهم ان يؤمنوا به حتما .

والايمان الضمني تمهيد للايمان الصريح العلني ! والفرق بين ايمان صريح علني وبين ايمان ضمني مستتر هو الاعلان فقط !

والله الخالق العليم مطلع على الايمانين معا .

ومن المهم جدا ان يعرف الانسان المؤمن ضمنيا وتستريا ان الله الخالق عالم بايمانه المكتوم ، وان روحه رسول الاهي غيبي مباشر في اعماقه يصله بخالقه .

والدعوات الروحية تؤكد وجود الروح ، وهي بالتالي تؤكد وجود الله ، وتؤكد الايمان به !

وهذه وحدها خدمة جليلة للايمان بالله .

وامام دعوات مادية طاغية تقف الدعوات الروحية سدا منيعا يؤكد وجود الروح ، ووجود الله والايمان به ، ويضحد دعواها وزعومها .

وهذه ايضا خدمات اخرى مهمة جدا للايمان .

ويكفي هذا فقط بالنسبة لموضوع هذا المقال !

ان الايمان بخلود روح الانسان يؤكد خلود الله خالق الروح !

واذن ، فمن الانسان الذي يؤمن بروحه ، وبخلودها يؤمن بالله الخالق وازليته وسرمديته !

وهذه هي النتيجة المطلوبة .

والان وقد وصلنا الى هنا الى هذه النتيجة يحسن بنا ان نعود ثانية لنتذكر قول الله الخالق العظيم في القرآن الكريم : « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » .

لقد اتضح لنا الآن عظمة امر الله الخالق لنا بالتامل والنظر في انفسنا ، دراستها واهميته وقيمته .

واتضحت لنا ايضا قيمة الدراسات الروحية والنفسية واهميتها .

ولهذا يجدر بنا ان نستجيب لامر الله الخالق ، ونجعله عنوانا وشعارا لجميع دراساتنا الروحية والنفسية .

وللدراسات الروحية والنفسية ، كما هو معلوم ، قيمة كبرى بالنسبة لحياة الانسان في الدنيا على الكوكب الارض وحياته الاخرى بعد الموت .

واذن ، هذه الروح المجهولة كروح يجب ان نعرف من امرها ما نستطيع معرفته .

وهذه لروح المعروفة كنفس يجب ايضا ان نعرف من امرها الكثير الذي نستطيعه .

— ولماذا ؟

والجواب هو ان هذه المعرفة تفيدنا فائدتين مهمتين :

اولاهما : تتعلق بشخصياتنا ، فكلما عرفنا شيئا عن الروح كنفس قومنا سلوكنا ، وهذبنا اخلاقنا ، وقوينا شخصيتنا ، والشخصية القوية قلما تعتريها اضطرابات نفسية او عقلية ، وتحيا حياة هادئة ايجابية جيدة ، وتعود الى الله الخالق راضية مطمئنة .

هذا بالنسبة للروح .

وبالنسبة للمادة ، فانه يجدر بنا ان نلاحظ انها تدل دلالة واضحة ايضا على وجود الله الخالق وارتباطها به ، وهي كالروح من امره الالهي .

فاذا كانت الروح التي هي ارقى من المادة من امر الله ، وترتبط به ارتباطا غيبيا لدرجة انها تصبح رسوله الالهي في اعماق كل انسان ، فما بالنا بالمادة التي هي موجود ادنى من الروح او ليست هي الاخرى في امس الحاجة الى خالق ؟ !

واذا كانت الروح الرامية تحتاج الى الخالق بايقان الجميع ، وشهادتهم ، وايمانهم فان المادة ، دونما شك ، تحتاج هي الاخرى الى الخالق سبحانه وتعالى وبايقان الجميع ايضا وشهادتهم ، وايمانهم !

والمنطق ، كل منطق في كل مكان وفي كل زمان ، يؤكد هذا .

وعليه ، فالروح والمادة من امر الله ، ويرتبطان به .

وهكذا يتضح لنا ان الدعوات المادية لا اساس متين لها ، وانما هي دعوات شالة تقوم فقط من اجل الالحاد للالحاد لا غير .

وهي دعوات جاهلية كتلك التي كانت في الجاهلية العربية قبل بعثة الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالاسلام والتي بينها الله تعالى في القرآن الكريم في هذه الآية :

« وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » (9) .

ولهذا فان هذه المادة التي تبهر العقول ، والتي نصنع انواعا منها مستعا في المعامل والمصانع لا يجب أن تغري الانسان بالابتعاد عن الايمان بالله .

فلا ينبغي ان يغتر الانسان بما يكتشفه ، وما يصنعه فيخرج عن سبيل الحق والهدى والرشد والايمان .

فمهما استطاع الانسان ان يكتشف ويصنع من انواع المادة ما يشاء ، ولاي غرض يشاء فانه لن يستطيع ابدا ان يخلق روحا بل وحتى ذرة صغيرة من المادة !

ان ما يستطيع الانسان أن يصنعه ما هو مادي خاص بالمادة ، فهل من المنطق والمعقول أن يعبد الصانع المصنوع ، ويؤمن به ؟

— ما الراي في هذا ؟
انى اترك الجواب للقارىء !

— فاذن ، اي عقل هذا عقل الانسان الذي يغتر بالمادة التي يصنع منها ما يستطيع صنعه ، ويبتعد بسببها عن الايمان بالله الخالق ؟ !

فحتى المادة نفسها ، كما ترى ، تدل الانسان على الله الخالق ، وتوجهه الى الايمان به .

وهي كالروح بدأت في فكر الله الخالق المؤمن ، وترتبط بأمره ، وتتعلق جميع مصائرها بقضائه وقدره ، وهي مؤمنة لانها صدرت من فكر مؤمن ، ومن ارادة مؤمنة ، ولغايات ايمانية .

اعتقد ان هذا هو حال هذه المادة البكماء التي لا تستطيع نطقا كالروح !

فلا ينبغي ، اذن ، أن يظلم الانسان المادة بعبادتها ، وتأليهها ، فهذا لا يليق بانسان عاقل يفكر تفكيرا منطقيا سويا !

واذا كان هناك اي سبب يمكن أن يكون وجيها لعبادة المادة وتأليهها فانها عبادة الانسان ذاته وتأليهه نفسه لا شعوريا بصورة غير مباشرة ، اما المادة فانها مبرر واق فقط لهذه العملية النفسية اللا شعورية الذكية التي يستهدف منها تمتعه بحرية مطلقة لا ينازعه فيها منازع .

ان المادة ذاتها تقف مع الروح ضد الالحاد وتندد به !

ولن تستقيم للانسانية أمورها الاستقرارية اللازمة ، ولن يسود السلم والرفاهية ما دام الالحاد سائدا متفشيا ، وما دام التعصب الشيق يتعايش ايضا جنبا الى جنب مع الايمان .

ويعني هذا ان تفتحا عقيديا واعيا جديدا يجب ان يتولى توجيه انسانيتنا وجهة سديدة متزنة ورزينة .

---

(9) الآية 24 من سورة الجاثية .

ورغم هذا فان انسانيتنا ، رغم ما تعانيه من ويلات الصعوبات والآفات المتنوعة ، قد قطعت اشواطا بعيدة فى طريقها الى الرشد ، وليست هذه المرحلة التى تعيشها الا مرحلة انتقالية نحو هدفها الاسمى .

* * *

الله الموجود المؤمن الازلى السرمدى هو الخالق الوجود .

ولقد عام الوجود اللا نهائى اللا محدود على الايمان .

وكل انسان يفكر بعقله تفكرا منطقا سليما يعرف هذه الحقيقة .

والى اى وجود غير هذا الوجود اللا نهائى اللا محدود يستطيع ان يذهب من تسول له نفسه ان يتجرا على تحدى هذه الحقيقة والاصرار على نكرانها ؟

وان الانسان لا يستطيع ان ينكر الوجود اللانهائى اللامحدود وان تهرب من الايمان .

وهو لا يستطيع ان ينكر الروح التى فى اعماقه وان تهرب من الاعتراف بأى امر من الامور التى تتعلق بالايمان ايضا .

وقد يكون وراء هذا الهرب رغبة نفسية لا شعورية اخرى تستبد منها الروح استبطان مداركها الايمانية استبطانا باطنيا تحفظا واتقاء باعتبارها قضايا خاصة تهمها هى وحدها فى علاقاتها المباشرة بالله الخالق ولا دخل لغيره فيها .

وقد تلجا الى هذا خوفا من الواقع الحياتى المضطرب الذى لا يعرف استقرارا فى اى شىء حتى فى العقائد والطقوس والعبادات او على الاقل فى تاويلها وتفسيرها وانظر ايضا .

وربما تكون هذه الرغبة النفسية اللا شعورية التى تستهدف بها الروح استبطان مداركها الايمانية ليست تهربا من الايمان ولكنها هروب ممن او مما يؤثر عليه .

فاذن ، الايمان موجود فى الروح ، ومستبطن فى اللا شعور ، والاتصال بالله الخالق مستمر دائما بطريق شعورى وجدانى او بطريق لا شعورى بصوره ذاتية تلقائية باطنية .

واذا آمن الانسان باللا شعور وبالوجدان (الانا الاعلى) فانه يؤمن بالله الخالق

ان كل انسان يجب ان يكون حرا فى اتصاله الروحى بالله ، وهذا الاتصال هو الايمان ذاته .

وان كل انسان يجب ان يكون الله الخالق الذى يؤمن به لطيفا ورؤوفا ، وغفورا رحيما !

وكل انسان مستعد ان يؤمن بالله شرط أن يقتنع .

ولعل هذا هو ما لا يفطن اليه الداعون الى الايمان الذين قد يلجؤون احيانا الى استعمال اسلوب يبعد الناس عنه ، وتكون نتيجة دعوتهم عكسية !

وربما كان هذا هو المشكل الذى يقع فيه الايمان ويعانى منه كثيرا ، وهو مشكل خارج عن الروح التى فى اعماق الانسان ، ولم يرده الله الخالق ابدا !

والله الخالق عالم باسرار الروح ، وطبيعتها ، وميولها الى السهولة واليسر واللين ، ولهذا كانت توجيهاته الالهية بشأن الدعوة الى الايمان به تساير طبيعتها وميولها ، فقال سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى احسن ، ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو اعلم بالمهتدين » (10) .

ولهذا كان من واجب كل د ع الى الايمان بالله ان يلم بالدراسات الروحية وبالدراسات النفسية ليتمكن من النجاح فى محاوراته مع الروح كروح صفت وتطهرت وزكت ، ومعها كنفس تشتاق الى الصفاء والطهر والتزكية !

وكل حوار يتطلب استخدام المنطق كوسيلة للاقناع .

---

10) الآية 125 من سورة النحل .

وعندما يدخل المنطق فى الحوار تدخل معه الفلسفة .

ويعنى هذا ان من واجب كل داع الى الايمان بالله أن يلم بالدراسات الفلسفية وهذا كله مع المامه بالدراسات الدينية .

ونحن أحوج ما نكون الى دعاة حديثين لهم هذا التكوين الدينى والفلسفى والروحى والنفسى ليحببوا الايمان بالله الخالق الى الناس .

وليتذكر كل داع دائما أن الروح ، أو النفس ، التى يحاورها تستبطن فى لا شعورها أو فى وجدانها (اناها الاعلى) الايمان بالله ، وانها متصلة بالله الخالق ، ومرتبطة به ، وانها رسوله الالهى الفيسى المباشر فى أعماق الانسان .

ولهذا ينبغى أن يكون حواره شفافا لانه يحاور روحا ، او نفسا ، شفافة واعية مدركة مؤمنة فى اصلها وهى تتوق دائما الى الايمان بالله والى الصفاء والخلود فى الاسلام .

م. ح. العزيز

ان اهم امر فى الحياة هو الايمان بحقيقة المعنويات ، وقيمة الاخلاق ، ولقد كان زوال هذا الايمان سببا للحرب العامة ، واذا لم نجتهد الآن لاكتسابه أو لتقويته فلن يبقى للعلم قيمة ، بل يصير العلم نكبة على البشرية .

« روبرت ملكان »

القرآن أمام التاريخ

للأستاذ عبد الله الجراري

بعد ظهور الاسلام وبزوغ نوره الوضاء على ارجاء المعمور — انتشرت حركة تاريخية جعلت تتسع وتنتظم شيئا فشيئا حتى خلفت لنا ثروة أدبية من أغنى ثروات الادب العربي كانت اهم العوامل وابرزها في هذا البعث .

هي اولا انشغال المسلمين لتفسير الآيات القرآنية ومعرفة مناسباتها واسباب نزولها والمكان الذي نزلت فيه والحادثة التي تشير اليها وما الى هذا المعنى الذي يعد من ضروريات الوصول الى الهدف الاسمى الذي يوجد ما حول النص . وثانيا سعلـــــوره .

ومن الجلي أن معرفة هذا النوع يحتاج الى بحث تاريخي في حوادث الاسلام .

فكان التفسير لهذا المدلول من العوامل التي دعت الى تدوين التاريخ والعناية به .

والقرآن الكريم ذاته قد اكثر من الاشارات الى الامم والقبائل والانبياء في قصصه عن الغابرين فكان لهذه الغاية الشريفة ظاهرة حفزت علمـــاء الاسلام لفهم مضامين تلك الاشارات وتوضيحها .

وكان الاسلام في حياته وتعاليمه قد اظل كثيرا من اليهود والنصارى — فلجأ اليهم المسلمون ليعرفوهم بتلك الاشارات ، وما تحتويه من رمـوز وغايات ، وفعلا اخذ هؤلاء يحدثونهم بقصص التوراة والانجيل وشروحهما الشيء الذي دفع المسلمين لربطها بالتفسير والتاريخ .

واشتهرت هذه الاخبار باسم « الاسرائيليات » التي كانت تشم في رواياتها واخبارها غثا وسمينا وخرافات ينبو عنها المنطق السليم ، ويتجلى هذا المعنى بأجلى مظهر في كعب الاحبار ، ووهب بن منبه حتى ان اثارهما لا تزال قائمة في كتب التاريخ التي بين ايدينا — بل كان وهب بن منبه التابعي الشهير اول من الف في قصص الانبياء وسيرهم وكان كل ما يروى عنه فيه ما فيه من الاساطير التي تشأت عن بني اسرائيل ومن على شاكلتهم وان كنا ننزهه عن الدليس والدس مادام الهدف البيان .

كما ان السنة والحديث كانا بدورهما من عوامل تدريس التاريخ اذ عنى المسلمون بجمع الاحاديث ليفسروا بها القرآن ويستنبطوا منها احكام الدين وهو معنى الآية « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » وكان من هذه الاحاديث جملة وافرة تتعلق بحياة الرسول عليه السلام والصحابة الكرام ، فجمعت فيما جمع حيث اصبحت بعد اساسا لكتب السيرة والمغازي .

ادرك بعض الخلماء انهم في حاجة ملحة الى نبراس يهتدون بهديه في حياتهم وسلوكهم اذ لم يكن تراث عربي منظم في فجر الاسلام يقتدون به ، كما انهم رأوا ممالك اجنبية بهرتهم حضارتها

فتشوفت نفوسهم للمعرفة ، وأحبوا أن يعرفوا كيفية سياستها ونظامها في ظرف كثرت فيه المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية شان الدول لاول عهودها .

نعم نشأ عن ذلك هدم نظام الخلافة واقامة نظام الملك مكانه . وواجه العقل العربي الذي كان ساذجا بسيطا في جاهليته مشكلات حقيقية منها ما يمس الدين والحضارة ، ومنها ما يمس الحياة العادية والاجتماعية اثناء عرفته ان لا بد من الاستعانة بأخبار من سبقه ليستقر بها ، ونجد المؤرخ المسعودي في كتابه (مروج الذهب) الجزء الثاني ص 52 يقول عن معاوية انه كان بعد ان يفرغ من عمله يستمر الى ثلث الليل في اخبار العرب وايامها والعجم وملوكها ، وسياستها لرعيتها ، وغير ذلك من اخبار الامم السالفة ثم يدخل فيقام ثلث الليل ، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك واخبارها والحروب والمكايد ، فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون ، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها ، فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الاخبار والسير والآثار وانواع السياسات . وهذا ما نحن في أشد الحاجة اليه لا سيما وقد انفتح في وجوهنا باب المعارف على مصراعيه ولم يبق بيننا وبين الاشراف على غاياته سوى التوجه عن حماس وصدق . وقد كان الاجانب الذين اظلهم الاسلام بظله يفخرون على العرب بتاريخهم وحضارتهم ويرون لهم افعالهم المجيدة في ماضيهم ، فاضطر العرب الى ابتكار تاريخ لهم يستطيعون به الوقوف ازاء هذا الفخر الاجنبي ، ويظهرون لابنائهم وغيرهم من الامم انهم وان كانوا حديثي عهد بالحضارة ليسوا اقل من الامم الاخرى مجدا ومكانة ، كان هذا من دواعي ظهور الكتابة التاريخية في الامة اليونانية .

وكان نظام الحكومة الاسلامية خاصة النظام المالي من العوامل التي ادت الى قيام الحركة التاريخية وانتشارها ، لان الضرائب (الخراج) على البلدان المختلفة تتباين حسب فتحها صلحا او عنوة او بعهد .

تكاثرت المعاملة السياسية والاجتماعية تبعا تختلف في بعض البلدان تبعا لما حدث في اثناء فتحها فدعا كل ذلك (والنظام المالي خاصة) الى بحث تاريخ الفتوح والاهتمام به كفرع من التاريخ .

كما دعا النظام المالي الى نشوء فرع آخر من التاريخ ، وكان ذلك لان نظام العطاء تغير منذ عهد الخليفة عمر الفاروق حيث صار بحسب الاسبقية الى الاسلام ، اي ان الذين اسلموا في اول الدعوة يأخذون من العطاء اكثر مما يأخذ من اسلم بعدهم ، ومن اسلم وهاجر يأخذ اكثر من المسلم بعد الهجرة ، ومن اسلم وشهد بدرا يأخذ اكثر ممن لم يشهدها من الذين اسلموا بعدها ، وهكذا فكان هذا النظام سببا في البحث الدقيق في الدعوة الاسلامية وانتشارها ، كما كان العطاء مرتبا ايضا حسب الانساب اي يبدأ بقرابة النبي صلى الله عليه وسلم الاقرب فالاقرب ، ثم قرابة ابي بكر ثم عمر ، وهكذا في الانصار ثم في جميع المسلمين ومن الواضح أن هذا النظام يدعو بطبيعته المنضبطة الى البحث في الانساب التي كان من حذاقها وحاملي رايتها العربيان — دغفل بن حنظلة نسابة العرب وزبد بن الحارث :

(احاديث من ابناء عاد وجرهم
تنورها الحمدان زبد ودغفل)

نعم كان في المقدمة الخليفة الاول ابو بكر الصديق رضي الله عنه ، ومن هذا المنطلق نشأ هذا النمط من التاريخ ، كما ظهرت كتب الملبثات .

ثم ابتدأت حركة التاليف في العلوم الاخرى المعروفة بين العرب لذلكم العهد الفتي حتى اننا نجد صحاري بن عياش العبدي (1) يؤلف كتابا في الامثال ، ثم يتطور الامر بمرور الزمن فتترجم بعض كتب الكيمياء في عهد خالد بن يزيد بن معاوية وله هو نفسه كتب منها كتاب الحرارت ، وكتاب الصحيفة الكبر وكتاب الصحيفة الصغير ، وكتاب وصيه الى ابنه في الصنعة . اما الكيمياء التي ترجمت بعض كتبها له فقد كان بعض علماء السلف يحذر منها ويجعل تعاطيها من السحريات التي تفضي بالاشياء

---

(1) توفي نحو سنة 40 هـ 660 م خطيب مفوه من بني عبد القيس . قال له معاوية : ما البلاغة ؟ فقال : الايجاز . قال : وما الايجاز ؟ قال : ان لا تبطيء ، وهو احد النسابين له مع دغفل النسابة محاورات ، كان ممن شهدوا فتح مصر .

الى قلب حقائقها ، ومن ضمن الحركة التاليفية أن عمر بن عبد العزيز امر بجمع الحديث وترجمة كتاب فى الطب حركات تدل فى مجموعها على ان العقل العربى كان يعانى تحولا خطيرا ، وانه اخذ فى التحضر والتمدن السريعين ، والمشاركه فى التدوين والتاليف .

ولا ينسينا هذا ما كان من عناية فى الجاهلية بالانساب والايام ازدادت قوة فى العهد الاسلامى اذ كانت تغذى الشعراء فى ميدان الفخر والهجاء والنقائض التى شاعت فى هذا العصر ، وكان لها المقام الاول فى شعر الفحول ، كما أن هذا النوع من التاريخ اخذ لونا جديدا ، هو العناية بغزوات الرسول فما كان هذا النوع من التاريخ الا استمرارا لما عهد عند الجاهليين الا ان الاسلاميين دونوا والجاهليين حفظوا ورووا .

واننا لندرك فى نفس الحال ان هناك كتبا مقدسة هى التوراة والانجيل والفرقان .
ونعلم كذلك أن معظمها قصصى دينى وهو يختلف عن القصص السياسى او التاريخ السياسى فى انه يتناول فقط تاريخ الحركات الدينية ، وان تناول الحالة السياسة والشخصية والاجتماعية فانما يتناولها من ناحية علاقتها بالناحية الدينية فحسب .

وتلك نفس الظاهرة فى التاريخ السياسى القديم فهو يتناول الحركات السياسية والاجتماعية والحربية وان تناول الحال الدينية فانما يتناولها من ناحية السياسة .

لهذا نرى التاريخ السياسى لا يشير الى ظهور بعض الانبياء ولا يعرفنا عنهم شيئا مما دعا بعض الناس الى التشكك فيهم واعتبارهم اشخاصا وهميين ، ولم يتعرض المؤرخون لابراهيم ويوسف وموسى عليهم السلام كما لم يذكر مؤرخوا الرومان شيئا عن عيسى وبدء حركته .

والحقيقة انه لولا الكتب الدينية ، وما خلفه الانبياء من تعاليم ومبادىء اخذت تنتقل من جيل الى جيل لما علمنا شيئا عنهم وهذا ما سبب الجهل والغموض اللذين اكتنفا زمن ظهور هؤلاء الرجال حتى لا يستطيع احد من المؤرخين أن يحدد متى ظهر موسى أو يوسف أو ابراهيم صلوات الله عليهم ، وأن حاول شيئا من هذا فانما هو عبارة عن تواريخ تقديرية وهمية لا ترتكز على حقيقة علمية كقولهم عن دعوة ابراهيم من دور الكلدانيين الى ارض كنعان انها كانت سنة 1921 قبل الميلاد ، وانه عمر 175 ، كما ان يوسف دخله الله اليه سنة 1635 قبل الميلاد وموسى سنة 1451 قبل الميلاد .

وبما أن القرآن الكريم آخر الكتب السماوية نراه قد جمع كل ما فى الكتب السالفة مسهبا حينا ، وموجزا حينا آخر ، ولكنه بحكم نزوله بعد الانجيل قص علينا الحقبة التى بين عيسى ومحمد عليهما السلام بالتفصيل ، فقص علينا قصة اهل الكهف ، واصحاب الاخدود ، وغزوة ابرهة لمكة ، كما اخبرنا عن عيسى عليه السلام باشياء لم يتناولها الانجيل مثل ذلك تكليم عيسى الناس فى المهد ونزول مائدة عليه من السماء وتكوينه من الطين على هيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وقد اعترف الانجيل نفسه انه لم يلم بكل معجزات عيسى يقول يوحنا فى انجيله ، واشياء كثيرة صنعها يسوع ان كتبت واحدة واحدة فلست اظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة) .

ونعلم ان القرآن الكريم انزل مجزءا مفرقا حسب ما تتطلبه الوقائع والاحداث وكان فى هذه الحالة داعيا الى الاخبار باشياء أدى الينا حسب استطلاع اصدقائه واعدائه المريدين تحديه باسئلتهم التى ظنوها تحمل الاعجاز فى ثناياها ، فقص علينا قصة ذى القرنين الذى اختلف المؤرخون فيه فالبعض منهم يقول انه الاسكندر المقدونى ويقول البعض الآخر انه شخص آخر مختلف عنه كل الاختلاف ويظهر أن هؤلاء اصحاب الرأى الصحيح [2] .

وقد ازال القرآن اللبس المحيط بكثير من المسائل وحددها تحديدا واضحا لا غموض فيه ، وللقرآن ميزة تاريخية اخرى هى دقته المتناهية

---

[2] حقق العالم الكبير (ابو الكلام آزاد) وزير معارف الهند سابقا بما لا يدع مجالا للشك ان ذا القرنين فى القرآن هو الملك الفارسى الصالح (قورش) ورد بقوة القول بانه الاسكندر المقدونى.
من المصحف الميسر للشيخ عبد الجليل عيسى — سورة الكهف .

بحيث انك اذا اردت أن تعبر عن حادثة تاريخية تعبيرا موجزا وافيا بالغرض واضحا بينا يؤدى كل ما ترمى اليه بحيث يغنى قارئه وسامعه عن أى تفسير وايضاح اذ تجد فيه فوق ما ترنو اليه وتصبو .

انظر اليه وهو يصف ديانة المصريين القدماء على لسان نبيه يوسف الصديق عليه السلام فى سورة يوسف قال : (يا صاحبى السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

فهل هناك خير من هذا وأكثر توضيحا لديانة قدماء المصريين ؟

الم يكونوا يعبدون آلهة متعددة ، بل كان لكل بلدة الهها الخاص — ارباب متفرقون

وكان يحدث بين الحين والآخر ان تنتشر عبادة اله من هذه الآلهة عندما يعظم شأن البلدة التى يعبد فيها كروع (اله عين الشمس) وآمون (اله طيبة) و (تحوت) اله العلم والحكمة وغيرها من الاسماء الخالية التى اخترعتها عقولهم .

ولقد بين القرآن الكريم حقيقة اخرى متعلقة بديانة قدماء المصريين بايجاز وجلاء ، هذه الحقيقة هى تبيانه ان فرعون كان يعتبر فى نظر المصريين الهيم الرئيسى الذى بيده كل شىء بينها الله تقدست اسماؤه فى سورة النازعات قال : (فحشر فنادى فقال : أنا ربكم الاعلى) .

وهذا عين ما قاله التاريخ بعد ان ازيح الستار عنه وكشفت غوامضه فى القرنين الاخيرين اذ كان المصريون يقدسون الملك ويعتبرونه اكبر آلهتهم وكانوا يسمونه (بحوريس الحى) وقد راعوا فى بناء اهرامهم وقبور ملوكهم ان تكون فوق الروابى لتتمكن الفراعنة (فى نظرهم) من الاشراف على البلاد فى مماتهم ، كما كانوا فى حياتهم .

ولم يقتصر القرآن على موضع واحد فى الاشارة الى هذا الاعتقاد بل اشار اليه فى سورة الشعراء فى خطاب فرعون الى موسى : قال : (لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين) وفى سورة القصص فى خطاب فرعون الى شعبه : (وقال فرعون : يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى) .

ولكن اعجاز القرآن الكريم لا ينحصر فى دقته واعجازه البلاغى فحسب كما يفعل الزمخشرى فى كشافه وعبد القاهر الجرجانى فى اسرار بلاغته ودلائل اعجازه ، والاصم يوسف السكاكى فى تاريخه المستقبل وحوادثه تاريخيا حقا واقعيا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وتلك بحق آيته الكبرى ومعجزاته الخالدة التى تتجلى عند المعارضة والتحدى وقتما وقف ابناء الاسلام والنصرانية وجها لوجه ، وظهر فى الافق دين سماوى جديد عز على اليهودية كما عز على النصرانية ان يبدو من الاعلى نبراس آخر يجتذب اليه عيون الناس وافئدتهم وتخوف كل منهما على مكانته ان تضمحل ، وأن يحتل هذا المصباح الوضاء مكان الصدارة منهما .

اما اليهود فبعد تفكيرهم الطويل لجأوا الى الكيد لهذا الوليد الجديد رجاء ان يكتموا انفاسه وهو فى مهده فاخذوا يؤلبون العرب عليه ، ويحرضونهم على محاربته وقد نجحوا جملة فى هذا فتحالفت قبائل العرب واليهود وحاصروا المدينة فى غزوة الخندق (3) ومما زاد فى محنة المسلمين ان حلفاء الرسول عليه السلام وهم يهود بنى قريظة نكثوا عهدهم ، وتخلفوا عن النبى وانضموا الى اعدائه ، فضاقت الدنيا بالمسلمين ، وزلزلوا زلزالا شديدا فقد كانت بلاد الحجاز كلها تطبق عليهم فى المدينة ، ولكنهم خرجوا من هذه المحنة آخر الامر سالمين ، وتفرق الحلفاء بعد ان صعدت لهم المدينة فاستعصت عليهم وبذلك ارتد سهم اليهود الى نحرهم .

(حسبتهم سهاما صائبات فكانوها ولكن فى فؤادى)

وطفق هذا النور اللامع من السماء النور الذى حاولوا اطفاءه يزداد تألقا ويسمو حتى عم الجزيرة واضاء العراق وفارس والهند ، ووصل الى الصين ، واشرق على الشام ومصر وشمال افريقيا ووسطها

(3) هى غزوة الاحزاب الواقعة فى السنة الخامسة للهجرة والمفصلة فى سورتها .

وشرقها واطراف آسيا وقلبها وجنوبها وعبرت مدارته البحر الابيض والقلزوم حتى جنوبى روسيا ، أما النصرانية فنحت حياله منحى آخر واتسفة أمامه تحاجه .

فهذا وفد من نصارى نجران ورد على الرسول الاكرم محمد عليه السلام يريد أن يتحدى الاسلام والقرآن عرض عليه النبى الاسلام فقال : « اننا نحن المسلمين حقا » فما كان منه صلوات الله عليه الا ان افهمهم ان ثلاثة اشياء ، تمنعهم عن الاسلام : 1) اكل الخنزير . 2) عبادة الصليب . 3) قولهم ان لله ولدا .

فما كان منهم الا ان سألوه سؤالا ظنوه معجزا وهو « من ابو عيسى » ؟ وهنا تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين » فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم » آية 62 آل عمران .

وقد حسم الله بهذه الآيات هذا الخلاف وافهمهم ان عيسى ما هو الا عبد من عبيد الله خلقه من غير أب ، وان هناك سابقة لهذا أشد وقعا فى النفس من ميلاد عيسى وهى خلق الله آدم من غير أب ولا ام ، وكان القرآن الكريم يرد عليهم بسؤال من نوع سؤالهم الا وهو من ابو آدم . ثم افهمهم ان كثرة المجادلة غير مجدية ، وانهم اذا كانوا لا يزالون يصرون على قولهم فأحسن طريقة لحسم هذا النزاع هو ان يلتجىء الفريقان الى الله ويدعواه ان ينزل لعنته على الفريق الكاذب منهما .

فى هذا الظرف الحاسم ظهرت قوة الحق وبطلة الباطل فعندما دعاهم النبى عليه السلام الى المباهلة أرجأوه حتى يتشاوروا فلما انعقد جمعهم قال لهم رئيسهم : « والله لقد عرفتم نبوته ، ولقد جاءكم بالفصل فى امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا دينكم فوادعوا الرجل »

ولكن محمدا صلوات الله عليه كان واثقا من نفسه ومن حقه المؤمن بربه غدا محتضنا الحسين وفاطمة تمشى خلفه وعلى رضى الله عنه وراءهما وهو يقول لهم : اذا دعوت فامنوا .

وعندئذ قال الاسقف : « يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سألوا الله عز وجل أن يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا »

والظن اننا لا نزال نستحضر أولى حركاتنا السلفية بالمغرب حركة الاصلاح المبنية على أساس الانقاذ المؤرخة بـ سنة 1345 الموافق 1926 م وقتما وقف فيه شيوخ الطرق المزورون وادعياء الزوايا ، وانقاب الاستعمار منهم على الاخص حجر عثرة فى سبيل حركة الشباب الواعى والسعى فى مناقشتها والعمل على اقبارها فى المهد .

اذ كانت الجزائر آنذاك تعمل على نشر الاسلام الصحيح بين شباب الامة وانقاذ الشعب من براثن الاستعمار ومقاتله ، فحمل راية الدعوة المغفور له « عبد الحميد بن باديس » وجماعة من اخوانه الاباة ، وفتحوا مدرستهم السلفية فى وجه ابناء الشعب ، كما بعثوا صوتهم المدوى فى جنبات العالم العربى على صفحات الشهاب والبرق ضد بلاع المشعوذ ابن عليوة المدعوم من طرف الاستعمار الخبيث .

واثناء الحركة اندفع احد الفريقين للدعوة الى المباهلة حيث يكون مقر اقامتها الجزائر الشقيقة غير أن الموقف الذى تحدثت عنه الآية ، كمنهج للدعوة هو ما جرى فى الحركة المغربية اذ تهيب احد الفريقين حيثة الفضيحة ، ولكن ابى الله تعالى الا ان تنتصر الحركات الاصلاحية ويضمحل الباطل واهله ولبست هذه أول الحركات بل تقدمتها انتفاضات اولية قام بها جماعة من الاخوان الرباطيين رحمة الله عليهم : كالحاج المعطى جوريو والحاج محمد البحراوى والمحجوب الازرق وأبو بكر ابن الكرة(4) وسواهم من المشاركين .

فقاموا جبهة متراصة فى وجه فرض ضريبة جديدة عن وقاية الدكاكين (كيام) عام 1339 هـ 1921 م الشىء الذى دفع الفرنسيين الى نفى

---

(4) البحراوى الى الصويرة ، ابن الكرة الى آسفى الى طنجة .

بعضهم وسجن البعض ، فكانت تلك الوثنية كأولى ونبات وطنية ظهرت بالمغرب تلتها حركات موفقة كان النصر حليفها .

هكذا قوة الحق اذا تجلت ارتعد الباطل لها وتقهقر فلم يكن منهم الا ان أذعنوا للرسول عليه السلام ونادوا المباهلة ، وارتضوا الجزية كما تعاهدوا أن لا يأكلوا الربا أو يتعاملوا به ، ثم رجعوا الى قومهم .

اما النبي صلى الله عليه وسلم فرجع وهو يقول : « والذي نفس محمد بيده لو تماهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر » .

حكمة بالغة وحجة دامغة تحداهم النبي عليه السلام بها أن يقفوا في صعيد واحد فيدعوا الله أن ينزل لعنته على الكاذبين فما كان منهم الا ان ولوا مدبرين ولو كان الحق بيدهم لما وجلوا ولا خافوا ولأباؤه للملأ ، ولكن علموا صدق الرسول فخشوا العاقبة ، واستنكفوا ان يهجروا دينهم الى الدين الجديد الذي علموا انه الحق بعد ان كانوا يظنون انهم به سيظفرون .

ولكنها هيمنة القرآن التاريخية والعلمية « وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » الآية 48 من سورة المائدة .

فالقرآن العظيم له طابعه الخاص في التاريخ حيث يتناول الاحداث تناولا يدل على استقلاله العلمي وله في وسطها اسلوبه الخاص يدل على هذا الاستقلال العلمي ، انه ذكر عن عيسى عليه السلام اشياء لم يتناولها الانجيل نفسه كما اشير اليه قبل ، ولم يقتصر الامر على الانجيل بل ان هيمنته التاريخية تناولت التوراة في اعظم شخصياتها موسى ويوسف وابراهيم عليهم السلام عدا كثير غيرهم من الانبياء .

فالتوراة لم تتناول حياة ابراهيم بين الكلدانيين ومجهوداته لاقناعهم بوجود اله واحد ، ومحاولته نشر دعوته وتحطيم اصنامهم وقذفهم به في النار ونجاته منها ، ولم تتناول علاقته بوالده وما دار بينهما ، كما لم تتكلم عن اعادة بناء اسماعيل وابراهيم للبيت الحرام بينما تناول القرآن الكريم هذه الموضوعات بما ليس فيه زيادة لمستزيد وباسلوبه الشيق الجذاب الذي تحار امام عظمته الالباب ، اما عن يوسف فان التوراة لم تتعرض لكيفية ظهور براءته مما نسبته اليه امرأة العزيز من اتهام بمحاولة غير عرضها بينما شرحها القرآن شرحا وافيا .

وشهد شاهد من اهلها — هو ابن عم لها او ابن خال لها — والقى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها لتكون أوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف .

« ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين » الآية 26 — 27 سورة يوسف .

كما ان التوراة لم تتكلم عن حادث النسوة اللاتي ببرهن يوسف بجماله فقطعن ايديهن ، كما لم تبين لنا الموقف العظيم الذي وقفه حين ابى الخروج من السجن الا بعد ان تعلن براءته على الملأ ، وان تسأل النسوة ليقررن الحقيقة يقول الكتاب : « قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين » الآية 51 يوسف .

خرج يوسف ومثل بين يدي العزيز ليكون عنده المتصرف الامين على خزائنه وارضه ، واقوات رعيته ، خرج ليامر فيطاع — « تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون » الآية 47 يوسف . طريقة فنية لحفظ القمح من السوس والعفن — لقد حار الناس كيف حفظ يوسف القمح سبع سنين اذ لم تفسر التوراة ذلك ، والسوس يتسرب الى المخزون منه بعد اربعة شهرا على الاكثر فكيف فسقى ليوسف انقاذ مصر وانقاذ قوتها .

هنا تظهر عظمة القرآن الكريم اذ ابان لنا تلك الطريقة العجيبة على الرغم من بساطتها .

اتى اخوة يوسف الى مصر للمرة الثانية فاحتجز يوسف شقيقه « بنيامين » ، ولكن التوراة اغفلت ذكر رجوعهم الى ابيهم واخباره بفقدان اخيهم كما لم تذكر ما ترتب على علم ابيهم بفقد ولده العزيز من حزن شديد كان من جرائه ذهاب بصره « وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم » الآية 84 يوسف اذ

تقول التوراة فى سفر التكوين الاصحاح الرابع والاربعين على لسان اخوة يوسف فى رجاء موجه اليه ، هنا نحن عبيد لسيدى نحن والذى وجد الكأس فى يده جمعا ، فقال : حاشا لى ان افعل هذا الرجل الذى وجد الكأس فى يده هو يكون لى عبدا . ، اما انتم فاصعدوا بسلام الى ابيكم ، ولم يرد ذلك بقوله هل هم ذهبوا ام لا ؟

و مما ادنه برحاء لكبره ، بعيدا ، عارت نفسه بدل اخيه لشيخوخة والده وخوفه من هلاكه لشدة حزنه ؛ ثم يتلو ذلك الاصحاح الخامس والاربعون حيث يبدأ بتعريف يوسف نفسه لاخوته وهنا يحدثنا القرآن الكريم عن طريقة استرجاع يعقوب لبصره كما حدثنا عن سبب ذهابه فالقميص انه شفى بمعجزة تتلخص فى وضع قميص يوسف على وجهه عاد بصيرا ، بيد ان التوراة لم تذكر شيئا عن هذا الامر .

هذا عن يوسف عليه السلام .

اما عن موسى فان القرآن انفرد دون التوراة بالمعلومات التالية :

1 الشرط الذى اشترطه شعيب على موسى لتزويجه احدى ابنتيه ، على ان تأجرنى ثمانى حجج فان اتممت عشرا فمن عندك ، وقضاء موسى ابعد الاجلين . ، الآية 27 سورة القصص .

2، ايمان السحرة الذين تحدوا موسى وسجودهم لله وصلبه فرعون لهم وتعذيبهم .

3، امراة فرعون وايمانها حتى وامر فرعون لهامان ان يبنى له صرحا ليطلع على اله موسى .

4، انتشال جثة فرعون بعد غرقه ، فاليوم تنجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ... الآية 92 ... يونس .

5، مؤمن آل فرعون الذى اخذ يعظ الشعب ليعديهم سبل الرشاد ، هذه بعض الامثلة على هيمنة القرآن التاريخية وانها لهيمنة تظهر بوضوح وجلاء كلما امعن الانسان البحث فى ثناياه .

وليست هذه الهيمنة قاصرة على التاريخ فحسب بل ان جلاله وهيبته وقوة عظمته تشمل جميع النواحى فهو يبسط سيطرته الجبارة على كل ما يتناوله من تشريعات دينية واخلاقية ونواميس تربوية واجتماعية ، وحقائق علمية وفلكية ، ومعلومات طبية ، واخبار غيبية لها اسرارها الباهرة، وابعادها البالغة تحدث عنها منذ ما يقرب من اربعة عشر قرنا ، واليوم اصبحنا نرى اقطاب الفكر فى العالم يطلعون علينا بين الفينة والفينة بنتائج ابحاثهم العلمية وعصارات افكارهم المدهشة التى سيقولون انها يقرون قد لا نشك انها ستحقرهم يوما ما للايمان به وبعظمته ، وبما جاء به من مبادىء وآيات اذا ما انعموا النظر فى آيته المقدسة وما تحتويه نثرها المتناسبة من عجائب وقف دونها رجال الفكر واممة المعرفة مشدوهين .

ومن هذا المنطلق نعرض امثلة فى الموضوع كدليل نقدين من بين سطورها تلك الاسرار القدسية الكامنة بين دفتيه يقول الله تعالى فى سورة النساء الآية 56 : ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ، اعد سبحانه لجاحد آياته المنزلة على رسوله (ص) : نارا مسعرة تشويهم وتحرق اجسامهم حتى تفقدها الحس والادراك قال جلت قدرته : ، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ، اى كلما فقدت التماسك الحيوى وبعدت عن الحس والحياة بدلها جلودا اخرى حية تشعر بالالم وتحس بالعذاب .

يقول الدكتور عبد العزيز اسماعيل بشا رحمة الله عليه فى كتابه ، الاسلام والطب الحديث ، الحكمة فى تبديل جلود الكفار — ان اعصاب الالم هى فى الطبقة الجلدية واما الانسجة والعضلات والاعضاء الداخلية فالاحساس فيها ضعيف ، ولذلك يعلم الطبيب ان الحرق البسيط الذى لا يتجاوز الجلد يحدث الما شديدا بخلاف الحرق الشديد الذى يتجاوز الجلد الى الانسجة لانه مع شدته وخطره لا يحدث الما كثيرا ؛ فهو يقول ان النار كلما اكلت الجلد الذى فيه الاعصاب تجدده كى يستمر الالم بلا انقطاع ويذوقوا العذاب الاليم — هكذا نرى هذه الجملة الشرطية الواحدة ترسم هذا المشهد المخيف العنيف الذى تتجلى بين احرفه القوية حكمة البارى سبحانه قبل ان يعرفها الانسان طوال 14 قرنا .

وتلك آية « يس » يقول الله تعالى : ، اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون ، الآية 65 ، فيخرس الله اللسان ،

وينطق اليدين والرجلين قائلا شهادتهما وهو سبحانه يقول : في الآية الاخرى (يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون) سوى سبحانه يقول في الآية الاخرى (يوم تشهد عليهم اختصاص اليدين والرجلين بالشهادة دون باقي اجزاء الجسم مع انها كلها متساوية اذ لا يبدو تغير في هيأتها الاصلية مدة الحياة .

الاجابة عن هذا يرجع لعلم التحقيق الجنائي وهو بالطبع حديث النشأة لم يظهر لعالم الوجود الا في اواخر القرن التاسع عشر ، وبشر الاستاذ (محمد بك شحير) في كتاب له في الموضوع حول ترجمة (بصمات الاصابع والايدي) قائلا : (ليس ما نقرأه من الوقائع المدهشة (لشرلوك هولمز) و (كارتر) وامثالهما وما يكتبه الروائيون امثال (كونان دويل) و (ليكوك) وسواهما ، وما نراه يشخص على الشاشات ودور الصور المتحركة من الروايات البوليسية الغربية التي يتعقب فيها رجال الشرطة السرية الجناة ويتعرفون اشخاصهم مظهرين حقيقة امرهم من اناء لمسوه او وعاء امسكوه او كوب شربوا منه او خزانة فتحوها ليس كل هذا حديث خرافة وانما هو ثمرة العلم الحديث ونتيجة مجهودات العلماء الذين اتوا بالمعجزات في فن بصمات الاصابع والايدي ، ولم يكن لاستخدام بصمات الاصابع في الجنايات للتعرف على شخصية ما بطريقة ثابتة للاستعانة بها على استخراج السوابق معروفا في اوروبا الا حديثا ؛ فقبل سنة 1890 م لم يعرف عنها شيء في الحياة العلمية الشيء الذي يجعل اختصاص اليدين والرجلين في الآية دون بقية الاعضاء معجزة قرآنية لخذت الابحاث العلمية تعرب عنها في القرن العشرين .

ومن العجب ان ختمت السورة بما يفيد ذلك يقول الله سبحانه (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم) الآية 53 سورة فصلت . كأنه جلت عظمته يقول : اختصاص شهادة الايدي والارجل دون بقية الاعضاء امر يشكل عليكم ولكن سأظهر لكم بعض سره في الدنيا ، وقد أظهره تعالى في عصرنا الماثل فكانت المعجزة لهذا مزدوجة اولا : اختصاص اليدين والرجلين ، ثانيا : ظهور ذلك بالفعل لمكان سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم .

ومن معارف الكتاب والوان انواره الساطعة بما تضمنته من باهر الآيات قوله تقدست اسماؤه في سورة الانعام : (ومن يرد الله ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) 125 الانعام . تحمل الآية في مدلولها البياني — ان من غلبت فطرته بالشرك وتدنست نفسه بالآثام والاوزار يجد في صدره ضيقا ايما ضيق اذا طلب اليه العامل غيبا يدعى له من دلائل التوحيد والنظر في الآفاق والانفس لما استحوذ على قلبه من باطل التقاليد ، والتعلق بعادات الآباء والاجداد والاستكبار عن مخالفة ما الفه وسار عليه الناس وتضعف ارادته لحد بعيد عن ترك ما هو عليه فتكون اجابته الداعي الى الدين الجديد ثقيلة عليه ، ويشعر في الوقت نفسه بالعجز عن احتمالها ، ويكون مثله مثل من صعد في الطبقات العليا في جو السماء اذ يشعر بضيق شديد في التنفس ، وكلما صعد في الجو اكثر شعر بضيق أشد حتى اذا ما ارتفع الى اعلى من ذلك شعر بتخلخل الهواء ولم يستطع سبيلا الى البقاء ، فان هو قد يقي فيها قضى نحبه اختناقا ، فيها نرى كيف ضرب الله مثلا لضيق النفس المعنوي بمن دعي الى الحق وقد الف الباطل وركن اليه بضيق التنفس الذي يجده من صعد بطائرة الى الطبقات العليا من الجو حتى لقد يشعر بأنه اشرف على الهلاك وهو لا محالة هالك ان لم يتدارك نفسه، وينزل من هذا الجو المختنق الى طبقات اسفل ، انها لآية خالدة ينطق بها الكتاب المقدس قبل ان يفهم سرها البشر ، وما ادرك كنهها الا بعد ان مضى على نزولها نحو 14 قرنا ، وتقدم في الطيران وما اليه من خوارق الاجواء وبالتجربة صدق الكتاب ودل بوضوح على صحة ما ثبت في علم الطبيعة من اختلاف الضغط الجوي في مختلف طبقات الهواء ، وعلم ان الطبقات العليا اقل كثافة في الهواء من الطبقات السفلى ، فكلما صعد الانسان الى طبقة اعلى شعر بالحاجة الى الهواء بضيق التنفس ذلك لقلة الهواء المليء بمادتي الاكسجين والادرجين

الدعامتين الاساسيتين للحياة ، وهذا ما يحفز رجال الفن اذا ما اضطروا للتوغل في اجواء الفضاء الى استعمال جهاز التنفس ليساعدهم على السير في تلك الطبقات والاحتفاظ بحياتهم الطبيعية .

وهذه الآيات البينات التي المعنا اليها وغيرها كثير لم يستطع علماء التفسير ايضاحها ايضاحا يكشف ما تحمله من اسرار اذ لم يهتدوا للمودع في ثناياها (5) الى ان جاء الكشف الحديث وتقدمت العلوم ، واصبح في متناول البحث العلمي بيان مغزاها وكشف المراد منها حسبما اثبته البحث ومن هذا المنطلق صح ما قالوا : « الدين والعلم صنوان لا عدوان » وهكذا دواليك كلما تقدم العلم ارشد الى ايضاح قضايا خفي امرها على متقدمي العلماء خاصة من عنى بالتفسير وعلومه ولا بدع ان يدخر لبعض المتأخرين ما عسر فهمه على بعض المتقدمين — يؤتي الحكمة من يشاء ، والله واسع عليم .

---

(5) وقد يكون البعض من رجال العلم تهيب الدخول في اعماق الآي واستكناه ما تحمله ابعاد مفاهيمها من علم طالما ساعده استعداد للكشف والبعث .

الربـــاط عبد الله الجراري

اســـــــدراك

وقعت في مقـــال الاستـــاذ محمـــد المنـــوني « المؤلفات المغربية في الصلاة على خير البريـــة » المنشور في العدد الماضي الاخطاء التالية :

— ص 20 . ع 2 . س 6 : المهـــدي بـــدل التهـــزق .

— ص 24 . ع 1 . س 3 : العلوي بدل المولى

— ص 26 . تعليق رقـــم 5 ، يقـــرا السطر الثاني والثالث على هذا الترتيب :

« مفاخـــر الاسلام » لابن صعـــر ، مخطوط المكتبة الحمزية ، وترجمة مؤلفه عنـــد ابن بشكوال في « الصلـــة » نشر العطار رقـــم 1299 . وجاء اسمه — كلامـــلا — عنـــد السخـــاوي في خاتمـــة القول البديـــع .

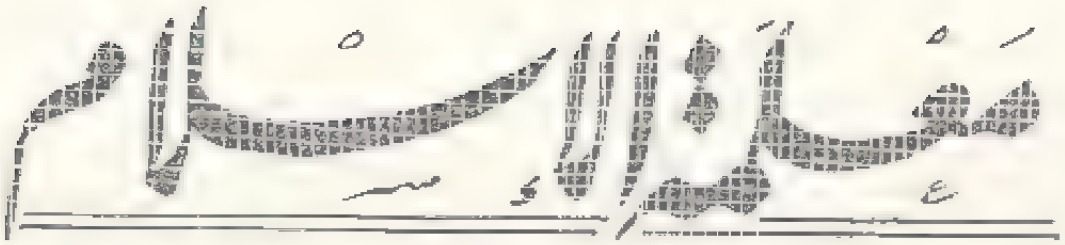

بقلم الأستاذ أنور الجندي

المراد بالمعلمة : المعجم الذي يحوي مصطلحات العلوم والفنون وقد اخترناها في هذه المحاولة التي قصدنا بها الى انشاء : « دائرة معارف اسلامية جامعة تربط بين الاصالة والمعاصرة » وتختص بالمصطلحات وتضم 99 مادة « اي مصطلح » في مختلف ابواب الشريعة والاخلاق والتربية والاجتماع والاقتصاد والنفس والثقافة والحضارة والعلم والفن والتاريخ واللغة والسياسة والفلسفة ومقارنات الاديان .

الحديث في هذه المعلمة موجه الى شباب الاسلام والعرب فهم عدة الوطن الكبير وجيل الغد الحامل بمسئولياته وتبعاته ، وهم الذين سوف يحملون امانة الدفاع عن هذه العقيدة في مواجهة الاخطار التي تحيط بها من كل جانب ، فمن حقهم على جيلنا ان يقدم لهم خلاصة ما وصل اليه من فكر وتجربة وان نطلعهم صادقين مخلصين على حقائق الامور ، وان نعبد لهم الطريق الى الغاية المرتجاة : غاية العزة والكرامة والسيادة لهذه الامة في ارضها واهلها بما يمكنها من ان تحقق رسالتها وتنشر دعوتها في العالمين .

ومن هنا فقد كانت هذه مسؤوليتنا ازاءهم فاذا لم نقم بها كنا آثمين وكان علينا تبعة التقصير وعجز التبليغ وهذا مفهوم الاسلام في بذل العلم والثقافة وتبيينه للناس والكشف عنه والامتناع عن كتمانه وتقديمه خالصا لله مجردا عن الهوى او الغرض او المطمع وهو غير ماتحاول الفلسفات ان تقدم للناس من شكوك وشبهات وتساؤلات لا اجابة لها معنا في تعميق الحيرة وتوسيع نطاق القلق وخلق اجواء اليأس والتشاؤم وليس الاسلام كذلك ، انما الاسلام عطاء للقلوب ونور للنفوس وهدى للعقول فما من كلمة تثار لكشف باطل الا ومعها كلمة الحق تشفي الصدور المؤمنة وترضي العقول المستنيرة .

وشبابنا المسلم والعربي هدف من اهداف اعداء الانسانية وخصوم الاديان وكل ما يوجه اليهم من سهام الغزو في عقائدهم واخلاقهم وقيمهم عن طريق الكلمة او الصورة او الشاشة انما يراد به هدم هذه الاجيال وتدميرها حتى تسقط قلعة الاسلام في ايدي اعدائه وتسيطر القوى الظالمة على البشرية كلها وسوف لا يقع هذا ما دمنا متيقظين واعين لما يراد بنا قادرين على التماس طريقنا الذي هدانا الله بالحق .

ولقد عمل الاسلام على تحرير اتباعه من التأثير الاجنبي بكل انواعه ودعا الى اليقظة ازاء الحرب النفسية والغزو الفكري مما يهدف الى تغيير المعالم الاصيلة لعقيدتهم وفكرهم وثقافتهم . ذلك ان الاسلام انما يريدهم امة متميزة لها خصائصها ولها رسالتها فلا يضيعوا في غمار الامم ولا تحتويهم الدعوات ولا

مصيرهم الحضارات ليكونوا الدعاة الى الله قائمين على كلمة التوحيد الخالص لا يضرهم من خالفهـــم حتى تقوم الساعة .

لقد قصدنا بتقديم هذه المعلمة ان نقدم للشباب تفسيرات واضحة صريحة وصادقة لكل ما يثار في افق الفكر الاسلامي والثقافة العربية من مصطلحات ومفاهيم وقيم لنكشف وجه الاسلام فيها .

ولقد بدانا هذه المحاولة منذ بضعة عشر عاما وتقصينا اغلب ما كتب ونشرنا في ذلك عشرات الكتب التي هي بين يدي القارىء اذا اراد التوسع في التفاصيل — اما في هذه المعلمة فقد رغبنا ان نقدم العبارة الموجزة والخلاصة المركزة في اسلوب بسيط يسير بحيث يمكن للشباب المثقف ان يحيط باكبر قدر من المعلومات في حيز قليل من الكتابة ، من خلال مواد الفكر كله حتى يتم بذلك تاصيل مفهوم التثقف الاسلامية لجامع الذي ينظم معرفته جميع ابعاد الاسلام فكره وعقيدته وشريعته واخلاقه ولا يقتصر على جانب او عدة جوانب . وبعد فتلك امانتنا الى شباب الاسلام خالصة لله مبـــراة من الغرض والهوى والمطمع هادفة الى الحـــق على صراط الله المستقيم . والله جـــل جلاله من وراء القصـــــد .

مـــا هي المعلمـــة

المراد بالمعلمة : المعجم الـــذي يحـــوي العلـــوم والفنون . وهي من الصيغ التي تدل على المكان الذي يكـــرفيه الشيء والمكان قد يكـــون وعـــاءا او اداة ، ووعاء العلم الكتاب كما لا يخفى وقد تكسر الميـــم حملا لها على معنى الوعاء كمـــا قالت العرب سابقـــا (مقلمة) لوعاء اقلام الكتابة لانها تكثر فيه .

والمعلمة هي التي سماها بعضهم (دائرة معارف وهي تعريب لفظي لكلمة (انسكلوبيديه) الافرنجية لكنها في العربية لا تفيد فائدة المعلمة .

وسماها بعضهم (كتاب موسوعـــات) هـــذا ما نقلـــه العلامة احمد تيمور عن الكرملي في نفـــس كلمـــة (المعلمة) وقال ان اللغويين لم يتفقوا على لفظة عربية مفردة يصح اطلاقها على نوع المعاجم المعروفة عند الافرنج باسم ولهـــذا اضطـــر مؤلفو هذا النوع منذنا الى اختـــيار اعلام مركبـــة لمعاجمهم تدل بالتقريب على ما تحتويه .

ونقول ان اول من اطلق على هذا الصنف كلمة دائرة معارف هو البستاني وتبعه فريد وجدي وقد استعمل البعض كلمات : قاموس ومعجم وموسوعة على التوالي ولم يستعمل احد بعد مصطلح (معلمة) مع انه اوفى واكثـــر لمحاطـــه وشمولا . وبالجملة فالمعلمة في تقديرنا (موسوعة قاصرة على المصطلحات في الفكر والعقيدة) وهذا ما قصدنا اليه . وما يتميز به هذا العمل الذي نقدمه عن المعاجم المختلفة .

المصطلحات العامة

الواردة في هذه المعلمة

الاديـــان	الاسلام
الادب	الاقتصاد
الاجناس	الاستعمار
التاريخ	التربية
الثقافة	الحضارة
الاخلاق	السياسة
الشريعة	العلـــم
الفكر	الفلسفات
الفـــن	اللغة
المجتمع	النفـــس
الشباب	المـــرأة

لماذا اصدرنا معلمة الاسلام

عرفت اللغة العربية في العصر الحديث الموسوعة والقاموس والمعجم ودائرة المعارف وكان ذلك امتدادا لتاريخ عريق متصل في الادب العربي والفكر الاسلامي منذ بدأ انمتنا الاجلاء كتابة دوائر المعارف الاسلامية وهو العمل الذي لايزال بين ايدينا يهدي الى ضياء العلم ونور الثقافة . ولقد اهدى الينا على المدى الطويـــل عديد من هذه الموسوعات ابرزها :

الفهرست لابن النديم واحصاء العلوم للفـــارابي ومفاتيح العلوم للخوارزمي ومفتـــاح السعـــادة لطاشي كبرى زاده وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (محمد علي بن علي) .

هذا بالاضافة الى موسوعات اللغة امثال لسان العرب لابن منظور والمخصص لابن سيده وموسوعات التاريخ امثال وفيات الاعيان لابن خلكان وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي والوافي بالوفيات للصفدي .

والذي يعنينا في هذا العصر امر المصطلحات المحدثة المتصلة بمفاهيم القيم والمعارف والعلوم والفلسفات

وما اطلق منها في الغرب ثم ترجم الى اللغة العربية دون ان يتصل بمدلولات الفكر الاسلامي وظروفه ومصادره .

ومن ثم فقد وجدت في مجال الفكر الاسلامي كلمات كثيرة لها ترجمات عربية دون ان يكون هناك ما يكشف عن ظروفها وارتباطاتها في بيئاتها او التحديات التي نشأت فيها وقد جرت محاولات ماكرة لان تحل هذه المصطلحات محل كلمات عربية معروفة فكان ذلك من اخطر ماقصد اليه الغربيون ، نظرا للاختلاف الواضح البين بين الكلمة المعربة والكلمة العربية .

فهل يمكن ان تؤدي (رليجون) المعربة معنى كلمة دين في اللغة العربية وهل تؤدي كلمة (ديمقراطية) معنى كلمة شورى العربية هل تؤدي كلمة (اشتراكية) معنى كلمة (عدالة اجتماعية) العربية وهل تؤدي كلمة (قومية) معنى كلمة (عروبة) في الواقع ان هناك فوارق عديدة بين مدلول هذه الكلمات وفي عشرات أخرى من المصطلحات التي وضعت في البيئات الاوروبية سواء في مجال السياسة او الاجتماع او الاقتصاد او الدين والتي ترجمت ، ثم جرت المحاولة بعد الترجمة لوضعها بديلا للكلمة العربية التي لا تحمل نفس المعنى ولا تؤديه .

ذلك لان الكلمات التي تتخذ كمصطلحات انما تحمل وضعية خاصة ترتبط بالعصر والبيئة والظروف والتحديات ومثلها . وهذا ما لا يمكن ان يتوفر لها بالترجمة التي تواجه عصرا وبيئة وعقائد تختلف وتتباين .

كذلك فان الكلمات تتغير مدلولاتها مع الزمن وتتطور بالاستعمال في نفس لغتها وبيئتها فما بال الامر حين تنقل الى لغة أخرى ، ومن ناحية أخرى فان القيم التي تعرفها البشرية تكاد تكون واحدة ولكن الخلاف بين الامم والثقافة انما يتمثل في امرين (اولا) في ترتيب هذه القيم وجعل اولويات معينة لبعضها على البعض الآخر (ثانيا) في تفسير هذه القيم وتصورها وذلك كله يرجع اصلا الى ذاتية الامم من خلال مفهومها الخاص للثقافة والعقيدة والتاريخ .

ومن هنا فليس من المسلم به ان تكون القيم عالمية في ترتيبها وتفسيرها وان تشابهت في اسمائها

ونحن المسلمين لنا فكر متميز يستمد جذوره واسسه من القرآن الكريم وتتمثل فيه ذاتية المسلمين الخاصة التي تختلف بهم عن الامم في امور كثيرة من المقدرات والقيم والمقومات .

ومن هنا كان من الضروري ان تجرى مراجعة هذه المصطلحات تمهيدا المطروحة في أفق الفكر الاسلامي واستقصائها والكشف عن حقيقتها وموقف الاسلام منها وذلك حتى لا تختلط في اذهان المثقفين او يظن ان هناك تشابها ما يمكن ان يسمح باذابة الفوارق بين الفكر الاسلامي الرباني المصدر وبين الفكر البشري الذي يمثله الفكر الغربي بشقيه او باجزائه الثلاثة : (الغربية والماركسية والصهيونية)

والحقيقة الاساسية التي يجب ان تكون نصب اعين كل باحث مسلم او مثقف مسلم انما تتمثل في التفرقة الواضحة بين مفاهيم القيم في الاسلام وفي غيره ، الامر الذي لا مفر منه في هذا العصر حتى يسأل المثقف المسلم نفسه دوما وازاء كل امر :

« ما هو موقف الاسلام منه »

وعلينا ان لانتسامح في الامر ظنا بان هناك قيما انسانية عامة تشترك فيها الامم والاديان ، ذلك ان المستويات الاخيرة قد اجرت تغييرا خطيرا في امر هذه القيم الانسانية العامة بعد ان استعلى المذهب المادي وسيطر على مفاهيم الفلسفة ومعارفات الاديان والعلوم الاجتماعية والانسانية الى أن احتوى : الادب والتاريخ والحضارة .

وهذا هو التحدي الذي يجب الاحتراز منه والخطر الذي يجب تقدير اثره ، فلقد كانت في المراحل السابقة لعصر المادية — المسيطر الآن على الفكر الغربي — محاولات تتمثل في الفلسفات المثالية التي هي قريبة من روح الاديان ، غير أن هذه المحاولات لم تلبث ان انهزمت تماما ولم تبق منها الا ذيول قليلة ماتزال تكافح ، فقد استطاعت الفلسفة المادية التي حملت لواءها اليهودية الصهيونية أن تجتاح الفكر الغربي كله بشقيه وان تسيطر عليه وان تحتويه وتستوعبه تماما ، ومن هنا انقطع ذلك الضوء الخافت الذي كان يومىء بأن هناك قيما انسانية عامة يشترك فيها المسلمون واصحاب الاديان والثقافات الاخرى.

ومن هنا فقد أصبح على الفكر الاسلامي أن يعيد النظر بالنقد والمراجعة لمختلف المصطلحات الجديدة في مجال النفس والاخلاق والتربية بوصفها علوما اجتماعية وانسانية وان يكشف عن نظرته الواضحة ومفهومه الصريح وموقفه الكاشف في مختلف قضايا الاجتماع والسياسة والاقتصاد .

ذلك انه من المحتم ان لا يستسلم الفكر الاسلامي لنظريات الفكر الغربي استسلاما كاملا ولا يتقبلها بحذافيرها وانما عليه ان يعرضها على الاصول الاساسية له اولا وان يقبل منها ويرفض في ضوء قواعده الثابتة الراسخة وفي مقدمتها التوحيد الخالص .

ولقد كان الفكر الاسلامي دائما وسيظل في موقف الحذر والمواجهة بل والمعارضة حين يتصل الامر بالفلسفة المادية ذاتها .

وقد امتدت حركة المواجهة والكشف عن الزيوف ودحض الشبهات منذ وقت طويل وعمل في حقلها عشرات من الابرار، وجاء الوقت الذي يجب ان يوضع في أيدي الشباب المثقف عمل متكامل جامع ميسر ، هو بمثابة ضوء كاشف يحول دون السقوط في هوة التبعية او الاستسلام في مجال التقليد ، ويستهدف بالدرجة الاولى اطلاق الاشارات الحمراء المانعة من التردي في الهاوية .

ولقد توالت الاصوات مرتفعة بالدعوة الى الاصالة والتماس الذات والتحرر من التبعية حتى استطاعت ان تتكون بمرور الزمن بالوعي واليقظة مناعة قادرة على معرفة الاصيل من الدخيل ، ولقد كان للتحديات التي واجهها الفكر الاسلامي نتيجة محاولات التغريب والغزو الثقافي في مواجهة التيارين الغربي والماركسي اثرها البعيد في الكشف عن زيف الفكر الغربي في مجالات كثيرة وتصوره وانبهاره ازاء معضلات الحضارة والمجتمعات الحديثة ، كما كشفت هذه التحديات عن مدى قدرة الفكر الاسلامي على العطاء في مواجهة هذه المعضلات التي وقفت امامها الحضارة الغربية عاجزة بينما يستطيع الاسلام ان يحل مشاكل البشرية هذه ويهديها الى النور .

غير ان خطرا مازال مسلطا لما يكشف الفكر الاسلامي ابعاده وآثاره لانه لم يتمثل في صوره مؤسسات ، ذلك هو خطر الفكر التلمودي اليهودي الصهيوني الذي يتغلغل في مفاهيم علوم النفس والاجتماع والاخلاق والتربية . فنظريات هذه العلوم ليست في الحقيقة الا مخططات التلمود مصاغة في قوالب ذات صبغة علمية براقة ، وقد كشف عن هذه الصلة كثير من الباحثين في الاونة الاخيرة وهذا هو ما نحتاج على الاشارة اليه حتى يتعرى تماما هذا الفكر الزائف امام الشباب المثقف ذلك ان الفكرة التي يحملها الفكر التلمودي اليهودي والتي تتمثل بوضوح في بروتوكولات حكماء صهيون انما ترمي الى احتواء العالم المعاصر كله بالسيطرة على الثقافات والعقائد والنظم السياسية وهي قد استطاعت ان تصل في ذلك الى غايات بعيدة ، يمكن القول معها بان الفكر الغربي كله غربيا وماركسيا قد سقط اليوم في قبضتيها وانه اصبح يصدر من منطلقات الفلسفة المادية القائمة على انكار مقررات الاديان وقيم الاخلاق .

وفي ظل ذلك قد تكشفت حقيقة تظهر الآن وتتضح باجلى معانيها ويزيدها مرور الايام قوة : هي اخفاق الحضارة الغربية بجميع مذاهبها لعقائدية وانظمتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية اخفاقا ذريعا في تقديم منهج حياة مسعد للبشرية وليس ذلك الا مقدمة لاحد امرين : اما الاستيعاب الصهيوني التلمودي الذي سوف يلتهم كل شيء وانما ان تفيق البشرية لتبحث عن الحقيقة وهي موجودة بين ايدينا ويبدو الآن ان الطريق مازال مفتوحا امام مغامرة اصحاب البروتوكولات الذين يعهدون الارض منذ اكثر من ثمانين عاما ويتوقعون تحقيق املهم قبل نهاية القرن العشرين .

فمتى يستطيع المسلمون تقديم مفهوم اصيل مستمد من دينهم الخاتم لهداية البشرية والسير بها الى الطريق المستقيم .

ان المفكرين المسلمين مطالبون اليوم بان يقدموا (الاسلامية) للبشرية بديلا عن هذه المناهج التي انهارت وفسدت وتعفنت ومطالبون قبل ذلك ان يتعرفوا اليها هم ويأخذوا بها في انفسهم وفي اسرهم وهذا يقتضي الكشف عن الحقائق وتصحيح المفاهيم وتحرير القيم من دخائل التفسيرات الغربية والماركسية والصهيونية جميعا وازاحة الظل المظلم وكسر هذه الدائرة المغلقة التي خلقها التغريب

والغزو الثقافي، وعلى المسلمين ان يعلموا انه لم يعد هناك مجال للتوفيق او المواءمة بينهم وبين المذاهب الوافدة او الحضارة المنهارة ، فليسوا هم في الحقيقة جزءا منها وليسوا مرحلة تالية لها .

والذين حاولوا العمل لتوفيق بين الحضارة الاسلامية ، او بين الفكر الغربي والفكر الاسلامي لم يستطيعوا ان يحققوا شيئا بل انتهت تجربتهم بالفشل الذريع في المحاولتين اللتين جرتا خلال هذه السبعين عاما سواء مع تجربة الغرب او تجربة الشرق بل كان من نتائج هذه المحاولة ان منى المسلمون والعرب بالهزيمة مرة بعد اخرى .

ولقد كان اصحاب هذه المحاولة اعجز عن تقدير الاسلام وفهمه فقد ظنوا انه شان العقائد والمذاهب الاخرى التي تقبل الاضافة والحذف، ولم يقدروا شان المنهج المحكم الرباني المصدر الانساني الطابع ، وما تزال محاولتهم ضالة ولن تصل الى شيء .

ولقد دفعت هذه الهزائم المتوالية المسلمين والعرب الى التطلع لافق جديد فلم يجدوا امامهم الا منهجهم الاصيل بعد ان جربوا كل نظرية وايديولوجية فلم يعد لهم بد من التماسه ولم يعد لهم طريق غيره وهم يعودون اليه اليوم بعد ان اغلقت في وجههم كل الابواب وعجزت كل التجارب وبعد ان وجدوا من وراء اغرائهم بهذه المذاهب تآمرا ومكرا ورغبة في تحطيمهم واحتوائهم والقضاء عليهم ، وقد اثبتت التجربة التي بين ايديهم انهم بعد سبعين عاما لم يتحقق لهم ما يدفعهم الى الامام . وقد تكشف لهم ايضا ان حاجتهم الى الغرب ليست الا حاجتهم الى العلم التجريبي ومعطياته على ان تنقل الى اللغة العربية اساسا وتتحرك من داخلها . اما مناهج العيش والحياة والمجتمع فان لديهم مفاهيمهم وقيمهم المتصلة بذواتهم وطبيعتهم والمرتبطة بعقائدهم وثقافتهم .

ان الاسلام ليس الا شيئا مستقلا مختلفا ، له ذاتيته الخاصة وطابعه المفرد وهو لا يمكن ان يتحور ولا ان يحتوى ولا ان يكون تابعا للحضارات والامم او مدورا للاوضاع التي تاخذ بها الاقوام في تجاربها الخاصة او في فكرها البشري وانما هو النظام المتكامل المفرد الذي لا يقبل اما ان يؤخذ كله او يترك كله والذي لا يصلح فيه التلفيق او الاختيار او الانتقاء، ذلك لانه جاء منذ انزل الله به على رسوله جامعا لكل الاصول التي تتعلق بالفرد والامة والحياة والمجتمع والعقل والقلب والدنيا والاخرة ، وهو في حقائقه متسق مع الفطرة والعلم والعقل متجاوب مع النفس البشرية في مختلف حالاتها .

ومن هنا كانت اصالة النهج الاسلامي للمسلم اولا وللانسان كله ثانيا في مختلف ضروب النشاط والحركة .

اما النظرية الوافدة فهي من صنع مجتمع له ظروفه وتحدياته وقيمه وعقائده ، ولقد ولدت هذه النظرية من خلال عصر وبيئة محدودين فهي مرتبطة بهما وهي بهذا الحديد لا تصلح لكل عصر ولا لكل مجتمع ، ولن يصادف نقلها في هذا الاوان طفرة مشابها من قريب او بعيد لظروفها في بيئتها وعصرها ذلك انه حتم على كل مجتمع ان يبحث عن حاجته في ثقافته وتراثه وتجربته ولا باس عليه ان يعرف تجارب الآخرين ويتقبلها كمادة خام يشكلها كيفما شاء وحسبما تهيأ .

مواد المعلمة

تتضمن المعلمة (99) مصطلحا موزعا على (22) بابا تمثل هذه الابواب مختلف جوانب الفكر والمجتمع دائرة حول محور واحد هو «الانسان» فهي تعالج قضايا النفس والاخلاق والتربية وتكشف وجهة نظر الاسلام فيها ثم تتناول قضايا العقل والعلم والفلسفة من جهة اخرى في ضوء الاسلام ثم تعرض لامور المجتمع والمراة والشباب والشريعة والسياسة والاقتصاد كاشفا عن حقائقها وقد عالجها الاسلام جميعا وادلى فيها برايه ثم تتناول امر الدين عامة والاسلام بخاصة وقضايا الاجناس والحضارة والتاريخ فيما يتصل بالانسان من حيث هو فرد ومن حيث الجماعة وتعرض لموقفه من الادب ومن الفكر ومن الثقافة فلم يدع قضية من القضايا التي تدور حول اموره جميعا الا اوضح فيها مدى الفارق العميق بين راى الفكر البشري وراى الاسلام وايهما اقرب الى الفطرة واصدق في مقاييس العلم وانضج في تقدير العقل واهدى الى طمانينة النفس وابعد عن الوهم والشبهة والظن والهوى .

وفي مجال الاسلام وقضاياه يتسع مجال القول عن القرآن والنبوة والعقيدة والشريعة والتوحيد

والقدر والجهاد والغيبيات وحين يتصل الامر بالفلسفات تتعرض المعلمة للحرية والعقل والشك والموت وتتحدث عن الوجودية والالحاد والوثنية والروحية والمادية وتعرض للاعتزال والباطنية والقاديانية والبهائية والثيوصوفية والماسونية .

وفي مجال الفكر تتناول مواد المعلمة : الاستشراق والتبشير والتغريب والاسرائيليات وقضايا حرية الفكر والتراث والاصالة والثوابت والمتغيرات والاقتباس وسلم القيم .

وفي مجال السياسة : تتناول المعلمة الديمقراطية والقومية والاجناس والشعوبية والصهيونية العالمية والعنصرية والفرعونية والفينيقية .

وهناك قضايا الاسرة والملابس والتعليم وقضايا الصحي والعامية وقضايا الجنس والحب وقضايا العلم والدين والعلم والفلسفة والعلم والعلمانية والتطور.

وفي مجال الادب : قضايا الاساطير والترجمة والقصة والادب المكشوف .

وفي مجال الاقتصاد : قضايا الماركسية والراسمالية والاسلامية .

وفي مجال التاريخ : قضايا التفسير المادي والتفسير المناخي والتفسير الروحي .

وهناك علاقة الاديان بالاسلام وهل الاسلام دين بمفهوم الغرب ، وهناك العلوم الاجتماعية ومفاهيمها ومدى غ الاسلام منها وهناك علوم الاجناس والتحليل النفسي ومناهج الادب الوافدة ومفهوم الفن ومناهج التربية والتعليم والثقافة ومدى علاقتها وهناك قضايا المراة في الاسرة والمجتمع والعمل ومايطرحه الاستعمار في افق العالم الاسلامي من قضايا ازدحام السكان وتحديد النسل وما تطرحه الصهيونية من شبهات لايجاد التناقض بين الدين والدولة ، والعروبة والاسلام ، والشريعة والعصر وما يتصل بالربا والحدود ، وعلاقات الشباب بالآباء والامهات والمعلمين كل هذا في 99 مادة ومصطلحا موزعة على مائة جزء ، وتصدر في اربع مجلدات كل منها 400 صفحة وتضم 25 جزءا تستوى في 1600 صفحة وهي عصارة قراءة مئات الابحاث والمراجع والمصادر تستهدف في مجموعها غرضا واحدا هو الاجابة على السؤال الذي يدور على كل لسان :

«ماهو موقف الاسلام» ؟

ونرجو ان نجيب على ذلك بعون الله وفضله وهداه في ضوء القرآن الكريم .

(انور الجندي) —

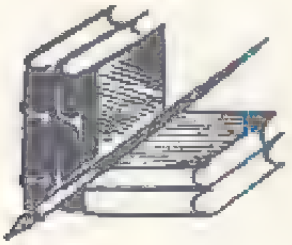

معركة جنة

للأستاذ محمد بن محمد العابد

في هذا الجو المشبع بالتدبر والخشوع ، والمطافح بالدروس والعبر .. ومن هذا الشعر الطاهي الباسم المشرق المتألق ، ومن هذا العرين الذي لا يرام ولا يضام ، ومن هذه الارجاء الفيحاء التي هي مهد الامجاد والبطولات ، انطلقت موكب الفتوحات منذ عهد عقبة بن نافع الفهري ، والمولى ادريس الاول ، وطارق بن زياد - وابن بطوطة وسواهم من الاعلام الاعلام ..

وتتعاقب الايام والسنون ، والاجيال والقرون ؛ وتتوالى حلقات العد والجزر ، ويقسم التاريخ أن يعيد نفسه ، وبصورة أكثر دلالة وعمقا وضخامة : ففي يوم 7 جمادى الاولى من عام 1367 هـ الموافق 9 ابريل سنة 1947 م ، كان صوت رائد النهضة المغربية ، وبطل التحرير — قدس الله سره وتغمده بواسع رحمته — يدوي مجلجلا من فوق هذا المنبر الدولي العالي الاشم ، للمطالبة بحقوقنا المشروعة في استرداد حريتنا واستقلالنا وسيادتنا القومية ووحدتنا الترابية ، وللاعلان على رؤوس الملا بأننا جزء لا يتجزأ من الاسرة العربية الكبيرة ، والامة الاسلامية العظيمة .

ان للمغرب العربي المسلم سياده ما طاطأت الراس ابدا لاي مستعمر او دخيل . وتلك كانت طبيعته منذ العهود التاريخية الاولى ، وفي عصور الفينيقيين والقرطاجنيين والوندال وسواهم ..

وحتى في عز الدولة العباسية ، والحملة الهلالية وما اعقبها من شتى التيارات . فالمغرب لا ينام على ضيم ، ولا يستكين ابدا لهوان .

ها هو العالم اجمع يشهد اليوم في مشارق الارض ومغاربها صورة اخرى من اروع الصور التي تتشخص وتتاور الانتحام والانسجام والتجاوب المطلق بين القمة والقاعدة ، اي بين العرش العلوي المجيد ، وقلوب المغاربة قاطبة .

اننا مازلنا نذكر بفخر واعتزاز ومباهاة ، ما تحمله زيارة طنجة من لدن صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس — نور الله ضريحه — من معان سامية ، وشحذ للهمم ، وتثبيت للاقدام : فالنفحات المسكية لتلك الروح الطيبة الزكية ، كم صقلت من الهمم ، وكم ابسعت من ثغور ، وانلجت من صدور ! ان عروسة البحرين طنجة كانت تزهو عزة باستقبالها بطل العروبة والاسلام . فالهيام به لا يصفه لسان ، ولا يحيط به بيان ، بل انه حرك اعماق الوجدان ، وجعل الحياة لوحة رائعة التناسيم والظلال والالوان ، توقظ خيال الشاعر وتوحي لريشة وعبقرية الفنان ، وتنطق الصحاف ، وتعلم السياسي كل راي صائب ، حينما يلمس من كثب تلك الكلمة الخالدة ، ذات الغوص العميق : « ما ضاع حق من ورائه طالب » .

ان تلك الصراحة المنبثقة من قوة الايمان ، وصفاء القريحة ، واشعاع النبوغ ، ورباطة الجاش ، والثبات على العقيدة ، والثقة المطلقة في الله عز وجل ، قد اقامت العالم وأقعدته ، فاستيقظ النيام ، وانتبه الغافلون ليهبوا الى علاج الادواء والاسقام ، وتقويم الاوضاع ، وتوحيد الموقف المصيري الحاسم .

وحينما التفت الامة خلف امامها وزعيمها ومليكها في صلاة الجمعة المشهودة ، وجلت القلوب وبكت العيون خشوعا ، وامحت الخلافات ، واضمحلت الفوارق ، وتكتلت الجهود ، لتصبح الزوايا الحسنة والهمم العالية ، والطاقات الواعية ، تنطلق كلها في تضامن وتناصر وتساند ، لاستقبال عيد جديد ، يصل الماضي بالحاضر ، ويرفع صروح المستقبل ، ويعيد للامة المغربية الابية تماسكها ووحدة صفها ، لتحقق ما تطمح اليه من نصر وامن وسلام ، وتفتح ورقي وازدهار .

وليس منعطف رحلة طنجة التاريخية سوى صرخة اخرى مدوية في وجه الطغاة والمستبدين ، وضد الزيف والزيغ والكفر والمسخ والانحراف ، وضد الظهير البربري المشؤوم ، وضد التفرقة والعنصرية البغيضة ، وضد كل ما من شأنه ان ينال من ذات المغرب وشخصيته واصالته وعزته وشرفه ، ويجرح كرامته ويقدح في كبريائه . انها ثورة جذرية عارمة اقضت مضاجع المستعمرين ، وزلزلت كيانهم ، وضعضعت هيكلهم . فالمغرب لا يقبل هوادة في حريته واستقلاله ، ولا يرضى بهما بدلا .

ولقد دعاني اخلاصي وايماني الى احياء تلك الذكريات الممتعة بالرغم مما اكتنفها من مصاعب واهوال وآلام وتضحيات جسام بالنفوس والنفائس .. فاي ورد يخلو من شوك ؟ واي شهد لا تصنعه ابر النحل ؟ واي محيط لا تكدره الزوابع والعواصف والاعاصير ؟ ! ومن لم يذق مرارة الدموع ، فانه لا يدرك ابدا حلاوة الابتسام !

نعم ، دعاني الواجب الى ان اكون ترجمان شعبي وامتي في كوامن قلوبها الكبيرة المؤمنة المتفضلة ، نحو عرشنا الساهر على مكاسبنا ومجدنا العريق ، وطموحات وتطلعاتنا وآفاقنا الواسعة . وهذا بدون شك مجال فسيح يجب ان ينطلق فيه زمام اليراع ، ليرتع في رياض المعاني وفراديس الشعور ، وبراعة الخيال ، والاجادة في فنون التصوير والابداع ، والبوح بأزكى الطيوب والعطور ، واعذب الاغاريد والاناشيد .. وما هو الا اداء للامانة ، واستخلاص اجمل عبرة من اروع تاريخ .

ومن هذا الثغر الطنجي كذلك ، عاد الجنود المغاربة الابطال الاشاوس المغاوير ، بعدما حققوا النصر المبين لامتنا العربية المسلمة في سيناء والجولان وجبل الشيخ ، وغسلوا ادران العار والشنار ، وستوا بدمائهم الزكية الطاهرة شجرة الشرف والعزة والحرية .. والجود بالنفس اقصى غاية الجود .. فهم قد لقنوا العدو الصهيوني الغاشم درسا لا ينساه ولن ينساه ابدا ، وحطموا خرافة خط بارليف والجيش الذي لا يقهر ، وكالوا الصاع صاعين لشذاذ الآفاق وثقابات الشعوب الذين اقدموا — باويلهم ! — على احراق المسجد الاقصى ، اولى القبلتين وثالث الحرمين ، واصبح بحسب دنا ولدولتنا المجيدة الف حساب ! انها قصة العبور الاعظم ، وما ادراك ما هي ! ! نعسى الله ان يمن على المسلمين اجمعين بجمع الشمل ورأب الصدع ، حتى يستعيدوا لمدينة القدس الحبيبة اصالتها وعزتها وكرامتها ، ولفلسطين السليبة ، مهبط الرسالات السماوية ، ما تطمح اليه من انعتاق وخلاص ! .. وما ذلك بعزيز على احفاد يوسف ابن تاشفين بطل الزلاقة ، وعلى من حققوا الانتصارات الباهرة في معركتي وادي المخازن والارك ، وعلى ذرية المولى اسماعيل الذي طرد الدخلاء الاسبانيين والبرتغاليين والانجليز من شواطىء المغرب ، وعلى نسل معركة انوال الذين تركوا في المستعمر عبرة وذكرى لاولي الالباب .

وبالامس القريب ، انعقد بطنجة في 23 و 24 ربيع الثاني عام 1396 هـ الموافق 23 و 24 ابريل سنة 1976 ملتقى الشباب الصحراوي ، وقد استعادت بلادنا وحدتها الترابية ، واسترجعنا اقاليمنا الصحراوية بفضل المسيرة الخضراء الحسنية السلمية المظفرة ، واصبحت العيون ترنو الى (عاصمة العيون) من خلال ما تمخض عنه ذلك الملتقى من توصيات وابعاد وردود فعل ايجابية بالغة الاهمية ، سواء في الداخل او الخارج . ومن حسن حظ مدينة طنجة المكافحة أن ينعقد فيها ذلك المؤتمر التاريخي العظيم .

والواقع أن معركة طنجة سلسلة متصلة الحلقات فى الماضى والحاضر والمستقبل لا تزيدها الايام الا جدة وتأثيرا ، وانتشارا وذيوعا ، وفوائد ومزايا حسية ومعنوية لا تدخل تحت العد والحصر والاستقصاء : فمنها انبثقت الاشراقات التى تنتظم البلاد شمالا وجنوبا ، شرقا وغربا ، على جميع الاصعدة والمستويات ، وعلى ضوئها انعقدت مؤتمرات القمة على المدى الاسلامى والعربى والافريقى سياسيا وثقافيا واقتصاديا وسياحيا . ومنها امتد النور المحمدى فى الدوحة العلوية الباسقة ماجدا عن ماجد ، وكابرا عن كابر . . ومنها تعلمنا الثورة البناءة ، والقضية النبيلة ، والفداء المستميت ، والعزيمة الخلاقة التى لا تلين ولا تستكين . . ومنها نقبس ونتعشق فنون الصفاء والوفاء ، والبعث والنماء ، التى تتفتق عنها عبقرية جلالة الملك العظيم والقائد الرائد البطل مولانا الحسن الثانى نصره الله . ولا بدع فى ذلك ، فهو رفيق النضال وامين السر ، ووارث السر لزعيم العروبة والاسلام مولانا محمد الخامس — طيب الله ثراه — وهذه العصا من تلك العصية ، وهذا الشبل من ذلك الاسد . حفظ الله سيدنا الامام ، واطال عمره الكريم فى الصالحات وجلائل الاعمال ، واقر عينه بولى عهده صاحب السمو الملكى الامير المحبوب سيدى محمد . وصنوه المولى الرشيد . وسائر الامراء والاميرات فى البيت العلوى المجيد .

وانها لمسيرة مستمرة ، وهمة ملتهبة ، وجهاد دؤوب لا يمسه نصب ولا لغوب ، وتحقيق للمزيد من النصر والتفتح والعطاء بسخاء وبدون حساب لما فيه اعلاء كلمة الله ، وخير العروبة والاسلام .

ذلك هو بالذات المعنى القريب ، والمغزى البعيد لمعركة طنجة الحاسمة التى اوحت لى بالقصيد التالى :

فى طنجة السماء تلك المعركة .
قد بعثت فى الشعب اقوى حركه

من (ابن يوسف) الهمام قبست
من صرخة الجهاد اسمى بركه !

حرارة استقباله فريدة
من نوعها . . فالشعب يهوى ملكه

من التحدى تلك اسمى آية
قد تركت روح العدى مرتبكه

وربح الرهان منا قائد
علمه زمانه وعركه .

فاى روح طبعت نداءه ؟ !
واى اسلوب به قد سبكه ؟ !

فالشعب لن ينسى له موقفه ،
ومنهج الحق الذى قد سلكه

خطابه ملحمة لدولة
ثائرة ، واعية ، ومدركه

تشكو من البغى المدبر الذى
خططه عدونا وحبكه !

مليكنا الفهمه خالقه
رسالة ذات مزايا موشكه

ام الرعايا هاهنا بجمعة ،
وبلغ السر الذى قد ادركه

والله وحد الصفوف حوله ،
فلم تعد شديدة مفككه

ولم يضع حق غدت تطلبه
امتنا . فهى التى لن تتركه !

حول المليك عاشت طاقاتها
فى وحدة ، بعرشها مستمسكه

وديننا الاسلام ، اما امها
فهى العروبة شعار المملكه

والضاد خير لغة قد بلورت
من روحنا الاصالة المشتركه

فلا الظهير البربرى نالها ،
بل قد رمى بنفسه فى الشبكه !

وامتى بربها مؤمنة ،
ولم تكن كافرة او مشركه

فما تنصرت برغم فئة
فى شرها غارقة منهمكه

ونحن ندرك مكايد العدى ؛
ونشجب النوائب المشتبكه

قد خسىء التبشير في تدجيله ،
ولم يجد حساب تلك العذلكه

نزداد بالتوحيد حول عرشنا
اصالة ؛ وقوة ، وملكه

ان البرابرة احرار لقد
ثاروا هنا على دعاة الكثلكه

وعرف الشعب الذكي دربه
مواصلا نحو الخلاص مسلكه

وحير المستعمرين امره ،
فأى سر يا ترى قد حركه ؟ !

تحمل الاذى ، فما قهره
ليل دهى ربوعه ، ما احلكه !

من كل صوب قد راى عدونا
من الثبات عندنا ما انهكه

يلقى جزاءه بكل بقعة ،
ويفلت الزمام مهما امسكه !

والله يحمى بيتنا واهله ،
ضد الدخيل من طغى وانتهكه

مجازر (البيضاء) تصرخ بما
جناه بالدم الذى قد سفكه

وكل ركن من بلادى دمعة
حرى على العرض الذى قد هتكه

فكم شريد وشهيد في الحمى !
والشعب لا ينسى هنا معتركه

عد باء الاستعمار بالخسران اذ
نصب للشعب لاسى شركه

لكنه وقع فيما دبرت
دهاته ، والله حقا اهلكه !

كم ملأ السجون بالاحرار ، اذ
ظن النفوس عنده ممتلكه

وغضبة الشعب على اعدائه
قادتهمو الى الردى وانهلكه

لا حكم للمستعمرين ، انه
اوردهم حضيضه ودركه

والحكم للعرش وللشعب الذى
بغيره في حكمه لن يشركه

بعضهما يرعى حياة بعضه :
كالسماء يحفظ حياة السمكه

والمغرب الحر استعاد مجده
بهمة عالية ، واستدركه

خيب اطماع الدخيل من غدت
اطواره مؤسفة ومضحكه ! ! — :

لم يقدر الاحرار حق قدرهم ،
ولا الجهاد المر منهم حنكه

حتى اتاه الحق في صولته ،
وغنم الابطال منه التركه

من لم يعد الى الشعوب حقها ،
فالدهر غرر به واستهلكه !

الرباط — محمد بن محمد العلمي

رد الذهبي على ابن القطان الفاسي

(2) تقديم وعرض: الاستاذ فاروق حماده .

صدر القسم الاول من هذا البحث في العدد الاول من السنة 18 بالعنوان اعلاه

29 ـ حديث الدارقطني « اذا نوضأ عرك عارضيه » قال : الصحيح انه فعل ابن عمر ، رواه ابو المغيرة عن الاوزاعي عن عبد الواحد بن (قيس) عن نافع عن ابن عمر .

ورواه عبد الحميد بن ابي العشرين عن الاوزاعي فرفعه .

قال المؤلف : كلاهما ثقة ، قلت : بل انثقة من وثقه فقد قال النسائي : عبد الحميد ليس بالقوي قال : وقال ابن معين : عبد الواحد (شيء) لا شيء قلت : المعروف ان قائل هذا يحيى بن سعيد ، ورواه عنه ابن المديني .

30 ـ حديث الدارقطني ، حدثنا محمد بن احمد بن محمد الادمي ثنا احمد بن منصور ، ثنا سعيد بن عفير ، حدثني يحيى بن ايوب عن يحيى بن سعيد عن عمره عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الركعتين التي يوتر بعدهما بسبح وقل يا ايها الكافرون ، ويقرأ في الوتر : قل هو الله احد والمعوذتين ، وحدثنا الحسين بن اسماعيل ثنا ابو اسماعيل الترمذي ثنا ابن ابي مريم حدثنا يحيى بن ايوب فذكره .

قلت : يحيى فيه مقال

---

29) (1) عبد الواحد من رجال ابن ماجه ، واستدراك الذهبي على المصنف في عزو القول ليحيى بن سعيد ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب 439/6 وتدوثقه قوم وضعفه آخرون ، وابن عدي من عادته ان يحكم على الرجل بعد سبر حديثه يقول ، حدث عنه الاوزاعي بغير حديث وأرجو انه لا بأس به لان في رواية الاوزاعي عنه استقامة .

(2) وعبد الحميد بن ابي العشرين ، من رجال الترمذي وابن ماجه روى عن الاوزاعي وحده ، وثقه الدارقطني وغير واحد ، ونقل غيه الحافظ ابن حجر قول النسائي هذا . انظر 112/6 ، وقال في التقريب صدوق ربما اخطأ 467/1 .

(3) والحديث اخرجه ابن ماجه في سننه (رقم 432) مرفوعا قال : حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا عبد الحميد بن حبيب ثنا الاوزاعي ثنا عبد الواحد بن قيس حدثني نافع عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الحديث.

30) (1) يحيى بن ايوب هو الغافقي المصري اخرج له الجماعة ، وقد انكر حديثه هذا احمد بن حنبل كما ذكره العقيلي في الضعفاء ونقله عنه ابن عدي ، ثم قال : ولا ارى في حديثه اذا روى عن ثقة حديثا منكرا ، وهو عندي صدوق لا بأس به ، انظر تهذيب التهذيب 186/11

(2) والحديث اخرجه الدارقطني ، والطحاوي .

31 ــ حديث (ابى داوود) ثنا الحسن بن الصباح البزار ثنا اسماعيل بن عبد الكريم ثنا ابراهيم بن عقيل عن أبيه عن وهب عن جابر مرفوعا « اذا تولى أحدكم فوجد شيئا فليكفن فى ثوب حرة »

قال : اسماعيل لا يعرف ، قلت : هو من شيوخ أحمد ، وقال (النسائى) لا بأس به .

32 ــ حديث « قال لعائشة وحفصة صوما يوما مكانه »

خطاب بن القاسم عن خصيف عن ابن عباس . خصيف سيء الحفظ ، ووثق خطابا

قلت : روى البرذعى عن ابى زرعة ، هو منكر الحديث ، فقال : اختلط .

33 ــ حديث الحرث عن على « من ملك زادا وراحلة ولم يحج .. »

قال (الترمذى) حسن وفى اسناده مقال ، رواه هلال بن عبد الله مولى ربيعة عن أبى اسحق عنه .

قلت : قال (البخارى) هلال منكر الحديث .

34 ــ حديث « كنا اذا حججنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فكنا نلبى عن النساء ونرمى عن الصبيان »

رواه محمد بن اسماعيل الواسطى ، سمعت ابن نمير عن اشعث بن سوار عن ابى الزبير عن جابر .

قال (الترمذى) : اجمع اهل العلم ان المرأة لا يلبى عنها غيرها .

فهذا خالفه ابو بكر بن ابى شيبة فى مصنفه .

ثنا ابن نمير ، ولفظه « حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم .

قلت : تبين ان الحق مع ابى بكر .

35 ــ حديث « ماء زمزم لما شرب له » .

قال عبد الله بن المؤمل : ليس عن ابى الزبير عن جابر ،

وقال الدارقطنى : ثنا عمر بن الحسن بن على ، حدثنا محمد بن هشام المروزى ــ يعنى ابن ابى الزميل ، ثنا محمد بن حبيب الجارودى ، ثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماء زمزم لما شرب له ، وان شربته تستشفى شفاك الله ، وان شربته لشبعك اشبعك الله ، وان شربته لظمئك قطعه الله ، وهى (...) جبريل ، وسقيا الله اسماعيل » .

قلت : هؤلاء ثقات سوى الاشنانى انا نتهمه بوضع .

---

32) الحديث رقم /3150/ ، وكما قال الذهبى فهو من شيوخ احمد ، والذهبى وغيرهم من الاعيان ، ووثقه ابن معين ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، والنسائى ، وقال ابن حجر فى تهذيب التهذيب ، واما قول ابن القطان الفاسى : ان اسماعيل لا يعرف فمردود عليه ، ونقل عن مسلمة بن قاسم انه قال : جائز الحديث : تهذيب التهذيب 315/1 .

33. (1) خطاب ذكره الذهبى فى الميزان 656/1وتقل كذلك قول البرذعى عن ابى زرعة فيه ، ومثله الحافظ ابن حجر فى تهذيب التهذيب 146/3 ، لكن خطابا قد وثقه ابن معين ، وابو حاتم وابن حبان بل ان ابى حاتم نقل عن ابى زرعة انه ثقة ، انظر الكتابين المشار اليهما . وهو من رجال ابى داوود والنسائى .

(2)الا ان حديثه هذا قد اخرجه النسائى وقال عقبه : هذا حديث منكر ، خصيف ضعيف ، وخطاب لا علم لى به .

33) (1) هلال بن عبد الله من رجال الترمذى ، وقال عنه مجهول ، وقال ابن عدى : هو معروف بهذا الحديث .

(2) هذا الحديث تفرد به الترمذى فاخرجه فى الجامع أبواب الحج ، باب ما جاء فى التغليظ فى ترك الحج .

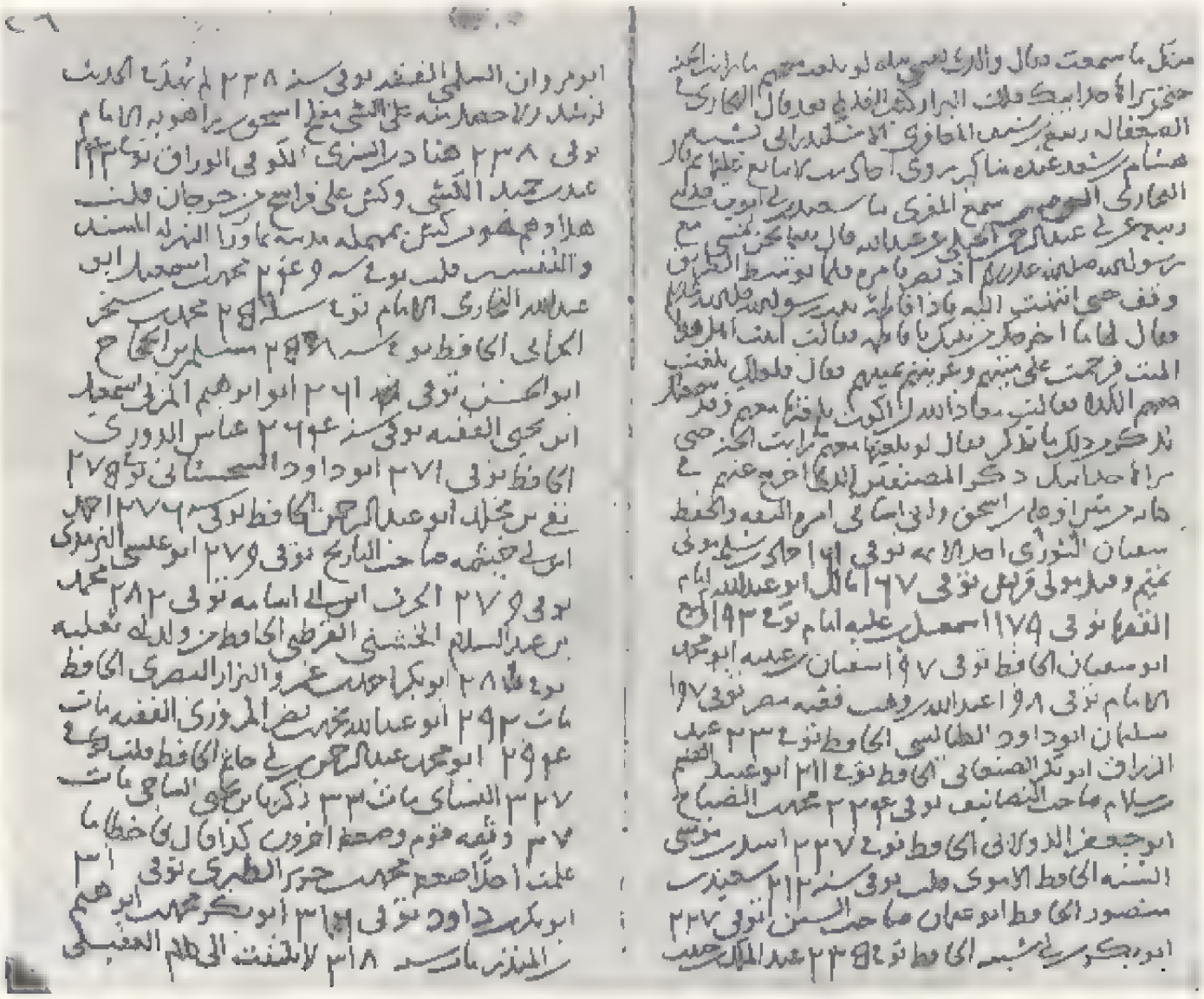

الورقة الاخيرة من المخطوطة يظهر فيها استعمال الارقام

36 ــ حديث « أسلمت وتحتى اختان » يحيى بن أيوب عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى وهب الحسانى ، عن الضحاك بن فيروز الديلمى عن أبيه (حسنه الترمذى)

قال المؤلف : وعندى انه ضعيف لجهالة حـــال ضحاك ، وأبى وهب ، ديلم .

وقد قال (البخارى) فى اسناده نظر .

قلت : لانه فى مناكير يحيى .

37 ــ حديث معمر عن الزهرى عن سالم عن أبيه أن غيلان بن سلمة الثقفى أسلم وله عشر نسوة ، فأسلمن معه ، فأمر أن يختار منهن أربعا .

فمن البخارى ليس بمحفوظ ، والصحيح شعيب وغيره عن الزهرى .

38 ــ حديث عن محمد بن سويد الثقفى أن غيـــلان ابن سلمة أسلم ..

قال المؤلف : ليس ذا عندى بعلة ، وقد رواه ابن وهب عن يونس عن الزهرى .

عن عثمان بن محمد بن أبى سويد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغيلان حين أسلم ... ورواه الليث عن يونس عن الزهرى ، قـــال : بلغنى عن عثمان بن أبى سويد .

وحديث معمر المذكور عن سعيد بن أبى عروبة ، ويزيد بن زريع وهارون بن معاوية عنه ، وروى عن الثورى عن معمر كذلك .

39 ــ (الدارقطنى) ثنا محمد بن نوح الجنديسابورى، ثنا عبد القدوس بن محمد .

وثنا ابن مخلد ، ثنا حفص بن عمر بن يزيد ، قالا: ثنا سيفه بن عبد الله الجرمى ، ثنا مسوار بن (ابن مجشر) عن أيوب ، عن نافع وسالم عـــن ابن عمر أن غيلان الثقفى أسلم وعنده عشـــر نسوة ، فأمره النبى صلى الله عليه وسلم ، ان يمسك منهن أربعا ، فلما كان زمن عمر طلقهن ، فقال له عمر : راجعهن والا ورثتهن منك وأمرت بغيرك .

زاد ابن نوح : فأسلم وأسلمن معه ، فسلـــم أربعة .

قلت : وكذلك سيف ، وهو غريب جدا .

40 ــ حديث : لا تطلق النساء الا من ريبة ، ان الله لا يحب الذواقين

ليس اسناده بقوى ،

فهذا يرويه البزار عن العلاس ، ثنا أبو معاوية، ثنا محمد بن شيبة بن نعامة عن عبد الله بـــن عيسى ، عمن حدثه ، عن أبى موسى الاشعرى: فهذا منقطع .

ورواه قاسم بن أصبغ : حدثنا أبو بكر بن أبـــى العوام ، ثنا أبى ، حدثنا حفص بن عمر البرجمى عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن عمارة بن راشد عن عبادة بن نسى ، عن أبى موسى :

والآخر منقطع ، وعمارة مجهول .

قلت : وعبادة لم يلحق أبا موسى .

41 ــ حديث « ثلاث جدهن جد » .

حسنه (الترمذى)

رواه عبد الرحمن بن حبيب بن أدرك عن عطاء عن يونس بن ماهك عن أبى هريرة ، فابن أدرك لا يعرف حاله .

قلت : قد قال (النسائى) منكر الحديث .

---

39) سيف من رجال النسائى ، قال مسلمة بن قاسم فيه ضعف ، وقال ابن حبان فى ثقاته ربما خالـــف ؛ ووثقه جمع ، وقال الحافظ ابن حجر فى تقريب التهذيب : صدوق ربما خالف .

41) عبد الرحمن من رجال أبى داوود وابن ماجه ، وهو أخو على بن الحسين لامه تقول ابـــن القطان لا يعرف حاله ليس بمقبول ، روى عن جمع منهم سليمان بن بلال وعبد العزيز بن محمد الـــدراوردى واسماعيل بن جعفر ، وذكره ابن حبان فى الثقات وقال الحاكم : من ثقات المدنيين ، بل حسن الترمذى حديثه هذا ، والذهبى قد قال فى ميزانه : صدوق له ما ينكر ، انظر 555/2 ، وانظر تهذيب التهذيب 159/6 . وقال فى التقريب : لين الحديث انظر 476/1 .

42 ــ حديث النهي عن الكلب الا كلب صيد ، وهي الطـــــرق .

وقال الدارقطني : ثنا محمد بن اسماعيل الفارسي ثنا عبيد بن محمد الصنعاني ثنا محمد بن عمر بن أبي أسلم ، ثنا محمد بن الصنعاني ، ثنا نافع بن عمر عن الوليد بن عبد الله بن أبي رباح عـــن عمه عطاء ، بن أبي هريرة مرفوعا « ثلاث كلهن سحت كسب الحجام ومهر البغي ، وثمن الكلب الا الكلب الضاري .

الوليد ضعيف ، قاله الدارقطني ، قال المؤلف : رواته مجاهيل .

قلت : عبد هو الكنسوري معروف ، والصنعاني فلا أعرفه والاسناد مظلم .

43 ــ حديث اذا اختلف البيعان ، وليس بينة أ فهو ما يقول رب السلعة أو يتتاركان .

فيه انقطاع قاله ابن عبد البر ، فهذا رواه أبـــو العميس المســـعودي .

حدثني عبد الرحمن بن محمد الاشعث عن أبيه عن جده عن ابن مسعود ، وانما عبد الرحمن هذا ابن قيس بن محمد بن الاشعث ، روى عنه مجاهـــد والشعبي ، وسليمان بن يسار والزهري عـــن عائشة .

فأما روايته عن ابن مسعود فمنقطعة .

قلت : هو كبير ، ولقيه ممكن ؟

وهذا الحديث فرد رواه (أبو داوود) عـــن الذهلي و (النسائي) عن ابي حاتم جميعا عـــن عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن ابـــي العميـــس .

44 ــ حديث (ابي داوود) ثنا احمد بن صالح ، ثنا يحيى بن محمد المدني حدثني عبد الله بن خالد بن سعيد بن ابي مريم عن أبيه عن سعيد بن عبد الرحمن بن قيس انه سمع شيوخا من بني عمرو ابـــن عـــوف (ومـــن) خالـــه عبـــد اللـــه ابـــن أبـــي أحمـــد ، قـــال : قـــال علـــي : حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يتم بعد احتلام ، ولا صمات يوم الى الليل .

قال ابو محمد : المحفوظ موقوف ، قال المؤلف : خالد وابنه مجهولان ، وأبوه ثقة ، ويحيى امـــا ضعيف او مجهول ، لعله ابن هانيء .

قلت : أرى انه ابو زكير ، ويجوز أن يكـــون الجاري .

قال : وعبد الله بن ابي احمد بن جحش مجهول الحال ، وما هو بوالد بكير بن عبد الله بن الاشج كما توهم ابن حاتم

---

42) لم يزد الذهبي رحمه الله على تأكيده لقول ابي الحسن ، وان افاد تعريفنا بالكنسوري

43) انظر الحديث في سنن أبي داوود رقم /3511/
وقيس من رجال ابي داوود ، وقد وثقه ابن حبان

44) (1) كنت أعتقد ان في هذا الموضع نقصـــا في النسخة لعدم ظهور بعض الكلمات ، وبعد الرجوع الى المصادر تبين لي انه لا نقص فيها والحمد لله
(2) وانظر الحديث في سنن ابي داوود رقم / 2873 / وقد سكت عليه .
(3) وعبد الله بن احمد بن ابي جحش قال في الخلاصة : الاسدي ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، عن أبيه ، وعنه بكير بن الاشج وغيره ؟ وفي التهذيب وعنه عبد الله بن الاشج والد بكير بن عبد الله .
وجهالة مثله لا تضر .

(4) وأما يحيى المديني فان كان ابن هانيء فمختلف فيه ضعفه أبو حاتم ووثقة ابن حبان وان كان الجاري فقد وثقه العجلي وابن عدي ، وان كان ابن زكير فقد روى له مسلـــم متابعة وغيره كالاربعـــة .

45 ــ حديث « الخال وارث من لا وارث له » .

حسنه (ت)، الثوري عن عبد الرحمن بن الحارث عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبي امامة عن عمر .

قال المؤلف : حكيم لا تعرف عدالته

قلت : وقال (ابن) سعد : لا يحتجون به .

46 ــ حديث « أن مولى النبي صلى الله عليه وسلم وقع من نخلة فمات ، فقال (النبي صلى الله عليه وسلم) : انظروا هل من وارث ؟

حسنه (الترمذي)

قال المؤلف : لا ادري لم لم يصححه ، فان رجاله ثقات ولا اختلاف فيه ولا انقطاع ، قال : ثنا بندار ، ثنا يزيد ، انبأنا سفيان عن عبد الرحمن ابن الاصبهاني عن مجاهد بن وردان عن عروة عن عائشة .

فمجاهد ثقة ، وان لم يعرفه ابن معين ، فقد عرفه ابو حاتم ووثقه ، وحدث عنه شعبة ، وابن الاصبهاني ثقة .

قال كاتبه : بالجهد ان يكون حسنا لامور ، احدها انه معنعن ، وثانيها ان مجاهدا هذا شيخ محله الصدق مثل ، ما هو كالزهري وهشام بن عروة في التثبت ، فتفرده بالجيد أن يكون صحيحا غريبا ولو استنكر حديثه هذا لساغ .

وثالثهما ان عبد الرحمن الاصبهاني اثنان أحدهما حديثه في الكتب الستة وهو قديم الموت ، من اقران منصور والاعمش ، وثقة لا نزاع فيه والثاني عبد الرحمن بن سليمان الاصبهاني ، يروى عن عكرمة والشعبي ، وتاخر الى زمن هارون الرشيد ، فما أبعد ان يكون هو صاحب الحديث

روى عنه محمد بن سعيد الاصبهاني ، ومحمد ابن سليمان بن الاصبهاني وجماعة ، قال ابو حاتم : هو صالح الحديث ، وقال ابن معين : ليس بشيء ، وروى الكوسج عن ابن معين توثيقه ، فهو كما ترى مختلف فيه ليس بالثقة مطلقا ، والحديث في السنن الاربعة .

47 ــ حديث « من اسلم على يد رجل فهو اولى الناس . . »

قال (البخاري) : اختلفوا في صحته ، فهذا ليحيى بن حمزة عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز سمعت عبد الله بن موهب يحدث أبي عن تميمة بن ذؤيب عن تميم .

وعلته الجهل لحال ابن موهب قاضي فلسطين .

قلت : ذا قد روى عنه الزهري والكبار ، ولكن علة الحديث انه مرة ارسله عن تميم فاسقط تميمة ، ومرة قال : عن تميمة ان تميما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

45) (1) حكيم : اخرج له الاربعة وعنه جمع ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الحافظ في تهذيب التهذيب 448/2 : وقال العجلي ثقة ، وصح له الترمذي وابن خزيمة وغيرهما ، وقال ابن القطان لا يعرف حاله اهـ

(2) انظر الحديث في سنن الترمذي كتاب الفرائض 183/3 من تحفة الاحوذي ، وقد اخرجه احمد وابن ماجه .

46) انظر الحديث في سنن الترمذي كتاب الفرائض 183/3 من التحفة ؟

47) (1) الحديث اخرجه اصحاب السنن الاربعة من حديث تميم الداري ، كما اخرجه احمد وابن ابي شيبة ، والدارمي وابو يعلى ، والدارقطني وعبد الرزاق وغيرهم .

وذكره البخاري في صحيحه تعليقا بصيغة التضعيف ، وذكر قوله هذا المشار اليه . وقال البيهقي في المعرفة : قال الشافعي : هذا حديث ليس عندنا بثابت .

ونقل الخطابي عن أحمد تضعيف هذا الحديث ، وقد قيل فيه الكثير ملخصها العلة التي ذكرها ابن القطان ، والعلة التي اضافها الذهبي والعلتان المذكورتان مردودتان : اما الاولى فابى ثبته ، والعلة الثانية :

48 — حديث « على كل بيت فى العام اضحيتـــه وعتيـــرة » .

ابن عون عن عامر ابى رملة عن مخنف بن سليم . اسناده ضعيف ، فصدق لجهالة عامر .

قلت : رواه الاربعة من طرق عن عون وحسنـــه (الترمـــذى) .

49 — حديث نهى عن لبس الذهب الا مقطعا ، ثم قال : جاء المنع من تحلى النساء به عن ثوبان وحذيفة واسماء بنت يزيد وابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، والصحيح الاباحة . ولا ينبغى ان يضعف خبر ثوبان ، ابلغ ما فيه يحيى بن ابـــى كثير عن زيد بن سلام وفيه انقطاع ، فقوله عن حذيفة خطأ صوابه عن اخت حذيفة وحديـــث اسماء رواه ابان العطار ، ثنا يحيى ان محمود ابن عمرو الانصارى حدثه انها حدثته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ايما امراة جعلت فى اذنيها خرصا فكذلك .

ورواه الدستوائى عن يحيى ، محمود مجهول .

قلت : اسماء عمته وقد وثق ، ولكن المتن منكر.

50 — حديث : اهل الجنة عشرون ومائة صف .

حسنه (الترمذى) لضرار بن مرة عن محارب ابن دثار عن ابن بريدة عن ابيه علقه ، برواية علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة مرسلا ، ويروى عن سليمان عن ابيه ، قال المؤلف : لا ينبغى تعليله بذلك .

قلت : ماذا بتعليل بل حكاية الواقع ، وانما لـــم يصححه الترمذى لغرابة خبر ضرار .

فالحديث عند ابن ماجه رقم / 2752 / مـــن طريق ابى بكر بن ابى شيبة ، ثنا وكيع عن عبد العزيز ابن عمر عن عبد الله بن موهب قال : سمعت تميما الدارى .. الحديث .
فنيه التصريح بالسماع ورواته ثقات ابن ابى شيبة ووكيع وعبد العزيز ، وهو كذلك عند احمد فى سننه من طريق ابى نعيم — وهو ثقة — .
فان كان الامر كما ذكر ابو نعيم ووكيع فمـــن الممكن ان يكون سمعه من تميم بواسطة وبغير واسطة والواسطة شيخة وهو ثقة ادرك تميما بدون شك . فالعلة مدفوعة .
انظر نصب الراية 155/4 ، والجوهر النقى على هامش سنن البيهقى الكبرى 297/10 .

48) (1) قال الحافظ ابن حجر فى الفتح : اخرجـــه احمد والاربعة بسند قوى .
(2) وقد تابع عامرا حبيب بن مخنف اخرجه عبد الرزاق فى المصنف ، ومن طريقه اخرجه الطبر ـــى باسناده ومتنه . ومن طريق عامر سكت عليه ابو داوود واكتفى بقوله : هذا خبر منسوخ . انظـر الحديث / 2788 / ، وذكر المصنف عامرا فى ميزانه 363/2 وقال فيه جهالة وساق حديثه وقال : ضعفه عبد الحق وصدقه ابن القطان بمسألـة عامر .
(3) ومما هو جدير بالذكر هنا ان الزيلعى فى نصب الرايـــة نقل تضعيف ابن القطان هذا ونقل عنه : تجهيل حبيب بن مخنف ، وابيه ، انظر 211/4 ، وهو تجهيل مردود ، وانظر تهذيـــب التهذيـــب ج 78/10 .

49) محمود بن عمرو بن يزيد بن الـــكن الانصارى وهو من رجال ابى داوود والنسائى ، وقد وثقه ابـــن حبـــان .

50) انظر الحديث فى سنن الترمذى 330/3 مـــن التحفة ، وقد اشار الى رواية علقمة هذه وسنن ابـــن ماجه رقم 4289 ، وهو عنده من رواية علقمة عن سليمان بن بريدة عن ابيه مرفوعا ، كما اخرجه احمد ، والدارمى ، وابن حبان وغيرهم .
وقد انتقد ابن القطان عبد الحق لتعليله الحديث بروايته عن علقمة .. مرسلا ، وقد ورد كذلك كما قال الذهبى فحكاه عبد الحق .

51 ـــ حديث البزار « اول ما خلق الله القلم ، فقال له : اجر فجرى بما هو كائن » حسنه البزار ، فهذا لزيد بن الحباب عن معاوية بن صالـــح حدثني أيوب بن ابي زيد عن عبادة بن الوليد بن عبادة عن ابيه عن جده ، فالوليد لا يعرف حالـــه

قلت : حديثه في الصحيحين . قال : وأيوب كذلك وقد روى عنه زيد بن أبي أنيسة ويزيد بن سنان .

قلت : حمصي مقل . وقال (الترمذي) : حدثنا يحيى بن موسى ، ثنا أبو داوود : حدثنا عبـــد الواحد بن سليم سمع عطاء بن أبي رباح سمع الوليد بن عبادة قال : دعاني ابي فقال : اتق الله ، ولن تتقي حتى تؤمن بالقدر كما سمعـــت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اول ما خلق الله القلم ، فقال : اكتب ، قال : ما أكتب ؟ قال : اكتب القدر ، ما كان وما يكون الى الابد ، قال : غريب ، عبد الواحد واه .

52 ـــ حديث ابي رزين « يا رسول الله ، أين كـــان ربنا ؟ قال : كان في عماء . »

حسنه (الترمذي) لحماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حدس عنه . فوكيع لا يعرف ، وتفرد عنه يحيى وكان شعبة ، وهشيم وابـــو عوانه يقولون : ابن عدس ، قد صحح الترمذي حديث « الرؤيا على رجل طائر » قلت : لكونـــه لشعبة عن يعلى

53 ـــ حديث عبد الله بن عمرو : اخبرنا عن قباب الجنة ، انتسخ !

وهذا ضعيف رواه محمد بن عبد الله بن علاثة : ثنا العلاء بن عبد الله ان الحنان بن خارجة حدثه عنـــــه .

تابعه محمد بن مسلم بن أبي الوضاح عن العلاء وطوله .

قلت : ماذا بضعيف وحنان مع جهالته ما ضعف.

54 ـــ حديث (ابي داوود عن) المقدام : وادخـــل اصابعه في صماخ اذنيه ، فيه حريز بن عثمـــان وعنه الوليد بن مسلم مدلس عن عبد الرحمن بن ميسرة .

قلت : شيوخ حريز ثقات .

(51 الحديث في سنن ابي داوود رقـــم /4700/ والترمذي في الجامع انظر كتاب القدر 203/3 .
واسناد أبي داوود غير اسناد البزار الذي ساقه هنا الا انه من حديث عبادة بن الصامت ، وقد سكت عليه هو والمنذري ، وهو في مسند احمد 317/5 من طريق الوليد .
والوليد كما قال الذهبي ، وقد وثقه ابن سعد مات في خلافة عبد الملك .
وعبد الواحد من رجال الترمذي فقط وهو البصري المالكي ، وليس له عنده سوى هذا الحديث ، قال احمد : احاديثه موضوعة .

(52 حديث ابي رزين اخرجه الترمذي في جامعه كتاب التفسير 126/4 من تحفة الاحوذي ، وابن ماجه رقم /182/ واحمد في مسنده .
يعترض ابن القطان عن الترمذي لعدم تصحيحه الاول ويرد عليه الذهبي بأن الثاني من رواية شعبة والاول من رواية حماد بن سلمة ، وشعبة اثبت فالبخاري لم يخرج في الصحيح لحماد بن سلمة وقـــد تغير حفظه بآخره ، ولا يروي شعبة الا عن ثقة
ووكيع بن عدس لم يرو عنه غير يعلى بن عطاء ، وقد وثقه ابن حبان ، واخرج له الاربعة

(52 حنان هو ابن خارجة السلمي الشامي من رجال أبي داوود والنسائي ، وذكره ابن حبان في الثقات ؛ انظر التهذيب 56/3 ، والميـــزان ، 2 / 618 واشار الى تضعيف ابن القطان .
وحديثه هذا اخرجه النسائي ، واحمد والطبرانـــــي .

(53 الحديث في سنن ابي داوود رقم /122/ .
وعبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي ابو سلمة الحمصي ، وفي الخلاصة : قال ابو داوود : شيـــوخ حريز ثقات ، وقد وثقه العجلي ، فلم يصب ابن القطان رحمه الله في تجهيله .

55 ــ حديث عبادة : « ان ادركتها اصلى معهم » قال : ان شئت » يرويه هلال بن يساف ، عن ابى المثنى الحمصى عن ابى ابى بن امراة عباده عن عبـــاده .

فابو ابى صحابى (1) ، (وابو) المثنى ان كان ضمضمـــا الا ملوتى فمعروف (2) .

واما ابو محمد بن الجارود فانه جعل لهما ترجمتين ثم قال : وقد هما واحد ولم يبن لى ذلك ، الى ان قال المؤلف :

واذا كان واحدا فانه لا يعرف ، وكذا ان كـــان اثنين ، ولا اثر لكونهما واحدا الا ان يكون روى عنه رجلان هلال المذكور ، وصفوان بن عمـــرو وعدالته فما علمـــت .

فان قيل : فابن عبد البر قال اثر هذا الحديث : ابو المثنى ثقة ، قلنا : لم يات فى توثيقه بقـــول معاصر او قول من اخذ عن معاصر ، فلا يقبل توثيقه ، الا ان يكون فى رجل معروف قد انتشر له من الحكم ما يعرف به حاله ، وهذا ليس لذلك. قلت : وثقه ابن عبد البر لكونه ما غمز اصلا ، ولا هو مجهول لرواية ثقتين عنه .

56 ــ حديث : رخص فى دم الحيوان .

لبقية عن ابى جريج ، فقال : قال الدارقطنـــى : هذا باطل ، لعل بقية دلسه عن واه . فهذا مفسد لعدالة بقيـــة .

قلت : هو مذهب وراى له والوليد بن مسلم ، وما رايناك تغمز لوليد .

57 ــ حديث : ما رايت احدا اشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من عمر بن عبد العزيـــز ، فيه وهب بن مانوس مجهول ، فنظن ابا محمد تنع برواية جماعة عنه ، وذا شيء لا مقنع فيه ، فان عدالته لا تثبت بذلك .

قلت : خالفك فى هذا خلق

58 ــ حديث : من قال يقرب ، فليقل المدينة عشـرا . فيه عثمان بن حفص عن اسماعيل بن محمد بن سعد عن ابيه عن جده .

قلت : قال (البخارى) فى اسناده نظر .

---

55) (1) ابو ابى صحابى انصارى صلى القبلتين اسمه عبد الله بن ابى او ابن كعب او ابن حرام له فى السنة حديث واحد عند ابن ماجه .

2)ضمضم الاملوكى من رجال ابى داوود وابن ماجه ووثقه ابن حبان .

56) بقية بن الوليد ، والوليد بن مسلم علمان امامان معروفان بالتدليس ، فاذا قالا : حدثنا واخبرنا فـــلا تفتيش وراءهما .

57) (1) وهب بن مانوس بالنون ، ويقال بالباء المدنى ، ذكره ابن حبان فى الثقات جريا على قاعدته ، وجهله ابن القطان جريا على قاعدته كذلك ، انظر التهذيب 166/11 ولم اعثر عليه فى الميزان . وقال فى التقريب : مستور .

(2) برى ابن عبد البر ان كل من حمل عن العلم ولم يوهن فهو عدل ، ووافقه على ذلك ابن المـــواق تلميذ ابن القطان ، وقال ابن الجزرى : هو الصواب ، ومثلهم المزى وابن سيد الناس .
اما من روى عنه جماعة ولم ينص علـــى توثيقه فان كانوا من الجلة الاعلام فهو مرضى باتفاق وهو ما جنح اليه ابن القطان فى كتابه بيان الوهم والايهام عند كلامه على حديث تطع السدر .
وطريقة البزار فى مسنده ، وابن حبان فى ثقاته ان روى عنه عدد وعرف بالحديث ولم يجرح فهو ثقة .
وهذا ما نراه والعمل على هذا فى الكتب الحديثية . الا ان ابا الحسن رحمه الله باقعة متمكن قلما تمر عليه واحدة دون تنقيـــر .

58) ذكره المصنف فى الميزان 32/3 وذكر هذا الكلام ثـــم .

59 ــ حديث ابى داوود عن المستورد (ابن شداد) : « من كان لنا عاملا فليتخذ زوجـــة . . »

الاوزاعى عن الحارث بن يزيد عن جبير بن نفير عنه ، فالظاهر ان الحارث هو الحضرمى ، ثقة. قال ابن ابى شيبة : ثنا زيد بن الحباب ، ثنا ابن لهيعة ، ثنا الحارث بن يزيد الحضرمى عن عبد الرحمن بن جبير عنه .

قلت : الظاهر ان الوهم من (ابى داوود) فـان جعفر الفريابى رواه عن شيخ (ابـــى داوود) موسى بن مروان عن المعافى عن الاوزاعى ، فقال : عن الحارث عن عبد الرحمن بن جبيـــر كرواية ابن لهيعـــة .

60 حديث (ابى داوود) : الرجل احق بصدر دابته فيه : على بن الحسين بن واقد .

قلت : لكن تابع عليا آخر

61 ــ حديث عائشة فى رضاع سالم بن سهلة خمس رضعات .

فيه عنبسة بن خالد عن يونس .

قلت : عنبسة احتـــج بـــه البخـــارى .

62 ــ حديث « الربا وان كثر فانه يصير الى قل »

رواه البزار من طريق شريك عن الركين بن الربيع عن ابيه عن جده عن عبد الله مرفوعا فيه شريك.
قلت : وفيه جد الركين وهو عملية القـــزارى لا لا يعرف .

63 ــ حديث ابن مسعود : بيع المحفلات خلابة .

سكت عنه وهو من طريق المسعودى عن جابر الجعفى - وعن ابى الضحى عن مسروق عنه كذا ، وعن بواو وهذا خطأ والله سمح من عبد الحق ، والصواب بلا واو

وكذا فى كتاب ابن ابى شيبة ، والبزار .

ولم يدرك المسعودى ابا الضحى .

قلت : ولا جابر مسروقا .

64 ــ حديث « دعوا الناس يرزق الله بعضهم .. » من رواية زهير عن ابى الزبير عن جابر ، بمعنى

قلت : زدت فى السكاده .

---

59) (1) الحديث فى سنن ابى داوود رقم /2945/
(2) الحرث بن يزيد : وثقه احمد وابو حاتـم ، وتوفى ببرقة سـنة ثلاثين ومائه .
(3) وعبد الرحمن هو ابن جبير بن نفير .

60) (1) الحديث عند ابى داوود رقم /2572/ والترمذى ج 4 / 13 من تحفة الاحوذى وقال : حســـن غريب كلاهما من طريق على بن حسين .
(2) على بن حسين فيه مقال .
(3) هو فى مسند احمد من حديث ابى سعيد الخدري باسناد آخر 32/3 ، وفى سنن الدارمى رقم / 2669 من حديث عبد الله حنظلة بن الغسيل فى قصة وباسناد آخر ايضا .

61) (1) الحديث فى سنن ابى داوود رقم /2061/ كما هو فى موطأ مالك ، ومسند احمد .
(2) عنبسة عن ابن خالد الايلى اخرج له البخارى وقرنه باخر ، وابو داوود وثقه كما وثقه احمد بـــن صالح الذى روى عنه هذا الحديث .
(3) وذكره الذهبى فى الميزان 298/3 ، ونقل عن ابى حاتم انه كان على خراج مصر ، وكان يعلـــق النساء فى ثديهن ، ونقل عن ابن القطان قوله : كفى بهذا فى تجريحه .

62) اكد الذهبى تضعيف ابن القطان لهذا الحديث ، وانادنا جهالة عملية الفزارى .

63) الحديث فى ابن ماجه رقم /2241/ ، وهو فى البيهقى من طريق ابى داوود الطيالسى ومسند احمد 433/1 ، وروى موقوفا على ابن مسعود .
وجابر الجعفى متهم عندهم . وقد وافقه الذهبى وزاده ان جابر الجعفى لم يدرك مسروقا. فقد توفى كما قال ابن سعد سنة ثلاث وستين ، واما جابر الجعفى فتوفى سنة ثمان وعشرين ومائة .

64) رواية ابى الزبير المكى فى الصحيح محمولة على السماع .

65 ــ حديث ، قال البزار : حدثنا العباس بن عبد العظيم ، ثنا عمرو بن محمد بن أبي رزين ، ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن مسروق عن بلال قال : كان عندي تمر فبعته .. منه بنصف كيله ، او ببعض كيله ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال : رده وخذ تمرك ، الثمر مثلا بمثل ، قال : ففعلت .

قال البزار : رواه ايضا عثمان بن عمر عن اسرائيل .

وحدثنا محمد بن معمر ، ثنا رافع ، ثنا كثير بن يسار عن ثابت عن انس قال : اتى النبي صلى الله عليه وسلم بتمر ، فقال : انى لكم هذا ؟ ! قالوا : كان عندنا تمر دقل ! فبعناه صاعين بصاع فقال : ردوه .

قلت : رواتهما ثقات

66 ــ حديث (الترمذي) : ثنا علي بن خشرم ، ثنا علي بن يونس عن عمران بن زائدة بن نشيط عن ابيه عن أبي خالد الوالبي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الله يقول : ابن آدم ، تفرغ لعبادتي املا صدرك غنا . أبو هرم لا بأس به ، وزائدة لا يعرف حاله .
قلت : وثق .

67 ــ حديث قتادة عن خليد العصري عن ابي الدرداء مرفوعا : ما طلعت الشمس الا بعث بجنبتيها ملكان يناديان : يا أيها الناس هموا الى ربكم الحديث اخرجه ابن ابي شيبة .

قلت : اسناده صالح .

68 ــ حديث آدم : ثنا الليث عن معاوية بن صالح عن ابي عبد الرحمن ــ هو القاسم ــ عن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم : تدنو الشمس يوم القيامة قدر ميل ، تغلى منها البيوام كما تغلى القدور على الاثافي .

اسناده : حسن لا صحيح .

قلت : تركت احاديث حجة تعنت فيها ابن القطان منها احاديث من مسلم واحاديث حسنه ، واحاديث ادخلتها فى ميزان الاعتدال .

69 ــ حديث من الدارقطني ، من حديث ابي بكر عبد الحميد بن جعفر الخنفي عن نوح بن ابي بلال عن المقبري عن أبي هريرة مرفوعا : اذا قرأتم الحمد لله ، فاقرءوا : بسم الله الرحمن الرحيم انها احدى آياتها
ثم قال : رفعه عبد الحميد بن جعفر وقد وثقه جماعة ، وأبو حاتم يقول : محله الصدق .
وكان الثوري يضعفه ونوح ثقة مشهور ، قال ابن القطان ، فهو بهذا القول قد صححه . واخطأ خطأ فاحشا فى قوله من حديث ابي بكر عبد الحميد بن جعفر ، وهذا تعبير لا يليق به . ولعله سقط من الكلام ، وانما هو ابو بكر الخنفي عن عبد الحميد بن جعفر وانما اسم ابي بكر عبد الكبير ، وهو اخو أبي علي عبد الله . ثنا عبد المجيد وهو ثقة
قال الدارقطني وابن السكن : ثنا ابن صاعد ، ثنا عقبة بن مكرم . ثنا ابو بكر فذكره عن عبد الحميد ابن جعفر بها تم ، قال أبو بكر : فثبت نوحا فحدثني به مرتين يعني ان نوحا يذكر رفعه .
قلت : فوهم فى رفعه عبد الحميد ، وليس بذاك الثبت . وقد نسب الى القدر ، وخرج بالمدينة مع ابي حنيفة .
حرب . فذكره . قال : وهو المحفوظ
حرب . فذكره . قال الذهلي : وهو المحفوظ وحديث الصغار
قلت : كما قال الذهلي مؤنتك

---

66) زائدة بن نشيط ذكره ابن حبان فى الثقات جريا على قاعدته لانه لم يجرح ولم يوثق وجهله المصنف على قاعدته ، قال عنه الحافظ فى التقريب ، مقبول
وانظر التهذيب 3 /306 . وقول الذهبي وثق : لا يرد على المصنف لانه يلتزم قاعدة محددة .

68) ومثله عند مسلم فى صحيحه من حديث المقداد بن الاسود . انظر صفة النار 8 / 158 ، والترمذي كذلك فى جامعة كتاب الزهد .

70) الحديث فى سنن ابي داوود رقم 145 .

71 ــ حديث ابن عمر : اغسلوا قتلاكم ، مسافة من عند ابن عدى فى ترجمة حنظلة بن ابى سفيان ، فاسناده ثقات ، قلت : لكنه منكر جدا تكلـــم فى حنظلة لاجله .

72 ــ حديث ام سلمة فى زكاة الحلى فيه ثابت بـن عجلان ولا يحتج به ، فذا مما قاله غيره ، بل قال العقيلى : لا يتابع على حديثه تحامل منه ، فانه انما يمس بهذا من لا يعرف بالثقة ، وثابت ثقه . قلت : قال احمد : انا متوقف فيه .

73 ــ حديث : من كان عليه صوم رمضان فلسرد ولا يقطع

رواه عبد الرحمن بن ابراهيم القاص عن العلاء عن ابيه عن ابى هريرة مرفوعا، وقد وثق وضعف قلت : قال ابو حاتم : انكر عليه حديث ، وليس بالقوى ، وقال احمد : ليس به باس فاذا هذا الحديث لا باس به ، قلت : بل هذا منكر ، والعلاء (فقير) سيء .

74 ــ حديث معاذ (غزونا خيبر فاصبنا فنما نقسم بعضها) .

يرويه ابو عبد العزيز شيخ اردنى ، فكانه لم يعرف هذا فرمى بالحديث من اجله .

قال (ابو داوود) : حدثنا محمد بن مصفى ، ثنا محمد بن المبارك ، ثنا يحيى بن حمزة ، ثنا ابو عبد العزيز عن عبادة بن نسى عن ابن غنم عنه ورجاله ، وهذا هو يحيى بن عبد العزيز والـد المتكلم ابى عبد الرحمن الشافعى الاعمى ، روى عنه ايضا الوليد بن مسلم ، وقال ابو حاتم : ما حديثه باس

قلت : هذا لا يعرف باسناد سوى هذا ، وابـن مصفى يعد تفرده منكرا .

75 ــ حديث رجل من الانصار : ان النهبة ليست باحل من الميتة .

رواه عاصم بن كليب عن ابيه عنه : وهذا رجاله ثقات لكن هذا الرجل لا ينبغى منه ادعاء مزية الصحبة لنفسه ، كما لا يقبل ممن يوثق نفسه . قلت : عاصم قال ابن المدينى : لا احتج بما انفرد بـــه .

76 ــ حديث جبر : فى امراة اسقطها (ابيها) جنينه . ثم قال : والصحيح هو : ان ابها رجل اعمر فبقى له ولعقبه .

قلت : الاول صحيح

(ابو داوود) ثنا عثمان بن ابى شيبة ، ثنا معاوية ابن هشام ، ثنا سفيان عن حبيب عن حميـــد الاعرج عن طارق المكى عنه .

وهم ثقات ، وطارق كان قاضى مكة وثقه ابـو زرعـــة .

قلت : هو فرد غريب يستنكر ، وعثمان ومعاوية فيهما شيء .

77 ــ حديث ابن عباس فى دية الاصابع لكل اصبـع عشر (قال الترمذى) : حسن غريب فلا اعرفه لها لم يصححه ، ساقه لحسين بن واقد عـن يزيد النحوى عن عكرمة عنه فهؤلاء ثقات علـى اصله ، وقد احتج بعكرمة كثيرا .

قلت : بالجهد ان يكون هذا المتن بهذا الاسنـاد جيدا فـدع النكـد .

71: انظر اقوال المتقدمين فى حنظلة فى الجرح والتعديل 241/2/1 فقد وثقوه وقد غمزه يحيى بن سعيـد القطان .

72: انظر رد ابن القطان كاملا على من وهن امر ثابت بن عجلان فى نصب الراية 371/2

74: الحديث رقم /2707/ فى سنن ابى داوود ، وقد سكت عليه المنذرى والخطابى وابن القيم فى المختصر والمعالم والتهذيب ، انظر 36/4 .

76: الحديث فى سنن ابى داوود رقم / 3557 / ، وقد سكت عليه ومثله المنذرى والخطابى وابن القيـم انظر 196/5 .

77: انظر سنن الترمذى التحفة 305/2 ، واخرج الحديث كذلك ابو داوود وابن حبان فى صحيحه .

78 ــ حديث ابن عباس : اشتركنا فى البقرة سبعة، وفى البعير عشرة .

حسنه (الترمذى) فهو عندى صحيح ، حسين ابن واقد عن علباء بن احمر عن عكرمة عنه

قلت : استنكر احمد للحسين احاديث .

79 ــ حديث ابن عمر : كان النبى صلى الله عليه وسلم يلبس النعال السبتيه ، ويصفر لحيته بالورس والزعفران . وقال : صح نهيه عن التزعفر ، فأوهم ضعف هذا ؛

فقال (ابو داوود) : ثنا عبد الرحيم بن مطرف ، ثنا عمرو بن محمد العنقزى ، ثنا ابن ابى رواد عن نافع عنه ، فعمرو ثقة .

قلت : ابن ابى رواد ، قال ابن حبان : روى عن نافع نسخة موضوعة ، وقال على بن الجنيد ضعيف .

قلت : وتفرده يعد منكرا ، ولم يخرجا له فى الصحيح

80 ــ حديث ابن عمر : تقبل توبة العبد ما لم يغرغر حسنه (الترمذى) .

فهذا يحمل أن يقال : صحيح ، عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عنه .

قلت : بل هو منكر ، قد ضعفه ابن معين فى رواته عثمان بن سعيد ، وقال مرة : ليس به باس ، وقال احمد احاديثه مناكير ، وقال (النسائى) ليس بالقوى .

وقال ابن عدى : كتبت حديثه على ضعفه .
قلت ومحكول مدلس فاين الصحة منه .

81 حديث انس : كل ابن آدم خطاء .

قال (الترمذى) غريب ، فهذا عندى صحيح ، زيد بن الحباب ، ثنا على بن مسعدة ، ثنا قتادة عنه .

قلت : بل ضعيف ، قال (البخارى) : على بن مسعدة فيه نظر .

82 ــ حديث ابن عمر : اذا امسك الرجل الرجل ، وقتله آخر يقتل القاتل ويحبس الممسك

قال الدارقطنى : رواه الثورى عن اسماعيل بن امية عن نافع عنه .

---

78) وقال الترمذى : حسن غريب لا نعرفه الا من حديث الفضل بن موسى اهـ (وهو الرواى له عن الحسين) كما اخرجه الخمسة الا ابا داوود . انظر تحفة الاحوذى 356/2 كما اخرجه الحاكم وقال : على شرط البخارى وغيرهم من طريق الحسين.

79) الحديث فى سنن ابى داوود رقم /4210/ وهو كذلك عند النسائى واحمد .
وعبد العزيز بن ابى رواد : لم يخرجا له فى الصحيح فعلا ولكن البخارى قد استشهد به ، ووثقه يحيى بن معين ، وقال : كان يعلن الارجاء ، اما روايته عن نافع فقد طعن بها ابن حبان كما ترى وقال : روى عن نافع اشياء لا يشك من الحديث صناعته اذا سمعها انها موضوعة ، كان يحدث بها توهما لا تعمدا ، ومن تحدث على الحسبان وروى على التوهم حتى كثر ذلك منه سقط الاحتجاج به . ويتحصل لنا ان روايته عن نافع نتوقف بها ، وعن غيره نمرها .

80) الحديث عند الترمذى فى كتاب الدعوات من جامعه /باب ما جاء فى فضل التوبة والاستغفار / واحمد فى مسنده ، وابن ماجه رقم /4253/ من طريق الوليد بن مسلم وهو مدلس وقد عنعنه ، ومكحول كذلك عنعنه ، اما ما قال المصنف : فى رواته عثمان بن سعيد فلم اره فى رواية الترمذى وغيره

81) والحديث عند ابن ماجه كذلك رقم /4251/ من طريق على بن مسعدة ، واحمد ، والدارمى ، كما اخرجه الحاكم ، وقال : صحيح ، وتعقبه الذهبى فلينه (كذا فى تحفة الاحوذى 317/3)
وعلى بن مسعدة اخرج له البخارى فى التاريخ ، والترمذى وابن ماجه ، وقد وثقه قوم ، وقال النسائى ليس بالقوى ، انظر خلاصة تذهيب الكمال 135

ورواه معمر وابن جريج عن اسماعيل مرسلا ، وهو اكثر فهذا صحيح عندى لجواز أن (يكون) اسماعيل رواه على الوجهين ، فانه يجوز للمحدث أن يرسل ما عنده بالاتصال ، وانما يعد هذا اضطرابا اذا كان الراوى سيء الحفظ .

وهو من رواته الحفرى عن الثورى ، وقد رواه وكيع عن الثورى فلم يصله .

قلت : تعين والله ارساله ، ووهى اتصاله .

قال ابن القطان : ولم يتقدم فى هذا الباب ولا فى ما قبله من نظر عبد الحق تضعيفا لاحاديث باشياء لا ينبغى أن تعد عللا ككون الحديث يكون تارة مسندا وتارة مرسلا ، ويجيء تارة مرفوعا وتارة موقوفا ، ولعلك لم يتحصل لك من مثل ما ذكرناه هو مذهب عبد الحق فى ذلك ، فلنعرض عليك ما تيسر ليتبين لك اضطرابه فى رأيه فمن ذلك :

83 ــ حديث : اذا سجد (احدكم) فلا يبرك كالبعير ، قال : رواه همام مرسلا وهو ثقة .

84 ــ وحديث : الارض (كلها) مسجد الا المقبرة والحمام ، قال : المرسل اصبح ، وسرد جملة ثم قال المؤلف : فمن اخبار ما اخترنا .

البزار ذهب الى انه اذا ارسل الحديث جماعة ، وحدث به ثقة مسندا فالقول قوله .

قال ابن القطان . ولذلك عده من المختلطين وان سهيلا وهشام بن عروة لمنهم لانهما تغيرا ، فسكت عنهما اذا كان من الصحيحين أو من صحيح الترمذى .

قلت : فاتتك نكتة ، فانك صحفى ما جالست اصحاب الحديث . اماتل بعد هشام بن عروة من المختلطين ؟! اعظم الله اجرنا فيك .

85 ــ وما وافق (الترمذى) فى تصحيحه : لغسل النبى صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون فيه عاصم بن عبيد الله .

86 ــ وتصحيحه لعن زوارات القبور ، فقال : فيه عمر بن ابى سلمة وهو ضعيف عندهم قلت : اسرف .

87 ــ وقال فى الجهاد خالد بن الفزر ليس بالقوى ، وانما حذا فيه حذو ابن معين ، قال فيه : ليس بذاك ، قلت : فاصاب واخطأت .

88 ــ حديث خباب : شكونا . . : قوله : فلم يشكنا اى فلم يقدرنا ، وقيل : فلم يحوجنا الى الشكوى فى المستقبل .

ويدل على الاول : ابن المنذر ، ثنا عبد الله بن احمد ، ثنا خلاد بن ... ثنا يونس بن ابى اسحق ،

---

(83) لفظ حديث همام عند ابى داوود فى حديث وائل بن حجر : رايت النبى صلى الله عليه وسلم اذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه ، واذا نهض رفع يديه قبل ركبتيه ، وعنده من حديث ابى هريرة : اذا سجد احدكم . . وليضع يديه قبل ركبتيه واخرجه . اى الاول ــ الترمذى والنسائى وابن ماجه ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرف احدا رواه غير شريك ، وذكر ان همام رواه عن عاصم مرسلا ، لم يذكر فيه وائل بن حجر .
قال ابن القيم : وقد صححه ابن خزيمة ، وابو حاتم ابن حبان والحاكم ، ، انظر تهذيب السنن للخطابى والمنذرى وابن القيم 398/1 .
ورواية شريك بن عبد الله القاضى لهذا الحديث متصلا ، تابعه عليها همام على روايته مرسلا ذكر ذلك البخارى وغيره من الحفاظ المتقدمين ، وشريك فيه مقال .

(84) اخرجه ابو داوود والترمذى وابن ماجه ، وروى مسندا ومرسلا ، وقال الترمذى : فيه اضطراب ، وذكر ان سفيان الثورى ارسله وقال : وكان رواية الثورى عن عمرو بن يحيى عن ابيه عن النبى صلى الله عليه وسلم اثبت واصح .

(86) قلت : قال الترمذى : حديث حسن صحيح ، واخرجه ابن حبان فى صحيحه .

(87) وقال عنه ابو حاتم الرازى : شيخ ، انظر الجرح والتعديل 346/2/1

ثنا سعيد بن وهب أخبرني حباب : شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء فما اشكانا ، وقال : اذا زالت الشمس فصلوا . فعال يونس حفظ زيادة ما حفظها أبوه .

قلت : هي زيادة منكرة لتفرد قوله : أبردوا

89 ــ حديث ابي هريرة : الامام ضامن ... وزاد البزار : ثنا الزيادي ، ثنا غياث بن زياد ، ثنا ابو حمزة السكري عن الاعمش عن أبي صالح عن ابي هريرة الى ان قال : واغفر للمؤذنين، قالوا : يا رسول الله لقد تركنا نتنافس في الاذان بعدك، قال : انه يكون من بعدي قوم مقلتهم مؤذنوهم ولا عبرة بقول الدارقطني : هذه زيادة غير محفوظة .

قلت : بلى والله هي زيادة منكرة .

90 ــ حديث عبد الله بن عمرو في التشديد في زيارة النساء القبور ، قال : في اسناده ربيعة بن سيف ضعيف عنده مناكير ، قال المؤلف : فهذا عندي حسن لا ضعيف .

روى عن ربيعة حيوة بن شريح ، وهشام بن سعد ، والمفضل بن فضالة ، وسعيد بن أبي أيوب ، وقال (النسائي) : ليس به بأس . وتضعيف ابي محمد له لا اعرفه لغيره ، الا أبا حاتم البستي ، فقال : لا يتابع وفي حديثه مناكير ، وهذا امر لا يعرى منه احد من الثقات ، بخلاف من يكون منكر الحديث جله أو كله .

قلت : قد ضعفه (البخاري) فقال : عنده مناكير، وكذا قال ابو سعيد بن يونس وقال الدارقطني : صالح الحديث .

قلت : ما أشبه أن يكون حديثه موضوعا وسنسمعه قال (أبو داوود) :

ثنا يزيد بن خالد ، ثنا المفضل عن ربيعة بن سيف المعافري عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله غيرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما فلما فرغنا وانصرفنا حاذى بابه موقف ، فاذا نحن بامراة متنلة ، قال : أظنه عرفها ، فلما دنت اذا هي فاطمة ، فقال : ما أخرجك من بيتك ؟ قالت : يارسول الله اهل هذا الميت فرحمت اليهم وعزيتهم به ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلعلك بلغت معهم الكدا فذكره شديدة في ذلك .

فسالت ربيعة عن الكدا قال : القبور فيما احسبه هذا اخرجه (ابو داوود) .

وقال (النسائي) : ثنا قتيبة عن المفضل بهذا وقال : لو بلغت معهم الكدا ما رأيت الجنة حتى يراها جد ابيك .

البزار : ثنا سلمة بن شبيب ، ثنا المقبري ، ثنا حيوة بن شريح أخبرني ربيعة بن سيف عن الحبلي عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى فاطمة ابنته مقبلة فقال : من اين اقبلت ؟ ! فقالت : من وراء جنازة هذا الرجل ، فقال هل بلغت معهم الكدا ، قالت : لا ، وكيف ابلغها وقد سمعت منك ما سمعت فقال : والذي نفسي بيده لو بلغت معهم ما رأيت الجنة حتى يراها جد ابيك

قلت ، (البزار) : كثر الغلط ، فقد قال البخاري في الضعفاء له :

ربيعة بن سيف المعافري الاسكندراني يشبه هشام بن سعد عنده مناكير ، روى احاديث لا

---

90) الحديث اخرجه كذلك ابن حبان في صحيحه ، والنسائي في اليوم والليلة بطرق متعددة ، ومداره على ربيعة بن سيف المعافري ، قال ابن قيم الجوزية: وقد طعن غيره ــ اي ابن حبان ــ في هذا الحديث وقالوا : هو غير صحيح لان ربيعة بن سيف هذا ضعيف الحديث عنده مناكير ، انظر تهذيب سنن ابي داوود 347/4 ، وقد افادنا الذهبي بيان المضعفين لربيعة هذا ووافق عبد الحق الاشبيلي في تضعيفه للحديث .
وقد نقل ابن القيم عن ابي حاتم ابن حبان قوله : يريد الجنة العالية التي يدخلها من لم يرتكب نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لان فاطمة علمت النهي فيه قبل ذلك ، والجنة هي جنان كثيرة ..

يتابع عليها ، ثم قال البخاري : سمع المقرى ، ثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني ربيعة عن أبي عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله قال : بينما نحن نمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ ابصر بامراة ، فلما توسط الطريق ، وقف حتى اتنيت اليه فاذا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لها : ما اخرجك من بيتك يا فاطمة ، فقالت : اتيت اهل هذا الميت فرحمت على ميتهم وعزيتهم بميتهم ، فقال : فلعلك بلغت الكدا ؟! فقالت : معاذ الله ان اكون بلغتها معهم وقد سمعتك تذكر من ذلك ما تذكر ، فقال : لو بلغت معهم ما رايت الجنة حتى يراها جد ابيك .

ذكر المصنفين الذين اخرج عنهم فى كتابه من متن او علة (1) :

1 ــ ابن اسحق ، تبينا فى امره الثقة والحفظ (151)

2 ــ سفيان الثورى احد الائمة توفى 161 .

3 ــ حماد بن سلمة مولى تميم ، وقيل : مولى قريش توفى 167 .

4 ــ مالك ابو عبد الله امام الفقهاء توفى ، 179

5 ــ اسماعيل بن علية امام توفى 193 .

6 ــ وكيع ابو سفيان الحافظ توفى 197 .

7 ــ سفيان بن عيينة ابو محمد الامام توفى 198 .

8 ــ عبد الله بن وهب فقيه مصر توفى 197 .

9 ــ سليمان ابو داوود الطيالسى الحافظ توفى 204 .

10 ــ عبد الرزاق ابو بكر الصنعانى الحافظ توفى 211 .

11 ــ ابو عبيد القاسم بن سلام صاحب التصانيف توفى 224 .

12 ــ محمد بن الصباح ابو جعفر الدولابى الحافظ توفى 227 .

13 ــ اسد بن موسى السنة الحافظ الاموى ، قلت : توفى سنة 212 .

14 ــ سعيد بن منصور الحافظ ابو عثمان صاحب السنن توفى سنة 227 .

15 ــ ابو بكر بن ابى شيبة الحافظ توفى 235 ؟

16 ــ ابو مروان السلمى الفقيه ، توفى سنة 238 ، لم يجد فى الحديث لرشد ولا حصل منه على شيء مفلح .

17 ــ اسحق بن راهويه الامام توفى 238 .

18 ــ هناد بن السرى الكوفى الوراق توفى 243 .

19 ــ عبد بن حميد الكشى وكش على فرسخ من جرجان ، قلت : هذا وهم ، هو من كس بمهملة مدينة بما وراء النهر ، له المسند والتفسير ، قلت: توفى سنة 249 .

20 ــ محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخارى الامام توفى 256 .

21 ــ محمد بن سنجر الحرانى الحافظ توفى سنة 258 .

22 ــ مسلم بن الحجاج ــ ابو الحسين ــ توفى سنة 261 .

23 ــ ابو ابراهيم المزنى اسماعيل بن يحيى الفقيه توفى سنة 264 .

24 ــ عباس الدورى الحافظ توفى 271 .

25 ــ ابو داوود السجستانى توفى 275 .

26 ــ بقى بن مخلد ابو عبد الرحمن الحافظ توفى سنة 276 .

27 ــ احمد بن ابى خيثمة صاحب التاريخ توفى 279

28 ــ ابو عيسى الترمذى توفى 279 .

---

1) بين لنا المصادر التى جمع عبد الحق الاشبيلى منها كتابه الاحكام وترجم ابن القطان لهم وعرف بهم فى كتابه ، واختصر ذلك الذهبى فى كتابه .

29 ــ الحارث بن ابى اسامة توفى 282 .

30 ــ محمد بن عبد السلام الخشنى القرطبى الحافظ من ولد أبى ثعلبة توفى 286 .

31 ــ ابو بكر احمد بن عمرو البزار البصرى الحافظ مات 292 .

32 ــ ابو عبد الله محمد بن نصر المروزى الفقيه مات 294 .

33 ــ ابو محمد عبد الرحمن بن ابى حاتم الحافظ ، قلت توفى 327 .

34 ــ النسائى مات 303 .

35 ــ زكريا بن يحيى الساجى مات 307 وثقه قوم وضعفه آخرون ، كذا قال ، فاخطأ ما علمت احدا ضعفه .

36 ــ محمد بن جرير الطبرى توفى 310 .

37 ــ ابو بكر بن (ابى) داوود توفى 316 .

38 ــ ابو بكر محمد بن ابراهيم بن المنذر مات سنة 318 ، لا لا نلتفت الى كلام العقيلى فيه ، فانه متعنت .

39 ــ ابو جعفر الطحاوى مات 321 .

40 ــ ابو جعفر العقيلى مكى ثقة توفى 322 .

بقى علينا ان نذكر جميع ما مر ذكره فى الابواب ذكرا مختصرا مرتبا على نسق المصنف ليسهل كشفه فسرد ذلك فى خمس وثلاثين ورقة ، والحمد لله وحده.

فرغ من كتابته العبد الفقير الى الله تعالى ، محمد بن عبد الله بن المصلى بن منجا الحنبلى اللهم اعف عنه ولمن دعا له بالعفو آمين .

41 ــ محمد بن عبد الملك بن أيمن القرطبى متقدم فى الفقه والحديث مات 330 .

42 ــ قاسم بن اصبغ الحافظ مولى بنى امية توفى 340 .

43 ــ ابو سعيد بن الاعرابى شيخ الحرم ثقة جليل القدر كثير التاليف توفى 340 .

44 ــ ابو احمد عبد الله بن عدى الجرجانى الحافظ توفى 365 .

45 ــ ابو الحسن الدارقطنى توفى 385 .

46 ــ ابو على سعيد بن عثمان بن السكن الحافظ توفى 353 .

47 ــ ابو محمد عبد الله بن ابراهيم الاصيلى مات سنة 392 .

48 ــ ابو سعد الماليتى مات 412 .

49 ــ ابو سليمان حمد الخطابى مات 380 .

50 ــ ابو عبد الله الحاكم مات 405 .

51 ــ ابو الحسن بن صخر توفى 445 .

52 ــ ابو عمر بن عبد البر توفى 463 .

53 ــ ابو محمد بن حزم مات 456

قال الشيخ ابو عبد الله الذهبى : فرغنا من ترتيب ما وجدناه فى الكتاب بالترتيب الصناعى (1) .

---

53) وفى الاصل مات سنة / 502 / .

1) اى راعى فيه تسعه واختصاره لابن القطان لانه لم يبن كتابه ببيان الوهم والايهام على الابواب الفقهية بل بناه على منهجه النقدى الذى ضم الاشباه الى الاشباه ، فى العلة والمؤخذات .

لمحات تاريخية عن

مدينة شفشاون بشمال المغرب (1)

للأستاذ عبد القادر العافية

لا شك أن اسم هذه المدينة معروف عند الكثير من سكان المغرب الا ان تاريخ المدينة غير مكتوب لحد الآن ، لا بكيفية مفصلة ولا بكيفية تقريبية على الاقل ، كما هو الحال بالنسبة الى بعض المدن والاقاليم المغربية الاخرى (2) .

ولعل اهم المعلومات عن مدينة شفشاون فى المصادر العربية ما كتبه محمد العربى الفاسى فى مرآة المحاسن ومحمد الطيب القادرى فى نشر المثانى والناصرى فى الاستقصا ... وهناك بعض التقاييد غير منشورة لعل اهمها ما كتبه محمد الصادق الريسونى — وسماه بعض حفدته — موجز عن تاريخ شفشاون — مخطوط ومنسوخ على الآلة الكاتبة فى ست صفحات .

وهناك اشارات واردة فى بعض الكتب ، لعل اهمها ما يوجد بحوحة الناشر لابن عسكر (3) .

الا ان هذه الاشارات كلها تدور فى فلك واحد تقريبا .

أما المصادر المكتوبة باللغة الاجنبية فبعضها يتحدث عن شفشاون حديثا مسهبا نسبيا ، ولعل اهمها ما كتبه الحسن بن محمد الوزانى فى كتابه وصف افريقيا و (مرمول دى كاربخال) فى مذكراته ، وصاحب اخبار اصيلا (4) وغيرهم ممن نقل عنهم او ممن عثر على وثائق تتعلق بالمدينة وخاصة منها الوثائق التى نشر بعضها (دى كاسترى) .

ومن الجدير بهذه المدينة التاريخية والتى مر على تاسيسها اكثر من خمسة قرون أن يكتب لها تاريخ مستقل يتحدث عن مراحلها التاريخية بشىء من التفصيل والايضاح خاصة وان المدينة اصبحت اليوم مقرا لعمالة احد الاقاليم المغربية .

ولا شك ان اعطاءها هذه الصفة جعل اسمها يتردد كثيرا فى الاذاعة والتلفزيون والنشرات الادارية وغير ذلك . ولذا احببت فى هذه اللمحات ان انقل للقارىء نصا هاما يتعلق بتاريخ مدينة شفشاون ورد فى دائرة المعارف الاسلامية فى حرف الشين مادة « شفشاون » .

ونظرا لاهمية هذا النص المطول والذى ينقل عن عدة مصادر فانى سأتحدث عن شفشاون من خلاله معلقا على بعض فقراته وسأضع عبارات دائرة المعارف الاسلامية بين مزدوجتين .

يقول النص : « **شفشاون » وعند العامة شاون وفى الاسبانية XAUEN وأصل الاسم هو صيغة الجمع البربرية (اشفشاون)**

جاء فى تقييد التاشى العلامة محمد الصادق الريسونى : « شفشاون كلمة بربرية معناها محل صالح للجهاد وقيل أيضا فى اشتقاقها انها ماخوذة من الشفشاون وهو الاختلاط ومحل نزول المجاهدين » .

« بلد صغير فى الشمال الغربى لمراكش على مسيرة 35 ميلا جنوبى تطوان — 60 كلم — يقوم عند سفح جبل سيدى بوحاجة وهو طنف من كتلة بوهاشم الجبلية على رافد من روافد (وادى لو) وتدخل شفشاون الآن فى منازل قبيلة الاخماس وان كانت الحال جرت ان تتبع بنى زجل وهى قبيلة من فرع غمارة »

لقد كانت غمارة القديمة تشمل اقليما واسعا تحدها بادس من ناحيه الشرق وطنجه وبلاد الجبل من ناحية الغرب وكانت تمتد من الشمال الى الجنوب من البحر المتوسط ما بين بادس وطنجة الى نواحى تازة وفاس وجنوب وزان حسبما يستفاد من البكري وابن خلدون وغيرهما .

تقول الموسوعة :

« بلغ عدد سكان مدينة شفشاون سنة 1918 م : 7000 نسمة تقريبا يعيشون فى الف بيت قائمة فى الاحياء الستة التالية : العنصر ، ريف الاندلس ، والخرازين ، والسوق ، والسويقة ، وريف الصبانين وتسكن شفشاون جالية يهودية من اصل اسبانى ، وقد نقل حى اليهود (ملاح) من بعد الى قلب شفشاون وكان فى الاصل يقوم على طرف وادى الرمانى ، وكان هذا الحي يشتمل على 22 بيتا يسكنها 200 ساكن وعلى بيعتين احداهما غاية فى الفخامة ويكاد يكون لجميع البيوت اسقف مائلة من القرميد لان الشتاء هناك يهطل بمقادير عظيمة من الثلج ويحيط بالبلدة اسوار لها احد عشر بابا ويقوم فيها اثنى عشر مسجدا وتسع زوايا ، منها ثلاث للدرقاوية وثلاث للعيساوية وثمانية اضرحة مشهورة اهمها ضريح سيدى على بن راشد مؤسس البلدة وتقوم فى القلعة (القصبة) مبانى الحكومة والمدرسة ومعظم سكان شفشاون من الشرفاء ولاجلى الاندلس وهم يتميزون بالثقافة والظرف المأثورى عن الحضريين ولكن اخلاقهم تتسم بالتعصب والعناد واراضى البلدة خصبة جيدة الري تنبت فيها الحنطة والشعير والفاكهة والزيتون والاعناب بوفرة . ويوجد فى البلدة 21 طاحونة ماء وثلاث عشرة معصرة ، وتزودها غابات الجبال المحيطة بها بالخشب اللازم للنجارة وصنع الاثاث ، وهذا المكان يشتهر بالمصنوعات الخشبية المطلية ، ويكثر فيها لحاء الصباغة — الدباغة — الذى يسد حاجات خمس مدابغ وثمة انوال عديدة تنسج الاقمشة الصوفية لصنع الجلاليب ويعمل اليهود فى الاتجار خاصة بالاقمشة المستوردة ولهم معاملات متصلة باخوانهم فى الدين فى تطوان الذى يجمع بينهم الاصل الاسبانى المشترك وهم يعملون ايضا كجواهرية وصروجية وهى حرفة محتقرة تركها المسلمون لهم »

فالمدينة اذن كانت تعرف ازدهارا زراعيا وصناعيا ولعل ذلك منذ نشأتها ، ويبدو ان هذا التدهور الذى عرفته المدينة مايضا اصبح يتلاشى ولذلك فالمدينة اليوم هى فى امس الحاجة الى العناية بزراعتها وصناعتها حتى تعود الى القيام بنفس الدور الذى كانت تقوم به من قبل .

اما فيما يتعلق بالجالية اليهودية التى تحدثت عنها الموسوعة فانه لا يوجد حاليا منها شيء بالمدينة واليهود منذ نزلوا بالمدينة وضواحيها وهم يقومون ببعض الاعمال التجارية والصناعية ونجد صدى ذلك فى بعض المؤلفات التى تعود الى القرن العاشر الهجرى والى القرن الحادى عشر مثل : (مقنع المحتاج) لاحمد بن عرضون ، و (نوازل ابى الحسن على العلمى) (5) .

« وتقع شفشاون فى مفترق الطرق القادمة من تطوان والقصر الكبير ووزان وفاس وسط ارض جبلية ومن ثم فهى مركز يتزود منه اهالى الاقاليم المجاورة بحاجاتهم فيفدون عليها للحصول على المنتجات المستوردة من تطوان (البضائع القطنية السكر انشاى الشموع ...) »

يبدو أن هذا الوضع الاقتصادى الذى كان لمدينه شفشاون تغير نهائيا فى السنوات الاخيرة وقد يعود اليها فى المستقبل ونتمنى ان يكون ذلك قريبا .

« قد تاسست شفشاون فى حوالى 876 هـ . 1471 م شيدها حفيد من حفدة الولى الكبير عبد السلام بن مشيش وهو الشريف العلوى الحسن بن محمد الاشهور بابى جمعة ذلك ان الحسن اراد ان يجعل منها معقلا لمناضلة البرتغاليين وكان للبرتغاليون قد استفلوها منذ سلاطين بنى وطاس (6) واستولوا على سبتة 1415 والقصر الصغير 1458 وطنجة 1471 واصيلا 1471 واخذوا منها يشنون حملات على هذه البلاد واوغلوا على ما يزيد على 50 ميلا فى الداخل والقوا الرعب فى قلوب اهل الجبال واخضعها لسلطانهم قبيلة انجرة وقبائل شتى من الهبط بما فى ذلك بنى عروس (7) » .

لا شك ان هذه معلومات هامة فيما يتعلق بهذه الفترة من تاريخ المغرب لأن المعروف هو ان التوسع البرتغالي كان في مناطق (آسفي والجديدة وازمور) . وتقول الموسوعة :

« والظاهر أن هذه القبائل التي اضطهدها الشرفاء واساءوا اليها كانت مستعدة لقبول حكم المسيحيين ومن ثم وجد الشرفاء في اعلان الجهاد ذريعة حسنة لمحاولة استرجاع هيبتهم وسلطانهم اللذين كانا يجريان عليهم المنافع » .

هذه المعلومات يشير اليها كذلك وصف افريقا للحسن بن محمد الوزان ، ويبدو أن الحسن بن محمد الوزان الزياتي كان ينظر الى قيام الامارة الراشدية بشفشاون بنفس المنظار الذي كان ينظر به اليها الحكم المركزي بفاس في ذلك الوقت . وكانت تثار اسئلة حول موضوع الجهاد هل لا بد فيه من امر الامير ام لا ؟ وهناك اجوبة مطولة في هذا الموضوع ، انظر (الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من نوازل غمارة) لعبد العزيز الزياتي (باب الجهاد) .

وتزيد الموسوعة قائلة :

« وقد شيد الحسن شفشاون على ضفة النهر الذي يحمل هذا الاسم نفسه واختار لها موقعا ممتازا في متناول تطوان وسبتة في الشمال الغربي والقصر والهبط في الجنوب الغربي ، وتوفي الحسن قبل ان يتم التشييد ، ذلك انه كان قد شخص اثناء الجهاد الى اهل الحروب غير بعيد (8) من اصيلا ، غير أن البرتغاليين رشوا هؤلاء فاشعلوا النار في المسجد الذي كان يؤدى فيه صلاة العشاء فهلك في هذا الحريق واتم ما بداه ابن عمه الشريف علي بن موسى بن راشد الذي خلفه قائدا للجهاد » .

وبعد هذا تنقل الموسوعة معلومات لم تشر اليها المصادر المغربية المعهودة كالدوحة والمرآة وغيرهما فتقول :

« عاش علي بن راشد بين بني حسان وهم قبيلة تنزل الى الشمال من شفشاون فلما ثار بنو حسان على طغيان الشرفاء ذهب الحسن الى الاندلس حيث قاتل ماجورا للمسيحيين حينا واملك غرناطة حينا آخر فتمرس بامور الحرب وعاد الحسن الى المغرب وحشد كتيبة من الفرسان تتبع مثله الشرفاء وبدأ يحارب البرتغاليين وبعث اليه ابو سعيد سلطان فاس الوطاسي شرذمة من الفرسان ورماة السهام فتمكن بفضل مساعدتهم من الثبات للبرتغاليين وكذلك استخدم جيشه هذا في اخضاع اهل الجبال واسترداد سيطرة الشرفاء لكن انتصاراته هذه أورثته الغرور فركب راسه حتى ابى ان يؤدى الجزية للسلطان ولم يكن من السلطان الا ان سار لقتاله في جيش كبير ورأى علي بن راشد ان المقاومة ضرب من المستحيل فاذعن وعفى السلطان عنه اكراما لاصله الشريف وثبته في ولاية شفشاون التي اصبحت من مشارف بني وطاس » .

وهكذا تنقل الموسوعة عن الحسن الوزان الزياتي معلومات غريبة عن شخصية علي بن راشد الا أن هذه المعلومات يبدو عليها شيء من الاضطراب ثمرة تسمى هذا الذي ذهب الى الاندلس ماجورا (الحسن) وثمرة تسميه (عليا) ! وسنلاحظ فيما بعد اننا نطلق على ابي الحسن (الحسن) وبذلك نفي تخلط بين الاسم والكنية .

وتقول الموسوعة ان ابا سعيد الوطاسي بعث له بشرذمة من الفرسان فمن هو ابو سعيد هذا ؟

هل هو محمد الشيخ الوطاسي ؟ وهذا معروف بمحمد الشيخ بن ابي زكرياء الوطاسي اما ابو سعيد فهو السلطان المريني الذي حكم ما بين (1397—1420 م) وفي ايامه احتلت مدينة سبتة سنة 1415 م وهو ولد عبد الحق آخر ملوك بني مرين . وبذلك تكون الموسوعة هنا لا تنسجم مع الاحداث التاريخية .

اما قضية اخضاع السلطان الوطاسي لعلي بن راشد فلعل ذلك لم يكن مرة واحدة بل كان اكثر من مرة وكان يحظى بالعفو في كل مرة لتدخل العلماء والوجهاء والاعيان بين الامير والسلطان ، ولعل السبب في هذه (الحركات) التي كان يقوم بها الوطاسيون ضد الامارة الراشدية هو ان هذه الامارة كانت تجد نفسها مضطرة لنقض معاهدات السلم التي كان يبرمها الوطاسيون مع البرتغاليين مثل المعاهدة التي ابرمت بعد احتلال اصيلا (1471) بين محمد الشيخ والملك البرتغالي الفونسو الخامس والتي حددت الهدنة فيها بعشر سنوات وجددت هذه المعاهدة عدة مرات .

والحركة على شفشاون من قبل محمد الشيخ او من قبل احمد الوطاسي تحدث عنها كل من القاضي الكرلسي في منظومته عروسة المسائل (9) وابن القاضي في لفظ الفرائد وغيرهما .

ثم تقول الموسوعة :

« شيد علي بن راشد على الضفة الاخرى لوادي شفشاون قلعة ملاها بافراد اسرته وبني عشيرته واقبل عليها ايضا من الاراضي المحيطة بها اناس للعيش فيها وينسب لعلي بن راشد اقامة الاسور الممتد من باب السور الى باب الموقف . والى ايامه يرجع حي السويقة وريف الصبانين ولما استولى الاسبان على غرناطة 1492 واقصى المسلمين بصفة عامة من الاندلس وقشتالة 1501 — 1502 نزح كثير من عرب الاندلس الى القلعة واستقروا فيها وما ان ادركت المنية عليا سنة 917 هـ / 1511 — 1512 م حتى اكتملت البلدة »

هذه المرحلة من تطور بناء المدينة يعطي عنها السيد محمد الصادق الريسوني معلومات لا بأس بها ، فهو ينسب تأسيس المسجد الاعظم والحمام البلدي الى محمد بن علي بن راشد ، كما يتحدث عن الاحياء التي انشئت في عهد محمد هذا وعن الهجرة الاندلسية في عهده ، وتقول الموسوعة « ويصفها الحسن بن محمد الزياتي الذي كان يجتاز في سفره ارض المغرب في ذلك الوقت فيقول :

انها مدينة صغيرة حافلة بالتجار والصناع وزادت هيبة علي بن راشد من بعد ، بفضل هجماته البارعة على سبتة وطنجة واصيلا تلك الهجمات التي كان يقاتل فيها جنبا الى جنب مع المنظري وكان علي قد عاونه على تثبيت اقدامه على اطلال تطاوين ومعه نافلة من لاجئي عرب الاندلس » .

نسبة لجوء المنظري الى المغرب هو وجماعة من اهل غرناطة تحدث عنها غير واحد من المؤرخين المغاربة الا انهم يختلفون هل بدأ المنظري بالاتصال مع محمد الشيخ الوطاسي أم مع علي بن راشد ومهما يكن فان السلطان الوطاسي والامير علي بن راشد رحبا بالمنظري وجاليته ، وفي هذه المسألة بالذات تقل الشيخ احمد الرهوني في كتابه عمدة الراوين عن المؤرخ السكيرج ، أن السلطان محمد الشيخ بعث لعلي بن راشد ان يختار رجلا من الاندلسيين المقيمين بشفشاون ليأخذ بيد الجالية الغرناطية ، فاختار الامير علي من الاندلسيين بشفشاون محمد المنظري، يقول السكيرج : وعليه يكون المنظري اندلسي الاصل شفشاوني الدار .

وناقش الرهوني السكيرج في ذلك الا ان مساعدة علي بن راشد للمنظري على الاقامة والبناء بتطوان لا يناقش فيها الرهوني وانما يناقش السكيرج في اسم المنظري الذي يذكر انه محمد بينما الامر يتعلق بعلي .

وتزيد الموسوعة قائلة : « وخلف علي الذي توفي سنة 1511 ، ابنه ابراهيم المتوفى سنة 1530 ثم ولده محمد الذي كتب عليه أن يكون آخر امير من بني راشد ، وفي سنة 948 هـ تزوج السلطان الوطاسي ابو العباس احمد الست عائشة الحرة اخت هذا الامير واحتفل بالزواج في تطوان » .

هذه المعلومات اشارت اليها المصادر المتداولة باستثناء وفاة ابراهيم بن راشد ، ويذكر القاضي الكراسي في منظومته ان ابراهيم بن علي بن راشد تولى الوزارة لاحمد الوطاسي وازدان به هذا المنصب وكان بطلا مقداما في كثير من المعارك التي خاضها الوطاسيون ضد السعديين .

اما زواج السلطان احمد الوطاسي بالاميرة الشفشاونية حاكمة تطوان الست الحرة بنت علي بن راشد فقد تحدث عنه صاحب المرآة وكذا ابن القاضي في لفظ الفرائد في احداث 948 والاستاذ داود في تاريخ تطوان بالمجلد الاول ، ولقد اتحف الاستاذ عبد الوهاب بن منصور الباحثين بنشر نص عقد الصداق بين السلطان والاميرة بالوثيقة 115 من المجلد الاول من الوثائق الملكية ، واثبت الاستاذ عبد الوهاب بن منصور ان اسم الاميرة هو : « الحرة » لا عائشة كما ذكر البعض ، وكما جاء في الموسوعة نفسها .

وبعد هذا تشير الموسوعة الى استيلاء ابي حسون الوطاسي على فاس فتقول « **وقعت مشاحنة بين محمد بن راشد وابي حسون الوطاسي الذي كان اقطاعه باديس في الريف يجاور ارضه واستولى ابو حسون على فاس 961 — 1554 بمعاونة اتراك صالح رايس الا ان ابا حسون تشاحن مع هذا الرئيس التركي فدبر على المناداة بابي بكار سلطانا فلما جلا الاتراك عن فاس امر**

ابو حسون باعتقال امير شفشاون ثم اطلق سراحه بعد وفاة ابي حسون وعاد الى امارته » .

هذه معلومات هامة نقلتها لنا الموسوعة عن محمد بن علي بن راشد وقد اشار ابن عسكر في الدوحة في ترجمة الاخوين عبد الرحمان وعلي ابن ريسون الى حادثة اعتقال محمد بن راشد من طرف ابي حسون الوطاسي وتحدث عن ذلك الشيخ الحسن بن محمد بن علي بن ريسون في كتابه فتح التأييد ، ووجدت في بعض تقاييد العلميين الشفشاونيين الحديث عن هذا الاعتقال في قصة طريفة يطول ذكرها جاءت في معرض الرد على ابن عسكر الذي نفى شرف الراشد لعداوته لهم ، الا أن الموسوعة تشير الى مجاورة الامارة الراشدية لاقطاع ابي حسون الوطاسي ببناديس وربما كان هذا هو منشأ العداوة بين الامير ابن راشد وبين ابي حسون الوطاسي . ثم تقول الموسوعة :

« وهنالك حل السعديون محل بني وطاس في حكم شمال المغرب وخشي السلطان السعدي عبد الله الغالب بالله ما عرف به امراء شفشاون من نزعات الى القتال قد يحول بينه وبين ما كان يريد من عقد مع الاسبانيين على الاتراك فسير جنده عام 969 هـ 1561 م على البلدة تحت امرة الوزير محمد بن عبد القادر جفيد السلطان محمد الشيخ واحس محمد بن راشد انه قد ضيقت عليه الخناق ففر ليلا هو واسرته مجتازا شعاب الجبال وبلغ ثغر ترغة دن قبيلة غمارة ومن هناك ابحر الى المشرق ولجا الى المدينة المنورة — حيث توفي ونفى بعض سلالته الى دراكس » .

هذه المعلومات توجد في كل من المرآة والدوحة وغيرها الا أن صاحب الدوحة ينقلها بكثير من التشفي للعداوة المستحكمة التي كانت بينه وبين امراء بني راشد بشفشاون وبينه وبين العلميين بهذه المدينة ، وقصة هذه العداوة تعرضت لها بعض الوثائق وهي قصة تحتاج الى موضوع خاص.

تقول الموسوعة : « ثم خلع اقطاع شفشاون على حفيد مؤمن بن العلج وكان جد مؤمن العلج تاجرا من اهل جنوة تزوج الابنة الجميلة لزعيم ناحية ، تيجدت ، المستقلة وكان هذا الزعيم مستقلا بها او يكاد فلما مات حموه انتخب اهل هذه الناحية هذا التاجر الجنوي زعيما لهم واكتسب رضا الشرفاء السعديين بالسماح لهم باجتياز ارض الناحية ليبلغوا حاجا وكان ابنه الاكبر مؤمن قد التحق بخدمة السعديين كما كان من اشد انصارهم ولاء لهم » .

ومما لا شك فيه أن اقليم شفشاون عرف بعد سقوط الامارة الراشدية مرحلة جديدة في تاريخه وتغيرا في اوضاعه راسا على عقب وتأثرت المدينة والاقليم بهذا التغيير وخاصة بعد معركة وادي المخازن وهذا ما تشير اليه الموسوعة فتقول :

« وفي سنة 986 هـ — 1578 م نزلت بالبرتغاليين ضربة قاصمة في موقعة وادي المخازن ولم يجدوا بدا من ان يتخلوا عن آمالهم في احتلال داخل البلاد وانحصر النضال مع النصارى فيما حول الثغور المحتلة وفي البحر ولذلك فقدت شفشاون اهميتها الحربية وانتقلت هذه الاهمية الى منافستها تطوان التي كان على المنظرى قد اسكنها الاندلسيين الذين لم يلبثوا ان جعلوها وكرا للقرصنة — اي الجهاد في البحر — على ان مكانة شفشاون التي كان معظم الفضل فيها يرجع الى حسن بلائها في الجهاد بدأت ايضا في الاضمحلال وخاصة بعد ان ولي الامر في وزان اسرة شريفة هي اسرة مولاي عبد الله الشريف المتوفى سنة 1089 هـ — 1678 م واخذ نفوذه يزداد زيادة مطردة والظاهر ان شفشاون عادت الى حكم الشرفاء بعد زوال حكم حفيد مؤمن العلج » .

لعل الموسوعة هنا تقصد بالشرفاء شرفاء العلميين الذين تولى بعض افرادهم مناصب هامة في المدينة ابتداء من العهد السعدي الثاني حيث تولى منصب القضاء والخطابة احمد بن علي الشريف سنة 1012 هـ وذلك بعد موت القاضي محمد بن الحسن بن عرضون ، وورث هذا المنصب بنوه واحفاده من بعده وكان للعلميين ، شرفاء الفوس ، وجاهة ونفوذ بالمدينة .

وتقول الموسوعة : « وفي سنة 1028 هـ ، 1618 هـ — 1619 م ، عمد الشريف الحسن بن علي بن ريسون المدفون بشفشاون بالفعل الى حمل اهل الهبط على المناداة بمحمد بن الشيخ المعروف بزغودة سلطانا .. »

تحدث عن زغودة هذا كل من الافراني في نزهة الحادي واحمد الناصري في الاستقصا ، الا ان الذي

دعا لزعودة هو ابو الحسن علي بن محمد بن علي بن عيسى بن ريسون لا الحسن بن علي كما جاء في الموسوعة ، وقد لاحظنا من قبل انها تخلط بين الحسن وابي الحسن . وتقول : المدفون بشفشاون والمعروف ان المدفون بشفشاون هو محمد بن الحسن بن محمد فتحا بن علي لا الحسن أما الحسن بن محمد فتحا بن علي بن ريسون فهو الذي تولى منصب حكومبا هاما بشفشاون على عهد عبد الله الغالب بالله السعدي ، والحسن هذا مدفون بفاس لا بشفشاون وكان من جملة فقهاء البلاط السعدي .

ثم بعد هذا تنتقل الموسوعة لتجمل الحديث عن شفشاون في عهد الاسرة العلوية الشريفة .

تقول الموسوعة : « وكان الشمال الشرقي من المغرب في مستهل حكم اسرة العلويين ابان النضال بين السلطان الرشيد واخيه محمد تحت ولاية زعيم مستقل هو الخضر غيلان الذي كانت حاضرته هي القصر الكبير والذي امتد نفوذه الى الاراضي بين طنجة وسبتة وبين تطوان وشفشاون . وفي سنة 1667 م ، خضع محمد الرشيد — كذا — المولى الرشيد — صاحب فاس قبيلة بني زروال ثم مضى الى تطوان بعد ان عمل غيلان على الفرار واقام المقدم التيسير واليا على البلدة وخلف ابناء التيسير آباءهم في الولاية عليها . ولما توفي المولى اسماعيل انتقل شمال غربي المغرب الى حكم قائد من قواد الجهاد هو الباشا احمد بن علي بن عبد الله الريفي المتوفى سنة 1156 هـ . والذي شيد في شفشاون داخل القلعة التي بناها علي بن راشد ديوان الحكومة والمدرسة . »

وهكذا تعطينا الموسوعة بعض المعلومات عن هذه الفترة وتشير الى نفوذ بعض الولاة على المدينة والاقليم مثل الخضر غيلان او اولاد التيسير ، والقائد احمد بن عبد الله الريفي . . .

ووالد القائد احمد هذا هو القائد ابو الحسن علي بن عبد الله الريفي الذي عقد له المولى اسماعيل على جيش المجاهدين ووجهه لحصار مدينة طنجة وعلى يده كان فتحها ، وهو الذي اعاد بناءها بعد التخريب الذي قام به الانجليز لاسوارها ومساجدها وأهم مرافقها (10) .

ويقول الناصري في الاستقصا : « كان القائد المجاهد ابو العباس احمد بن علي الريفي يلي رئاسة المجاهدين هو وابوه من قبله بالثغور البيطية ايام المولى اسماعيل ، وكانت له ولابيه اليد البيضاء في فتح طنجة والعرائش وغيرهما فكانت له بذلك وجاهة كبيرة في الدولة خصوصا ببلاد الهبط » (11) .

والقائد احمد هذا هو الذي شايع المولى المستنصر بن المولى اسماعيل فسد اخيه المولى عبد الله ، ولقد زاد عمله هذا في تأجيج نار الفتن والاضطرابات التي عرفها المغرب بعد وفاة المولى اسماعيل .

وبعد هذا تقول الموسوعة : « وفي سنة (1171 هـ 1757 م) انتفض مرابط من قبيلة الاخماس وهو محمد العربي الخمسي المعروف بابي الصخور على السلطان محمد بن عبد الله فاسره السلطان وامر برأسه فحمل الى فاس .

ثم قام الباشا العياشي واليا على غمارة والاخماس وشفشاون ، وخلفه في الحكم ولاة امرهم سلاطين (السعديين) — كذا — بل — العلويين — حتى قيام فتنة الطالب محمد بن عبد السلام زيطان وهو الذي اثار قبائل هذا الاقليم سنة 1208 هـ (1793 — 1794) وهزم زيطان ثم عفى عنه ، واعيد الى الولاية على شفشاون والاخماس ، ثم اعقبه في حكم البلدة زعماء محليون ، وتلاهم باشاوات تطوان الذين بعثوا اليها بخليفة » .

تشير الموسوعة الى ثورتين اشتهتا تامتا بهذه الناحية : الاولى كانت في ايام المولى محمد بن عبد الله قام بها المرابط محمد العربي الخمسي المعروف بابي الصخور وكانت له شهرة بجبال غمارة ، وكان يدعي استخدام الجن ، الا ان السلطان سيدي محمد بن عبد الله استطاع أن يخمد هذه الفتنة ، حيث قتل ابو الصخور وانتهى أمره ، وولى على قبائل غمارة والاخماس ، وتلك النواحي الباشا العياشي وجعل مقر حكمه مدينة شفشاون (12) .

وجاء ذكر هذا الباشا في « ثمرة انتسي في التعريف بنفسي » لابي الربيع سليمان الحوات حيث كان هذا الباشا هو وجماعة من الاعيان ممن حضروا حفل ختم القرآن الكريم الذي اقامته والدة سليمان الحوات ودعت اليه اعيان البلدة ، واعيان القبائل المجاورة (13) .

أما الثورة الثانية التي يتحدث عنها النص فهي ثورة محمد بن عبد السلام زيطان وهذه كانت في عهد المولى سليمان بن سيدي محمد بن عبد الله واستطاع المولى سليمان قمع هذه الفتنة والذي تولى قمعها هو المولى الطيب اخ المولى سليمان (14) .

ولا شك أن محمد بن عبد السلام زيطان هذا بعد ما حظي بالعفو عنه اسندت اليه الولاية على شفشاون والاخماس ، وصار من الاوفياء للدولة الى آخر رمق من حياته ، ويقول الناصري في الاستقصا : « كان لزيطان هذا في التمسك بدعوة السلطان اليد البيضاء ، وافنى غناء جميلا في تشييد تلك القبائل وتسكينها ثم وفد على السلطان بطنجة سنة 1236 هـ وقد طعن في السن فاحسن السلطان اليه غاية الاحسان . » (15)

ويشير النص الى أن باشاوات تطوان اصبحوا يبعثون بخلفاء عنهم لشفشاون وكان هذا الخليفة في الغالب يسمى « القائد » لكن هذه العملية لم تكن ناجحة ولذلك لم تدم طويلا ، لان هذا الخليفة أو هذا القائد يكون في الغالب تحت رحمة رجال القبائل وبذلك كان دوره محدودا أو لا اهمية له بالمرة .

وننتقل نص الموسوعة بعد هذه الفترة الى الحديث عن سنة 1306 هـ فيقول :

« وزار السلطان محمد بن الحسن البلدة » — كذا — والمعروف ان الذي زار شفشاون في هذه الفترة هو مولاي الحسن الاول بن سيدي محمد بن عبد الرحمن لا السلطان « محمد بن الحسن » وكانت زيارة السلطان مولاي الحسن الاول لشفشاون في الايام الاولى من شهر المحرم لسنة 1307 هـ (لا في 1306) موافق الايام الاولى كذلك لشهر شتنبر من سنة 1888 م . وهذه الزيارة كان المتقدمون في السن يتحدثون عنها ويؤرخون بها للولادات ولبعض الاحداث . . .

وبعد هذا ينتقل النص الى هذه الفقرة الاخيرة التي تقول : « وخضعت شفشاون منذ قيام الحماية الاسبانية لنفوذ الشريف العلوي المشهور احمد الريسوني صاحب تازروت ، وفي 4 اكتوبر سنة 1920 م انتزعت المدينة على يد جيش اسباني من تطوان وفي 15 نونبر سنة 1924 جلا الاسبانيون عنها ثم احتلها الريفيون بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي واصبحت منذ اسر الريسوني ووفاته مركزهم السياسي والحربي الذي تحكموا منه في (جبالة) ومكنهم من الاغارة على نواحي تطوان والقصر ووزان .

وهجر كثير من السكان البلدة التي قذفها الفرنسيون والاسبان بقنابل طائراتهم عدة مرات » .

وهنا تنهي دائرة المعارف الاسلامية كلامها عن مدينة شفشاون ، وتشير هذه الفقرات الاخيرة الى تاريخ شفشاون المعاصر ولعل هذه الفترة قد تعرض اليها غير واحد ممن كتب عن احداث الحماية بشمال المغرب ، لكن بالرغم من ذلك ما تزال هناك مصادر شفوية هامة تجب الاستفادة منها قبل فوات الاوان .

وهناك كذلك بعض الصحف بالعربية والاجنبية كانت تصدر في هذه الفترة ، وتتحدث عن المعارك بين الجبليين وجيش الحماية الاسبانية وهي لم تستغل بعد بالكيفية المطلوبة (16) .

هذا وبالرغم من وجود بعض الاخطاء في هذا الملخص الوجيز الذي قدمته لنا دائرة المعارف الاسلامية عن تاريخ شفشاون بالرغم من ذلك ، فان هذا الملخص يمدنا بمعلومات لا بأس بها ، قد يستطيع الباحث بعد بذل الجهد ان يجعل منها نواة لتاريخ هذه المدينة وناحيتها .

تطوان : **عبد القادر العافية**

التعاليق

(1) هناك شفشاون اخرى وهو اسم يطلق على قرية (بمليجة) باقليم حاحة . انظر « مستفاد الرحلة والاغتراب » للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي ص : 321 ، تحقيق عبد الحفيظ منصور ـ ط ـ الدار العربية للكتاب .

في هذا الكتاب ورد ذكر قصة جرت بشفشاون حاحة بطلها ابو زكرياء يحيى بن ابي موسى الحاحي .

(2) مثلا بالنسبة لتطوان هناك « عمدة الراوين في اخبار تطاوين للعلامة احمد الرهوني ، وتاريخ تطوان للاستاذ محمد داوود وبالنسبة لفاس هناك عدة كتب تتحدث عنها وعن اعلامها وصلحائها مثل : جذوة الاقتباس لابن القاضي وسلوة الانفاس للشيخ محمد بن جعفر الكتاني وغير ذلك..

وبالنسبة لمراكش « الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام » للعلامة العباس ابن ابراهيم التعارجي .

وبالنسبة لمكناس الاتحاف ، لابن زيدان .

وبالنسبة للرباط تاريخ الرباط لبوجندار . . . واعلام المدونين للاستاذ عبد الله الجراري وبالنسبة لتازة « اضواء على ابن يجيس التازي » للاستاذ البوخصيبي . .

وهناك بعض الاقاليم كتب عن تاريخها السياسي والادبي مثل سوس في كتابات الشيخ المختار السوسي « السوس العالمة » « المعسول » « ايلغ » . وهذا على سبيل المثال لا الحصر ، لان هناك كتابات عن ثغر طنجة ، ورباط آسفي وغيرهما .

(3) هناك بعض الكناشات والتقاييد لافراد من الاسرة العلمية بشفشاون ، وهناك كناش للقاضي عبد الكريم الحضري الشفشاوني جمع فيه نصوص بعض الشهادات ، ورسوم الزواج والطلاق والبيع والشراء وبعض ايرادات الاراضي الحبسية ، وهناك الحوالات الحبسية لمساجد مدينة شفشاون وكل هذه الكتابات تتضمن معلومات لا تخلو من فائدة .

(4) لمزيد من المعلومات عن هذه المراجع ، ارجع الى كتاب (اهم مصادر تاريخ المغرب) لاحمد المكناسي ـ ط ـ تطوان .

هذا ولقد القيت بعض المحاضرات عن شفشاون من طرف بعض المهتمين بهذه الناحية كالاستاذ محمد عزوز حكيم ، والاستاذ ضون كيرمو الاسباني مدير مكتبة المركز الثقافي الاسباني بتطوان وغيرهما . . .

(5) نعتقد ابن عرضون نجد مثلا ان اليهود كانوا يتنقلون بين القرى والمداشر وداخل المدينة كباعة متجولين ، او كصناع متنقلين ، ويعيب على المرأة في هذه النواحي انها لم تكن تستتر من اليهود بل كانت تعاملهم في غير كلفة ، ولا حجاب ، انظر القسم الاخير من كتابه مقنع المحتاط في آداب الازواج (مخ . خ . ع . د)

اما ابو الحسن علي العلمي فهو ينقل لنا في نوازله بعض الفتاوى حول ادعاءات اليهود . . والاجابة عنها .

(6) احتلت سبتة عام (818 هـ 1415 م) في آخر عهد بني مرين ايام السلطان ابي سعيد ابن احمد المريني ، وباقي الثغور في العهد الوطاسي .

(7) لا تشير المصادر العربية الى كل هذا الاتساع لنفوذ البرتغاليين بهذه الناحية ، والظاهر ان هذا التوسع كان لفترة قصيرة من الزمن .

(8) « الخروب » مشتر بقبيلة « جبل حبيب » على بعد 45 كلم من تطوان في اتجاه العرائش .

(9) منظومة القاضي الكراسي « عروسة المسائل » هي من ضمن مطبوعات المطبعة الملكية بالرباط لسنة 1963 — ولقد اعتنى بتحقيقها والتعليق عليها مؤرخ المملكة المغربية الباحثة الاستاذ عبد الوهاب بن منصور .

(10) الاستقصا ج — 7 — ص : 67

(11) نفس المصدر ج — 7 — ص : 115

(12) نفس المصدر ج — 8 — ص : 10

(13) ثمرة التسي في التعريف بنفسي مخطوط « خ. ع. ر » تحت رقم : 1264 ك - ضمن مجموع .

(14) انظر تفاصيل هذه الحادثة في الاستقصا ج : 8 ، ص : 95 . ط - دار الكتاب

(15) نفس المصدر .

(16) انظر مثلا جريدة « الاصلاح » التي كانت تصدرها الحماية الاسبانية بتطوان وخاصة العدد : 75 الذي يتحدث عن الاحتلال الاول لشفشاون سنة 1920 من طرف القوات الاسبانية وهذا العدد مؤرخ بـ 1920/11/5 .

تصويـــــــب

وقعت في مقال الاستاذ محمد العربي الخطابي المنشور في العدد الماضي بعنوان : « الحياة والعيش » أخطاء ننبه عليها فيما يلي :

في الصفحة 16 ، السطر 13 تقرأ الآية الكريمة : « فجاءته احداهما تمشي على استحياء » لا من استحياء .

في الصفحة 17 ، السطر 16 ، تقرأ ... وشربة ليس معها شرق » لا شـــــوق .

نفس الصفحة ، السطر 21 : يبدل لفظ « الفنان » في بيت ابـــن الرومي بلفظ « الفناء » فيقرأ هكذا :

وكيف بقاء العيش فيها وانما ينال بأسباب الفناء بقاؤهـــا

الصفحة 18 ، السطر 12 تصحح الجملة كما يلي : « ... تحوم حول مسائل المعيشة الجماعية ، فنقول — مثلا — تكاليف المعيشة ، ومستوى العيـــــش ... »

نعتذر للسيد الكاتب ولقرائنا الكرام .

يسألونك في القرآن الكريم

للأستاذ اسماعيل الخطيب

مرت قرون على نزول القرآن المجيد على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومر القرآن على عقول وقلوب استمدت منه وتتلمذت له ، وتفيأت تحت ظلاله وسيظل القرآن مصدر معرفة تتجدد معانيه بتجدد الليالي والايام ويعطي كل يوم جديدا ومفيدا.

والدراسة التي اقدمها للقارىء تتجه الى قسم من مادة «سأل» وهي مادة ذكرها الله تعالى على مختلف وجوهها مائة وتسعة وعشرين مرة .

والقسم الذي أركز عليه هذا البحث هو «يسألونك» ومعلوم أن السؤال اذا كان للتعريف تعدى الى المفعول الثاني تارة بنفسه وتارة بالجار تقول : سألته كذا وسألته عن كذا وبكذا وبعن أكثر ، والسؤال لغة استدعاء معرفة أو ما يؤدي اليها او استدعاء مال او ما يؤدي اليه ، وهو مذكور في القرآن خمس عشرة مرة سبع في سورة البقرة واثنتان في سورة الاعراف وواحدة في كل من المائدة والانفال والاسراء والكهف وطه والنازعات .

وهذه الاسئلة التي كانت توجه للرسول الكريم يختلف حال الذين يوجهونها فمرة يوجهها المعترضون كيهود في قولهم : كنت نبيا فاخبرنا عن الساعة ، وسؤالهم عن الروح ، وتارة يوجهها أقوام استهزاء فقد روى البخاري عن بن عباس : كان يقول الرجل: من أبي ؟ ويقول آخر ضلت ناقته : أين ناقتي ، وقد وصل الامر حتى خرج الرسول عليه الصلاة والسلام غضبان محمارا وجهه على المنبر فقام اليه رجل فقال: اين أنا ؟ قال : في النار ، فقام آخر فقال : من أبي ؟ قال : أبوك حذافة .

وقد شعر عمر آنذاك أن لا فائدة في هذه الاسئلة فقال : انا يارسول الله حديثوا عهد بجاهلية وشرك ، والله أعلم من آباؤنا ، فسكن غضب الرسول عليه الصلاة والسلام ، ونزل قول الله تعالى : «يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم» .

وتارة يوجهها من شرح الله صدره للاسلام فيكون سؤاله لطلب افادة أو لمعرفة حكم الله أو لطلب بيان ما أنبهم عليه .

وهذا شان الصحابة الكرام فما كانوا يسألون الا عما ينفعهم :

«عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ما رأيت قوما خيرا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما سألوه الا عن ثلاث عشرة مسألة كلهن في القرآن «يسألونك» عن المحيض» «يسألونك عن الشهر الحرام» «يسألونك عن اليتامى» «ماكانوا يسألون الا عما ينفعهم»(1).

1 ـ الجامع لاحكام القرآن للقرطبي 3 : 40

والملاحظ انه ليس في الحديث من الثلاث عشرة مسالة الا ثلاث ، فلنلم المامة سريعة بهذه المواضع حسب ترتيبها في المصحف :

1 ـ الاهلة : فقد قالوا : لم خلقت الاهلة ؟ وما بال القمر يبدو هلالا ثم يكبر حتى يستدير بدرا ثم ينقص ليصير هلالا وهكذا ، فانزل الله تعالى : «ويسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج» البقرة .

فهل كانوا بسؤالهم يتطلعون الى الجواب بانها مواقيت أم كانوا يتطلعون الى معرفة حقيقة الهلال الكونية .

لقد اتجهت الاجابة الى ناحية واحدة وهي الناحية العملية ، وتركت الناحية التي تبحث في وظيفة القمر وطبيعته ، في المجموعة الشمسية والاجرام السماوية

«والاجابة العلمية ربما كانت تمنح السائلين علما نظريا في الفلك ، اذا هم استطاعوا أن يستوعبوا هذا الطراز في حاجة الى مقدمات طويلة ، من هنا عدل من الاجابة التي لم تتهيا فيها البشرية ولا تهيدها كثيرا في المهمة التي جاء القرآن من أجلها اذ القرآن قد جاء لما هو أكبر من تلك المعلومات الجزئية ولم ينزل ليكون كتاب علم فلكي أو كيماوي أو طبي كما يحاول بعض المتحمسين له أن يلتمسوا فيه هذه العلوم أو كما يحاول بعض الطاعنين فيه أن يلتمسوا مخالفته لهذه العلوم»(1) .

2 ـ الانفاق : قالوا : كيف ننفق ، وفي رواية أن عمرو بن الجموح ، وكان شيخا كبيرا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن مالي كثير فبماذا أتصدق وعلى من أنفق فانزل الله تعالى : «ويسالونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم» البقرة .

لقد كان المسلمون الاوائل ـ وهم يؤسسون أمة الاسلام ـ يرون أن الانفاق أمر ضروري لبناء الجماعة الاسلامية ولكنهم لم يجعلوا أمر الانفاق خاضعا لاستحسانهم بل هم مع الوحي ، فلذا سالوا : ماذا ينفقون فكان الجواب في الآية بعدها «قل العفو» ـ مبينا نوع وجهة الانفاق ، ثم كان الجواب في الآية بعدها «قل العفو» مبينا المقدار والدرجة .

3 ـ القتال في الاشهر الحرم : بعث النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش في اثني عشر رجلا من المهاجرين في رجب وكتب له كتابا أمره الا يفتحه حتى يسير يومين ، فلما فتح الكتاب اذا فيه «اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل بنخلة بين مكة والطائف فترصد قريشا وتعلم لنا اخبارها» فمرت بهم عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمي فقالوا نحن في آخر يوم من رجب (كذا عند ابن اسحاق وذكر الطبري عن السدي أنها في آخر يوم من جمادى الآخرة وما عند ابن اسحاق هو الاشهر) ان قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام وان تركناهم دخلوا الليلة الحرم ، فاجمعوا على ملاقاتهم ، فقتل عمرو بن الحضرمي واسر آخرون .

وانتشر أبواق قريش تردد : «قد أحل محمد الشهر الحرام» واشتد الامر على المسلمين ، وتساءلوا أيكون القتال في الاشهر الحرام ؟ فانزل الله : «ويسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله» البقرة .

4 ـ الخمر والميسر يوم تنحط الاخلاق ، تنحط معها سبل المتعات ، فتكون الخمر لذة للمنحطين ، والقمار سبيل الكسب للعاجزين ، ويوم بدأت بصائر المسلمين تعي دور المسلم في الحياة ، تساءلوا في امر هذين الخبيثين ، فنزل قوله تعالى : «ويسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما» .

فكانت هذه الآية أول خطوة نحو تحريم الخمر والميسر وقد كانا من عادات المجتمع الجاهلي لذا كان التحريم بالتدريج .

5 ـ اليتامى : كان من عادة العرب ان يجتنبوا مال اليتيم ولا يخالطوه ، في مأكل ومشرب وازداد الامر عندما نزل قول الله تعالى : «ولا تقربوا مال اليتيم» وقوله : «ان الذين ياكلون أموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا» ، فتوقفوا : كيف يعاملون اليتامى واموالهم ؟ فانزل الله سبحانه : «ويسالونك

1 ـ في ظلال القرآن 2 : 95 بتصرف

عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم» فمن قصد الاصلاح فى مال اليتيم فذلك خير ، وبذلك رفع سبحانه المشقه وأباح الخلطة بقصد الاصلاح والرفق باليتامى .

6 ـ المحيض : يحكم المجاورة بين العرب ويهود فى المدينة فقد قلد العرب مجاوريهم فى كثير من العادات والتقاليد منها تجنب مواكلة الحائض ومساكنتها ، وعندما دخلوا فى الدين الحق ، تساءلوا فى هذا الامر ، فنزل حكم الله شاملا لامر الحيض ومدى العلاقة وطبيعتها بين الرجل والمرأة «ويسالونك عن المحيض قل هو اذى» الى قوله سبحانه «وبشر المومنين» البقرة.

فنهى سبحانه عن المباشرة اثناء المحيض لما فى ذلك من الضرر الصحى على الرجل والمرأة ولما فيه من ابتعاد عن الفطرة التى تقصد من وراء الاتصال ما كتبه الله من الذرية .

7 ـ الحلال: ابتدأت سورة المائدة باعلام المومنين ان الله احل لهم بهيمة الانعام ، الا ما يتلى عليهم مما هو محرم : الميتة ، الدم ، لحم الخنزير ، فتساءل المومنون وقد صاروا يتحرجون من الأشياء مخافة ان تكون من المحرمات ، فقالوا : ماذا احل لنا ؟ فاعلمهم الله أن الطيبات هى الحلال ، وأنه لم يحرم عليهم الا الخبائث : «ويسالونك ماذا أحل لهم ، قل أحل لكم الطيبات» ، المائدة 4.

8 ـ الساعة : السؤال عن الساعة سؤال استبعاد لوقوعها صادر عن المكذبين من قريش ، ويهود ، وهم اقوام غلب عليهم العمى والضلال : «يسالونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى» الاعراف 187 «يسالونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها» النازعات 42 «يسالك الناس عن الساعة قل انما علمها عند ربى».

فالساعة غيب لا يعلمه الا الله «لا تأتيكم الا بغتة» وهذا نوع من الاسئلة كان يلقيه المعاندون اختبارا وامتحانا واستهتارا واستهزاء لا يريدون بذلك معرفة حق ، انما هو العناد والكفران.

9 ـ الانفال : اختلف اهل بدر فى امر الغنائم وتساءلوا عن قسمتها ، فانزل الله تعالى : «يسالونك عن الانفال ، قل الانفال لله والرسول» الانفال 1 فجعل أمرها الى الله والرسول ليقسمها بين المسلمين عن سواء .

10 ـ الروح : روى البخارى وغيره عن ابن مسعود قال بينما انا امشى مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو متكىء على عسيب اذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح ، فقال ما رابكم اليه وقال بعضهم لا يستقبلكم بشىء تكرهونه فقالوا سلوه ، فسألوه عن الروح فامسك النبى صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا فعلمت أنه يوحى اليه فقمت مقامى فلما نزل الوحى قال :

«ويسالونك عن الروح قل الروح من أمر ربى» الاسراء 85 .

والسؤال عن الروح كالسؤال عن الساعة يطرقه المعاندون ، فالروح كالساعة غيب يعلمه الله وادراك الانسان قاصر عن معرفة الروح .

11 ـ ذو القرنين : بعث كفار مكة الى أهل الكتاب يسالون عن رجل طواف فى الارض وعن فتية لا يدرى ما صنعوا وعن الروح .

وهكذا سأل كفار مكة النبى عليه السلام عن الرجل الطواف فاورد الله تعالى فى آخر سورة الكهف نبذة من سيرته «ويسالونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا».

12 ـ الجبال : مشهد القيامة مما عنى به القرآن عناية ظاهرة وفى آخر سورة طه يوضح الله تعالى ما يقع بعد النفخ فى الصور من حشر للمجرمين ، وحالتهم عند الحشر ويتساءل المتسائلون ، وهم يشاهدون هذا العالم ومن أهم معالمه هذه الجبال الراسيات : ما مصيرها ؟ : «ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا» طه 105 فاذا كان هذا الهول يصيب الجبال فما مصير البشر وأين صرقوته المزعومة آنذاك .

تلك نظرة عجلى فى هذه المجموعة من الاسئلة التى ألقيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاب الله سبحانه عنها وطرح هذه الاسئلة له دلالات واضحة تعطى صورة عن الحركة الانقلابية

التى عمت المجتمع العربى ، وقد أشار صاحب الظلال الى ان هذه الدلالات ثلاثة :

اولا ـ هى دليل على تفتح وحيوية ونمو فى صور الحياة وعلاقاتها وبروز أوضاع جديدة فى المجتمع الذى جعل يأخذ شخصيته الخاصة .

ثانيا ـ هى دليل على يقظة الحس الدينى وتفاعل العقيدة الجديدة وسيطرتها على النفوس مما يجعل كل أحد يتحرج أن يأتى أمرا فى حياته قبل أن يستوثق من رأى العقيدة الجديدة فيه .

ثالثا ـ دلالة تؤخذ من تاريخ هذه الفترة وقيام اليهود فى المدينة والمشركين فى مكة بين الحين والحين بمحاولة التشكيك فى قيمة النظم الاسلامية وانتهاز كل فرصة للقيام بحملة مضللة .

العقل السليم والتجارب الصادقة كلاهما يلتقى مع الاسلام فى تشريعه السليم لكسب المال . . ومن هنا يكون التقاء الدين مع الحياة ، أو بطريقة أوضح: التقاء تشريع الله مع ازدهار الحياة .

نظرية تاريخ اللغة العربية

(3)

للأستاذ

محمد حمزة

ان مشكلة اللغة قديمة قدم العالم ، وضاربة في احشاء التاريخ . والانسان ما فتيء منذ ظهوره على الكوكب الارضي يبحث في اسرارها وكيفية ايصالها وتواصلها . فقد كان الهنود يعتقدون ان اللغة قديمة وانها هبة من الله وليست من صنع البشر ، وقد ميز الله الانسان بأن منحه المقدرة على الكلام ، وأعطاه اللغة التي يتكلم بها ، وحتى الذين حاولوا التركيز على الجانب الطبيعي للغة لم يستطيعوا ان يتخلصوا من فكرة «التدخل الالهي» في ظاهرة اللغة ، وصرحوا بأن المعنى للفظ الاساسي لم يأت عن طريق الاصطلاح ولكن عن طريق الاله(1) ويحكي سفر أعمال الرسل أن حواريي عيسى عليه السلام حصلوا في يوم الخمسين الذي أعقب آخر فصح على هبة خاصة جدا هي اللغة ، فقد كانوا مجتمعين في غرفة عالية متهمكين في الصلاة ، فاقبل عليهم صوت من السماء فجأة ، استطاعوا بعده أن يتكلموا بلغات كثيرة : «ولما حل يوم الخميس كانوا كلهم معا في مكان واحد ، فحدث بغتة صوت من السماء كصوت ريح شديدة تعصف وتملأ كل البيت الذي كانوا جالسين فيه ، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار ، فاستقرت على واحد منهم فامتلأوا كلهم من الروح القدس وطفقوا يتكلمون بلغات أخرى كما آتاهم الروح أن ينطقوا ، فلما كان ذلك الصوت اجتمع الجمهور فتحيروا لان كل واحد كان يسمعهم ينطقون بلغته»(2) وكان المستمعون من مختلف الجنسيات والاصول ، وينتمون الى خمسة عشر بلدا(3) ، فتعجبوا واندهشوا ، وقالوا انهم كانوا يسمعون تلاميذ المسيح ينطقون بألسنتهم بعظائم الله ، وعالج الهنود مشكلة العلاقة بين اللفظ ومعناه من جوانبها اللاهوتية والروحية والنحوية والفلسفية جميعا وكانوا يعتقدون ان لغتهم الاساسية قد خلقها الاله لاستعمال الناس بل يعتقدون أنها اللغة المستعملة بين الآلهة ، واطلقوا عليها وصف الوجود بدون سبب وبدون مبتدئ عدم ، وتحدث اللغويون الهنود عن المقطع الخفي في اللغة وذكروا أنه يمثل النواة التي تكونت منها الكلمات ، ويبدو أن هذه النظرية مرتبطة بنظرية التثليث عند الهنود ، لان الوحدات الثلاث

1 ــ البحث اللغوي عند الهنود ــ تأليف الدكتور أحمد مختار عمر ــ ص 100 ــ دار الثقافة ــ بيروت لبنان ــ 1972 .

2 ــ أعمال الرسل ، الفصل الثاني : 1 ــ 6 .

التي تكون المقطع تقابل الآلهة الهندية الثلاثة(4) .

يقول باتنجالي في المهابهاشيا : «انتا تدرس النحو فربما تكون مثل الاله العظيم» ثم أخذ يعقد مقارنات بين أجزاء الكلام فقال: «النحو مثل الرب اربعة قرون وثلاثة أقدام ورأسان وسبع أيد ، أما القرون الاربعة فهي أقسام الكلام الاربعة ، وهي الاسماء والافعال وحروف الاضافة والأدوات(5)، وما الاقدام الثلاثة فهي أزمنة الفعل الثلاثة الماضي والمستقبل والحاضر. وأما

---

4 ـ تنتظم عقيدة التثليث عند الهنود ثلاثة أقانيم :

الاول : براهما ، كبير الآلهة ، ومجسد «المطلق» وخالق العالم والآلهة والكائنات ، تصوره كتب البوراتا على أنه احمر اللون ، خرجت من جسمه امرأة حسناء بيضاء اللون مرتدية ملابس بيضاء ، واسمها سارا سفاتي فما لبث أن أخذه جمالها وموسيقاها الساحرة ، فركز بصره عليها ، فخجلت لذلك الحسناء وحاولت أن تتخلص منه ومن نظراته، فاندفعت الى اليمين ، فظهر لابراهما رأس ثان ينظر الى سارا سفاتي وهكذا والرؤوس تظهر كلما حاولت الفادة الاختفاء، حتى ظهر الرأس الخامس، وبعد ذلك لبت نداء براهما وقبلت أن تكون رفيقة له ، وولدت له كثيرا من الابناء ، كان من بينهم آلهة الخير وآلهة الشر ، وهم من قبيل الشياطين !

الثاني : فيشنو وهو الاقنوم الثاني، مهمته حفظ الكون ، قد يتشكل أحيانا بالاشكال البشرية عن طريق التناسخ بنزوله من السماء الى الارض .

الثالث : سيفا وهو الاقنوم الثالث ، اله الدمار والخصب .

5 ـ أجزاء القول النحوية عند أرسطوطاليس ثمانية هي : الحرف الهجائي ، المقطع ، الرباط، الاداة الاسم ، الفعل ، التصريف ، القول ، وأقسام الكلم عند الاستاذ الفاضل دكتور تمام حسان سبعة هي : الاسم ، الصفة ، الفعل ، الضمير ، الخالفة ، الظرف ، الاداة ، وهي عند عامة نحاة العرب ثلاثة : اسم وفعل وحرف ، وزاد عليها بعضهم ، وهو جعفر بن صابر ، قسما رابعا سماه الخالفة ، وهي عنده ما يسميه النحاة باسم الفعل . وتروى الرواة ان تقسيم الكلم العربي الى ثلاثة أقسام يعود الى الامام علي بن أبي طالب ، ذلك أنه سمع أعرابيا يقرأ قوله تعالى ، في سورة الحاقة : «فليس لهم اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين لا ياكله الا الخاطئون». وقرأ لا ياكله الا الخاطئين فوضع على النحو . روى ابو الاسود الدؤلي قال : دخلت على امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فوجدت في يده رقعة، فقلت : ما هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : اني تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء ، يقصد الاعاجم ، فاردت أن اضع شيئا يرجعون اليه ويعتمدون عليه ، ثم ألقى الي الرقعة وفيها مكتوب : الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبئ به، والحرف ما أفاد معنى، فقال لي: انح هذا النحو وأضف اليه ما وقع اليك ... والى التقسيم التقليدي للكلم يشير ابن مالك في الفيته :

كلامنا لفظ مفيد كاستقم ... واسم وفعل ثم حرف الكلم
واحده كلمة والقول عم ... وكلمة بها كلام قد يؤم
بالجر والتنوين والندا وال ... ومسند للاسم تمييز حصل
بتا فعلت وأتت و يا افعلي ... ونون اقبلن فعل ينجلي
سواهما الحرف كهل وفي ولم ... فعل مضارع يلي لم كيشم

واليه يشير أيضا شرف الدين العمريطي في الدرة البهية :

كلامهم لفظ مفيد مستند ... والكلمة اللفظ المفيد المقر
لاسم وفعل ثم حرف تنقسم ... وعلمه ثلاثة هي الكلم

والى التقسيم التقليدي يشير أيضا الشيخ ناصيف اليازجي في مقدمة أرجوزته المعروفة بالخزانة :

الصرف علم بأصول تعرف ... بها صيغ لكلم تصرف
والكلمات في اصطلاح الواضع ... ثلاثة ليس لها من رابع
وتلك بين اسم وفعل تبنى ... وبين حرف قد أتى لمعنى

الرأسان فيهما نوعان من الكلمات ، نوع طبيعي ونوع صناعي»)6).

والعلم اليوم لم يعد أداة مدهشة تهول البشرية، ولاول مرة في تاريخ الانسان يثبت العلماء أن الانسان ليس هو المخلوق الوحيد الناطق في هذا الكون، فما يصح على مجرتنا ، خليق أن يصح على المجرات الاخرى ، وما زال علماء الفلك الراديوى معنيين في الفترة الاخيرة، باشاعات راديوية، واردة من الفضاء، ولا يستبعدون في دراساتهم استبعادا مسبقا أن تكون تلك الاشعاعات واردة من حضارة متقدمة ، قائمة على كوكب سيار ، يدور حول أحد النجوم في مجرتنا او في احدى المجرات الثانية . ولذلك قال لفيف من العلماء في مؤتمر لهم عقد بالمرصد الفيزياتي الفلكي في بوريا كان بالاتحاد السوفييتي في شهر سبتمبر 1971 : «نرى أنه من المناسب أن يقوم ممثلون عن البشرية جمعاء بالبحث عن قدره عاقلة خارج نطاق الارض)(7) . بل ان العلماء اقتنعوا بأن الانسان يشهد الليل حافلا بأقراص مشعة يقودها بعض الزائرين القادمين من أقاصي السماء. وتعدد العوالم يؤكد تعدد الاحتمالات ويضاعفه ، ويقولون ان سكان كوكب السدم يملكون بالطبع اعضاء حس وزوائد استشعار وحركة ، ويتفاهمون فيما بينهم بلغة تحتوى على كلمات وقواعد للنحو والصرف ، وبناء الجمل . كما يملكون تنظيمات سياسية وأدب لغة وموسيقى، وفنونا تشكيلية لها مدارس متنافسة ، وقواعد اجمالية متعارضة ، وأبدعوا معلومات وتقنيات او ما يعادلها . وثمة أشياء تقوم عندهم مقام الاخلاق والفلسفة والدين(8) ، ونحن ـ العرب والمسلمين ينبغي أن لا ندع في نفوسنا مجالا للغرابة في هذا الشأن ، او نعجب ولنستبد بنا الحيرة وكتابنا الخالد يقول :«ويخلق ما لا تعلمون»(9) فهل آن لنا ان نعتبر بما وصل اليه البحث اللغوى عند الغرب الذى تردد اقواله ، ولا ننتفع بها الا كشطا ونتفا وابتسارا ؟!

ان الانسانية قد نهضت نهضة شاملة وتفننت في العلوم والصناعات ، وظلت تكشف أسرار الطبيعة واحدا تلو آخر ، وسخرت قوى الكون وأخضعتها لتقوى بها على ما يواجهها من صعاب ، ففي المجال البشرى ـ مثلا ـ توصل الانسان الى التعرف على حياة بنى جنسه منذ مولده حتى نهاية عمره ، وتمنى له أن يعرف كيف تعمل الاجهزة الداخلية في جسم الانسان ، فاستطاع بذلك ان يفسر سلوكه الاجتماعى ان زمرا وان افرادا . وفي المجال الصحي كافح الجراثيم والاوبئة الفتاكة ، وكثيرا من الامراض التي ظلت مستعصية طوال عهود وأحقاب ، وفي الزراعة قضى الانسان على الحشائش التي تضر ولا تنفع ، واختار الانواع التي تعود عليه بالخير وأعظم الفائدة، فازدادت بذلك المحاصيل الزراعية ، وتحسنت غلال الفلاحة ، وتم تسويقها على أسس قويمة سليمة، وفي ميدان النظرة في اللغة ، فان البحث اللغوى لا يقل في عصرنا الحاضر شمولا عما وصل اليه البحث في غيره من العلوم ، بل اتصف بالصفة العلمية المحضة ، ولم يعد مجموعة خرافات لغوية تخفي في أحنائها بقية باقية من احداث تاريخية ، لا ولم يبق مادة يستعان على ادراكها بالتأمل المجرد ، كما كان في سالف الايام ، حتى انهم يقولون اليوم ان البحث في علم اللغة يشبه البحث عن الطبيعة النووية في مجال العلوم البحتة، لان علم اللغةمن اكثر العلوم الانسانية استنادا الى المنهج الايجابي، ويسمون القرن العشرين بقرن علم اللغة، ويرون أن الثورة التي شهدتها اللغة في خلاله ، بحثا وتنقيبا، وتصنيفا شبيهة بثورة علم

---

6 ـ البحث اللغوى عند الهنود ، ص 14 .

7 ـ أوراق عصية لفؤاد صروف ص 56 ، دار الكتاب اللبناني ـ الطبعة الاولى 1972 .

8 ـ ديوجين ، ع 30 س 9 ، أغسطس / أكتوبر 1975 ص 15 .

9 ـ بعض الآية الثامنة من سورة النحل ، والآية بتمامها هي : «والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ، ويخلق ما لاتعلمون». قال الآلوسي: «والذي أظنه أنه ليس أحد من الكفار فضلا عن المؤمنين يشك في أن لله تعالى خلقا لا تعلمهم ليحتاج الى ايراد الشواهد على ذلك». وينقل القرطبي عن الماوردى انه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان «ما لا تعلمون» أرض بيضاء مسيرة الشمس ثلاثين يوما مشحونة خلقا لا يعلمون أن الله تعالى يعصى في الارض» قالوا : يا رسول الله ، من ولد آدم ؟ قال : «لا يعلمون أن الله خلق آدم» . قالوا يارسول الله ، فأين ابليس منهم ؟ قال : «لا يعلمون أن الله خلق ابليس» ، ثم تلا «ويخلق ما لا تعلمون» .

الفيزياء في القرن الثامن عشر ، ان المعرفة اللغوية هي التي تكشف لنا بوضوح مجاهل تاريخ الفكر البشري متعاونا بعضه مع بعض ليوصل الانسانية كلها الى وراثة هذه الارض وراثة رشيدة حكيمة اساسها الخير والسلم والرخاء ، ولا يعرف تاريخ البشرية فترات تهضات الا وكانت اللغة هي الطريق والسبيل الى تجميع الخبرات والنماذج . ومن التراكمات تستحدث التحولات وترفع السدود لينساب الفكر بوعائه ، او ليتقدم الوعاء بمحموله ، وجهاد الانسان لنفسه أو للطبيعة هو مدار الحضارة، واللغة درب بين الحومتين يظل سجلا لعمل الانسان الذي يعمر الارض(10) جيل يأتي، وجيل يرحل، كل يعمل لاشباع مجاعات في نفسه فينجز بفكره ما أمكنه انجازه ليخلي السبيل الى من هم آتون بعده كالشمس تشرق لتغيب وهكذا دواليك :

منع البقاء تقلب الشمس
وطلوعها من حيث لا تمسي

وطلوعها حمراء صافية
وغروبها صفراء كالورس

اليوم اعلم ما يجيء به
ومضى بفصل قضائه أمس (11)

الحركة لازمة في جميع مجالات النشاط الانساني ، ففيها تتلاعب القوى وتتفاعل ، وخصب الزمن يتخذ اشكالا كثيرة دون أن يتضاءل أو ينقص ، وبذلك يصير التقدم الاجتماعي تحليلا للحاضر ، وانتقاء من الماضي ، وتنظيما لما هو موجود فعلا ، مع تصور المستقبل ـ والليالي حبالى ـ بامكاناته ، واحتمالاته خدمة للانسان ، وتحريرا لقواه ، ومساعدة له على الانطلاق ، وتنمية لقدراته المتنوعة الكثيرة .

ان معارفنا تتقادم بناء على نماء العلوم وانتشار الثقافة الذي يعيشه عالم اليوم، وان كثيرا مما يظهر في آفاق الفكر جديدا في يومه ، يبديه عامل الزمن، ويرتد طوعا أو كرها الى حساب القديم في غده ، كما يقع لبعض الاواني المعدنية ان قدمت ، تصفر، وتتآكل ، وتصدأ ، وقد يحلوها الطحلب ، ولم يعد انسان اليوم يكفيه أن يشار اليه بالبنان فيقال : «انه حافظ للمتون ، ملم بجميع العلوم والفنون» او يوصف «بالبحر الفهامة والمدقق العلامة» أو «العالم

---

10 ـ اللغة والحضارة للدكتور مصطفى هندور ص 218 ، منشأة المعارف بالاسكندرية 1974 .

11 ـ الورس هو الزعفران ، وفصل قضائه ، معناه قضاؤه الفاصل ، من قبيل تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الصرفي الواحد ، والابيات لتبع بن الاقرن ، وتنسب لاسعد نجران ، ويستشهد النحاة بالبيت الثالث ، في المبني والمعرب من الاسماء ، للتدليل على بناء «أمس» على الكسر، وهو في البيت فاعل لمضى ، وورد مكسور الآخر بتأويل فوافي الابيات كلها ، وبناء «أمس» على الكسر ، هو لغة اهل الحجاز وهم لا يفعلون ذلك الا اذا أريد به معين ، وهو اليوم الذي قبل يومك ، ولم يضف ، ولم يعرف بأل، ولم يكسر ، ولم يصغر ، وسمي بنائه عندهم أنه تضمن معنى حرف وهو «أل» المعرفة ، يقول ابن هشام في «قطر الندى وبل الصدى» : «وأما «أمس» اذا أردت به اليوم الذي قبل يومك ، فاهل الحجاز يبنونه على الكسر، فيقولون : «مضى أمس» واعمكفت امس» وما رأيته منذ امس» بالكسر في الاحوال الثلاثة ويقول في «شذور الذهب في معرفة كلام العرب» : واذا أريد بأمس يوم ما من الايام الماضية ، او كسر أو دخلته «أل» ، أو أضيف ـ اعرب باجماع ، تقول . فعلت ذلك امسا اى في يوم من الايام الماضية . وذكر المبرد والفارسي وابن مالك والحريري ان «أمس» يصغر فيعرب عند الجميع».

ومعنى الابيات أن الخلود في هذه الدنيا ممتنع غير ممكن لاحد ، والدليل على امتناعه ما نشاهده من تقلبات الاحوال ، فالشمس ، وهي كوكب عظيم جدا ليست بباقية على حالة واحدة ، بل يعتريها التغير والافول ، فهي تطلع من حيث لا تغرب ، وهي حمراء صافية عند الشروق ، صفراء كالزعفران عند الغروب ويظهر ان ابراهيم الخليل قد رصد هذه الظاهرة التي يقصها كتاب الله الخالد : «واذ قال ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة اني أراك وقومك في ضلال مبين ؟ وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي ، فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم اني بري، مما تشركون ، اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين» الانعام : 74 ـ 79 .

التحرير المتحلي بحلل الكمالات» ، ان مثل هذه الاوصاف تثير كثيرا من الانشداه والسكوت الحائر في مقاييس العصر، ان انسان اليوم يقاس علمه بالقدر الذي يسخر به معارفه لجعل الآخرين أوسع معرفة، وأكثر انتفاعا ، وأحسن تمرسا بتجارب الحياة، ان المعرفة صارت كيانا لعالم اليوم ، وجزءاً لا يتجزأ من شخصية الانسان المعاصر الذي يتميز بانه يظل طوال أيام حياته يتلقى المزيد من المعارف الجديدة، ولم يعد من واجب المدرسة او الجامعة ان يزودا التلميذ أو الطالب بعلوم الدنيا كلها ، بل اصبح من واجبهما أن يجعلاهما قادرين على تفهم المعلومات والسعي وراء البحث عنها ، بمعنى انهما يربانهما الكيف ويتركان لهما المجال فسيحا لتجميع الكم باستخدام المناهج العلمية المختلفة للتحصيل واثراء التجارب اثراء دائبا لا يفتر، ولا يعرف الانقطاع حتى بعد التخرج ، واذا تم ذلك ـ وهو واقع فعلا ـ فان البشرية تنبيا لها ثقافة الاجيال المتتابعة والمتلاحقة وهي ثقافة مرهصة لما يكون عليه المستقبل ، ووعاء تغرف منه حضارة الغد .

وتحطيم الماضي والثورة الشاملة عليه ومحاولة محوه أمر لا يمكن في مجال التطبيق ، لان الماضي رحم المستقبل ، وعنه يتولد ، وفي احضانه يكبر ، وعلى تربته ينبت ويلقى الجذور ، والحضارة القديمة، أي حضارة مهما بلغت من القدم أو الشيخ أو النهاية في الكبر واليبس والجفاف ، فانها تميزت بشيء دون ريب ، وخطت بها الانسانية خطوة ، وساهمت في قليل أو كثير في وضع أسس الحضارة الحديثة بجوانبها الفلسفية والفكرية والنظرية ، والتطبيقية . غير انه لا ينبغي أن نتجاهل ان الحضارات التكنولوجية العلمية الحديثة التي نتقيا ظلالها اليوم، بطبيعتها الشمولية ، وسيطرتها الكونية، تحتم السير بالمجتمعات قدما بصرف النظر عن طبيعة هذا المجتمع أو ذاك ، وبغض البصر عن فلسفته ، أو درجة تكوينه ، أو موقعه الجغرافي ، أو موقفه ازاء هذه الحضارة ان حبا وان كرها ، فالحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث يجدها ، كما لا تنبغي الغفلة عما يجد في عالمنا المعاصر ، ولو ظللنا غافلين عما يبرز الى الدنيا كل يوم في مختلف المجالات ، لعاد ذلك علينا بالضرر ، وعلى مجتمعاتنا ، وعلى أجيالنا القادمة والمائلة ، ان نكون عاجزين ـ والحالة تلك ـ عن توجيه ما يحدث أمام أعيننا توجيها علميا واعيا، لان فاقد الشيء لا يعطيه ، والذي ينكر وجود الشيء لا يمكنه توجيهه ، والنتيجة الحتمية لذلك هي الفوضى، والاختلال واضطراب القيم ، وازدواج الشخصية والنفاق ، وغض الطرف ، وعدم المبالاة ، والاخلال بالمسؤولية(12).

ان عصر اليوم عصر الفكرة المستنيرة ، والبصر الثاقب والحقائق الواضحة ، واستقراء الدقائق ، والايغال في البحث، واستبطان دخائل العلم، والوثوب على أغراضه ، وتنظيم أبوابه وتجميع مسائله، كل مع فصيلته ، واللغة تفعل فعلها في كل اولئك، ولذلك ينبغي أن ننظر اليها على أنها معان وأفكار وحقائق نصوغها في قوالب من الالفاظ ، وليست هي الالفاظ تصب فيها المعاني ، ان خروج اللغة الى مجرد شكليات أو ألفاظ ترص ، أو محسنات يزوق بها الكلام ، أو قوالب تقاس عليها الكلمات والجمل والعبارات، ويصدر بمقتضاها الاحكام ، وانما هو من اللغو اقرب منه الى اللغة ، وابعد ان يكون جانبا ايجابيا نافعا في الحياة ، بل ان ذلك يقضي على اللغة التي نتناقل عبرها حقائق وجودنا ، ومختلف خبراتنا الحياتية ، وذلك هو ما يشل الحياة التي نحياها لانها تؤول الى حال جمود وسطحية ، أو كما يقول المثل «جعجعة ولا أرى طحنا» ، ان اللغة الحقة، وهي نتاج بشري محض ـ هي التي تجعل للمعاني مكانتها القصوى ، ومحلها الاول ، أما الالفاظ المطلية البراقة المصبوبة في قوالب مصطنعة ، فانها لا تحقق مطالب الحياة وأغراضها ، انها كالتمر المكتعل يرش بالماء فيزداد فسادا ، أو كالحديد يحسب لجينا فتبدي النار عن خبثه عند تذويبه ، على حد قول الشاعر :

سبكناه ونحسبه لجينا
فأبدى الكير عن خبث الحديد

ان لغة حالها هذه ، لا تؤدي دورا يذكر في التفاهم وفي بناء العقول ، ونمو التفكير وسعة المعارف ، وانما تحيل الالفاظ نفسها الى نظرات ضبابية غائمة تنقل كافة المرئيات والعلاقات الى الوان أو نجوم غائمة . «لقد كف علماء اللغة في كثير من الثقافات

12 ـ الدوحة ـ 12 يناير 1976 ص 9 .

المعاصرة ، عن معاملة الالفاظ والاصطلاحات ، على انها عناصر مستقلة ، انها علاقات دائمة ، وكل علاقة ينتظمها «نظام». ومن شروط ذلك النظام أن نفهمه، أو على الاقل نسعى لفهمه من خلال انعكاساته على الانظمة الاخرى ، ومن ثم فهو الطريق الى الانتقال من الظواهر المدركة الى ما وراءها . والجهود الضخمة التي يبذلها علماء الانثربولوجيا ، وعلماء التحليل النفسي منذ ثلاثينات هذا القرن توكيد لامل يومض به علم اللغة ، حين يلوح لهؤلاء العلماء بانه من المستطاع الغوص وراء الذات البشرية وموقفها للغة الحديث أو لغة الاساطير»(13).

اللغة تتحرك بقانون الغاية لا السببية ، وهي اذا غلبت بقانون السببية الصرف واخضعت له في قسر غلبت تجمدت لتؤدي في النهاية الى تجميد الاذهان ، وقتل مكامن الابداع في الانسان ، لان «الفهم يأنس من الكلام بالمعروف ، ويسكن الى المالوف ، ويصغي الى الصواب ، ويهرب من المحال ، وينقبض عن الوخم ، ويتأخر عن الجافي الغليظ ، ولا يقبل الكلام المضطرب الا الفهم المضطرب ، والروية الفاسدة... ولا خير في المعاني اذا استكرهت قهرا ، والالفاظ اذا اجترت قسرا ، ولا خير فيما أجيد لفظه اذا سخف معناه ، ولا في غرابة المعنى الا اذا شرف لفظه ، مع وضوح المغزى ، وظهور المقصد»(14).

والتوفيق في اختيار الالفاظ والمعاني ، والحذق في انتقائها حتى تطابق مقتضى الحال ، وحتى تناسب تناسب عقول المخاطبين وافهام القراء هو اكسير اللغة وجوهرها ، واللغة اذا أبعدت عن اليسر والاسماح، انقلبت الى بناء فوقي منقطع ، وانعزلت رأسا فتحدث بذلك الهوة بينها وبين الناس ، وتتضخم لتؤول الى أداة ارغام ، فيعبر المرء عن وطأتها بتأفف مكظوم ، وغيظ مكتوم ، لان «النفس تقبل اللطيف ، وتنبو عن الغليظ ، وتقلق من الجاسي البشع وجميع جوارح البدن وحواسه تسكن الى ما يوافقه ، وتنفر عما يضاده ويخالفه ، والعين تالف الحسن، وتقذى بالقبيح ، والانف يرتاح للطيب ، وينفر للمنتن ، والفم يلتذ بالحلو ، ويمج المر ، والسمع يتشوف للصواب الرائع ، وينزوى عن الجهير الهائل، واليد تنعم باللين ، وتتأذى بالخشن(15). ونحن نلمس وطء اللغة الشديد عندما نريد ان نعبر عن فكرة بلغة لا نعرفها الا قليلا ، خاصة اذا كنا أمام حشد من الناس ، وقد يصيبنا الخجل ، وينتابنا الانكسار، وقد ينعقد في دخائلنا فينعكس ذلك على مظهرنا الفيزيائي ، وقد يشعر الانسان وكأنه في غمرات الموت، وهو يؤدي امتحانا شفويا ، أو حتى كتابيا، أمام ممتحن حين تعوزه اللفظة ، أو تخونه العبارة، لان البلاغة ، كما قال خالد بن صفوان ، ليست اللسان وكثرة الهذيان ، ولكنها باصابة المعنى، والقصد الى الحجة ، قيل لجعفر بن يحيى : « ما البيان؟» فقال : «أن يكون اللفظ محيطا بمعناك ، كاشفا عن مغزاك ، وتخرجه من الشركة ، ولا تستعين عليه بطول الفكرة ، ويكون سالما من التكلف ، بعيدا من سوء الصنعة ، بريئا من التعقيد، غنيا عن التأمل». وان كلام جعفر هذا ينطبق على الادب كما ينطبق على العلم ، بل ان سلبيات اللغة كالتكلف وسوء الصنعة والتعقيد يظهر مدى ثقلها على كثير من النصوص العلمية المكتوبة بالعربية في عصرنا ، ولا سيما المترجم منها ، أو الذي يغلب عليه الطابع الصحفي الاذاعي ، ذلك ــ وبعض الظن اثم ــ ان كثيرا ممن يكتبون مثل هذه النصوص وينشرونها في الناس لا يهمهم من أمرها الا أن ينجزوها أي انجاز ، فيلقون بنظرهم الى المكان الذي ينتهي اليه السباق ، وهو انجاز النص أو ترجمته ، دون ان يقيموا وزنا للطريق الطويل الشاق الذي لابد من قطعه للوصول الى الغاية العلمية التي لا تؤتى أكلها من النص الا بحسن العرض وجمال الاداء . ولذلك يقال «العلم لغة أحسن وضعها». والعلم اذا عبر عنه بلغة سيئة الوضع ، كان كالحصرم يؤكل قليله فتضرس الاسنان ، ولو أن ابن تيمية بعث من قبره فقرأ مثل تلك النصوص لقال فيها ما قاله في كلام ارسطو معلم الفلاسفة: «لحم جمل غث، على رأس جبل وعر ، لا سهل فيرقى ، ولا سمين فيقلى»

---

13 ــ اللغة والحضارة ص 218 .

14 ــ كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر ــ تصنيف أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، ص 63 بتحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد ابي الفضل ابراهيم ــ عيسى البابي الحلبي وشركاه ــ 1971

15 ــ نفسه ص 63 .

ويخطئ من يستجيدون الكلام اذا لم يقفوا على معناه الا بكد ، أو يستصعبونه اذا وجدوا الفاظه كزة غليظة، وجاسية غريبة، ويخطئون أكثر اذا استحقروا الكلام اذا راوه سلسا عذبا ، وسهلا حلوا ، فانهم لا يعلمون ان السهل أمنع جانبا ، وأعز مطلبا، وهو أحسن موقعا ، وأعذب مستمعا .

ان العبرة ، فيما يقدم للناس ، ليست بالالقاب التي يوقع بها اصحابها مقالاتهم او كتبهم ، وليست بالشهادات او السلالم الادارية ، كلا وليست بالصيت البعيد والشهرة الواسعة ، في عرف العلم والعلماء، ان السيف بحده لا بغمده ، بل ان السيوف العورى هي التي تمتدح ، لا تلك التي تصدأ في الاغماد ، لان الاغماد من خشب يتطرق اليه السوس، ولانها تموه بالذهب والفضة ، وتغطيها الحمائل، وقد تستر سيفا كهاما مفلول الظبة، مكسور الشباة يغش حامله ورائيه معا ، فحامله مسلحا كاعزل ، والناظر اليه مخدوع ، فبئس الفريسية 16 يقول طه حسين : «ان عشرة طلبه مثقفين خير عندي من مائة خريج سطحي» :

وفضيلة الديتار يظهر سرها
من حكه لا من ملاحة نقشه

يتبع

محمد حمزة ـ الرباط

---

16 ـ ليالي القندق ، لبولس سلامة ، ص 7 ـ منشورات دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ الطبعة الاولى 1968 ، والظبة ج ظبات وظبى وظبوب واظب وهي حد السيف أو السنان أو نحوهما ، يقول السموأل :

وما مات منا سيد حتف أنفه ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا وليست على غير الظبات تسيل

والشباة بفتح الشين ، جمع شبا وشبوات وهي من الرمح ، وهي من السيف قدر ما يقطع به، يقول أبو تمام في وصف قلم ابن الزيات ، وقد استعار الشباة لأسلة القلم وهي سنة :

لك القلم الاعلى الذي بشباته نصاب من الامر الكلي والمفاصل
لعاب الافاعي القاتلات لعابه واري الجني اشتارته ايد عواسل
له ريقة طل ولكن وقعها بآثاره في الشرق والغرب وابل

والفريسية ، بفتح الفاء وكسر الراء مشددة ، كناية عن الرئاء والتظاهر بالخير دون حقيقة

والفريسيون طائفة من اليهود على أيام المسيح ، كانوا يفضلون ذواتهم على غيرهم لاعتقادهم بأنهم أشد تمسكا من سواهم بناموس موسى فيتظاهرون بالصلاح وباطنهم كان رديا ، فنعتهم المسيح بالقبور المجصصة وكانوا في طليعة مضطهديه .

الإسلام في مواجهة التحديات

للأستاذ توفيق علي وهبة

يقول الله سبحانه وتعالى : يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون . ها أنتم تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله ، واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ ، قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور .

« ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط (سورة آل عمران ايات 120/118) .

لقد صاحب ظهور الدعوة الاسلامية حملات تضليل تشكيك في الرسالة الخاتمة وفي صدق الرسول الاعظم عليه الصلاة والسلام .... وظلت هذه الحملات تتنقل بين الحاقدين على الاسلام من جيل الى جيل حتى عصرنا هذا . فلا يزال الكثير من المبشرين يعملون على هدم الاسلام والتشكيك فيه بشتى الوسائل .

ومما يؤسف له وجود بعض المسلمين ممن يروجون لدعاوى المبشرين وللاسرائيليات التي حوتها بعض كتب التفسير وهؤلاء اشد خطرا على الاسلام من أعدائه ، اذ يتصيد الاعداء اقوالهم ويتسببونها الى الاسلام — والاسلام بريء مما يقولون ؟ ؟

وازدياد هذه الحملات الشرسة ضد الاسلام تنتج عن ابتعاد المسلمين عن دينهم وتقليد غيرهم لقد تركوا ما امرهم الله به ليأخذوا بما وضعه الآخرون وهؤلاء مهما ارتقت مداركهم وعظمت افكارهم فلن تصل بحال من الاحوال الى ما وضعه الله سبحانه وتعالى .... انه اعلم بنفوس عباده ، وقد وضع لها ما يلائمها من النظم التي تكفل للانسان خيري الدنيا والاخرة ولكننا تركنا ما امر الله وراء ظهورنا ، ونظرنا الى ما في يد غيرنا وهو غش لارجاء منه ولا امل فيه .

لقد ازداد النشاط المعادي للاسلام في هذه الايام زيادة كبيرة حتى وصل الامر الى قتل المسلمين في بعض البلاد التي يشكل فيها المسلمون اقلية سكانية ان حملات الابادة التي قامت بها حكومة الفلبين ضد المسلمين لتمحوهم من الوجود لا تزال قائمة ، ولا يزال صداها يدوي في الافاق دون ان يهب المسلمون في كل بقاع العالم لنجدتهم و التدخل بحزم لدى حكومة الفلبين لوقف هذا العدوان الغاشم .... ان ما نشرته جريدة الاهرام القاهرية بتاريخ 4/25 /1973 ليؤلم كل مسلم بل كل انسان يشعر بآدميته ، قالت الاهرام تحت عنوان (ماركوس يعترف بخطورة القتال ضد مسلمي الفلبين) «مانيلا في 24 — وكالات الانباء — تحدث الرئيس الفلبيني فرديناند ماركاس لاول مرة اليوم عن مشكلة المسلمين

فى بلاده فقال ان القتال بين المسلمين وقوات الحكومة اصبح خطرا حقيقا يتهدد الامة وقد وجه الرئيس ماركوس حديثه فى نفس الوقت الذى فيه اذيع فيه تقرير عسكرى رسمى فى العاصمة الفلبينية يقول ان القوات الحكومية الحقت خسائر فادحة بالمسلمين فى اشتباكين وقعا يومى الجمعه والسبت الماضيين فى اقليم كوتاباتو وجزيرة صولوا . .

هذا ما يقوله رئيس دولة الفلبين نفسه والبيان العسكرى الصادر عن حكومتها فهل يحرك المسلمون لمنع ابادة اخوانهم الفلبين .... ان المقصود من هذه الاعتداءات هو القضاء نهائيا على الاسلام فى تلك البلاد .... ليس هناك اى تفسير لذلك الا تفسير واحد هو ان هذه الحركات امتداد لكثير من الحملات المختلفة سواء اكانت فكرية او سياسية او عسكرية للقضاء على الاسلام فهل وعى المسلمون هذا ام لا زالوا فى نومهم يغطون ؟ ؟ ؟

لم تقف الحركات المشبوهة ضد الاسلام عند حد العدوان المسلح بل ظهرت باردة جديدة فى حرب الاسلام وهى منح المنتمين اليه من مزاولة اعمالهم وفصلهم اذا ظلوا متمسكين بدينهم .. والمثال التالى حدث فى اكبر دولة العلم تدعى انها تحمى الحرية وتحمى حقوق الانسان ، وهى فى الحقيقة تعتدى على كل ما هو انسانى وتدمر كل ما هو اخلاقى ... ان الخبر الذى اشير اليه نشر قبل الخبر السابق بعدة ايام فى جريدة الاخبار القاهريه وجاء فيه «اصدرت احد مستشفيات فيلادلفيا قرارا يوقف الممرضة (دولوريس جونز) عن العمل لانها ترتدي (جوب ماكسى) تغطي الركبة ، بعد ان رفضت تنفيذ اوامر السلطات بارتداء زى لا يصل فيه طول الذيل ابعد من بوصتين تحت الركبه قائلة انها تدين بالدين الاسلامى وان تعاليم هذه الديانة تفرض على المؤمنين بها من النساء الا يعرضن (اجزاء) من اجسادهن تثير الرجال ، ورفضت السلطات ذلك وخيرتها بين الاحتفاظ بعملها او تقاليدها الاسلامية فاجابت مسز جونز (انى ارغب فى المحافظة على الاثنين) وتقدمت بشكوى حول هذا الامر الى لجنة العلاقات الانسانية بالمستشفى «أ . هـ .

وهذا الخبر ليس فى حاجة الى تعليق فهو واضح اذ ان السلطات تخيرها بين امرين اما ان تستمر فى عملها وتترك تقاليد دينها وتعاليمه ، واما ان تفصل وتبقى محافظة على دينها فاذا ما اختارت الدين فعليها ان تواجه الحياة وهى مطرودة من عملها وقد تكون فى حاجة الى دخلها من هذا العمل لتقتات منه هى ومن تعول ؟ ؟

ان الحقد الدفين فى قلوب اعداء الاسلام يجعلهم يخرجون علينا كل يوم بأسلوب جديد لمحاربة الاسلام والمسلمين ومحاولة القضاء عليه ، ولكن الله سبحانه وتعالى حافظ هذا الدين الى يوم القيامة كما اخبرنا سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز حيث يقول «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» ...

هذان موقفان غير شريفين من اعداء الاسلام اما ما اعرض له بعد ذلك فهو ما ينقله بعض المسلمين من الاسرائيليات ومن اقوال المستشرقين .

لقد نشرت دار الشعب بالقاهرة كتابا بعنوان (ويسالونك عن ذى القرنين) لمولانا ابو الكلام ازاد وتقديم فضيلة الشيخ احمد حسن الباقورى .

وقع السيد القاضى معدم الكتاب فى زلة خطيرة حيث قال فى ص 74 :

«كان اصحاب رسول الله يستعينون بالتوراة على تبيان مبهم او تفصيل مجمل فى القرآن العظيم» اللهم ان هذا افك وافتراء عظيم على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد يهون القول لو قاله احد المستشرقين والحاقدين على الاسلام ، ولكن الخطب جلل والمصيبة اعظم اذ القائل معدود من كبار رجال الدين فى الاسلام . لذلك قلت انها زلة خطيرة وخطأ فادح ...

ان هذا الافتراء الجرىء على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدحض نفسه بنفسه لانهم رضوان الله عليهم كانوا بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يمت عليه الصلاة والسلام الا بعد ان تمت الرسالة واوضح ما غمض على اصحابه ، فكان عليه السلام يفسر لهم ما خفى عنهم من اسرار القرآن ولو قيل هذا الكلام عن غير الصحابة رضوان الله عليهم او غير المسلمين لجاز لجهلهم بالقرآن ، اما الصحابة فلا يمكن ان يجهلوا ما جاء بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم معهم يبين لهم بالسنة النبوية الشريفة ، ولا ادرى من اين جاء فضيلة الشيخ بهذا القول ؟ ؟ ؟

ان الصحابة رضوان الله عليهم يعلمون ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تصديق او تكذيب ما جاء الذى نزل على موسى او عيسى عليهما السلام ، فكيف بالكتاب المقدس لانه محرف وليس هو الكتاب الحقيقي بهم والحال كذلك سيستعينون بالتوراة على تبيان مبهم او تفصيل مجمل في القرآن العظيم وهم يعلمون انها ليست التوراة الحقيقية .

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع عمر بن الخطاب يسأل عن اشياء في التوراة فنهاه عن ذلك وعنفه .

واعتقد اعتقادا جازما ان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمكن ان يجهلوا تحذيره لعمر بن الخطاب يسأل عن اشياء في التوراة فنهاه عن ذلك التوراه ...

لم تترك النبي صلى الله عليه وسلم كبيرة ولا صغيرة الا اوضحها للمسلمين حتى تمت الرسالة يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز (اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) فكيف تكون الرسالة قد كملت والرسول يوضحها ثم يختارون في تفسير آيات القرآن فيرجعون الى التوراة ...

ان اليهود الذين لم يؤمنوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويغيرون ويبدلون في التوراة التي بين ايديهم فكيف يمكن الرجوع اليها ؟ ؟

لو قال فضيلة الشيخ كان الصحابة يسألون من اسلم من اليهود عما اجمله القرآن لجاز ذلك ، اذ انهم يؤمنون بالله وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم فلن يكذبوا او يقولوا غير الحق .

ان ما يقوله فضيلة الشيخ ليس الا من الاسرائيليات التي ادخلها بعض اليهود الذين دخلوا الى الاسلام صوريا لكي يشككوا فيه ، ويدخلوا اليه ما ليس منه .

ولقد سبق ان رد هذا القول كثير من المستشرقين والحاقدين على الاسلام واستغلوه ضد القرآن وضد الاسلام عموما .

كتب احدهم يقول : (1) ولنا الحق كله بأن نفهم على ضوء التوراة والانجيل ما غض في القرآن من النقاط المشتركة لان القرآن ذاته في جملة اشك من شهادته او من فهمها يحيلنا الى الكتاب المقدس (2)

هل ترا فضيلة الشيخ هذا الافتراء الجريء على كتاب الاسلام الاعظم ؟ انه يطابق ما يقوله فضيلة . . اتفقا في الهدف وهو ان ما غض في القرآن يرجع اليه في التوراة والانجيل — وهل يوجد غموض في القرآن يحتاج الى البحث عن التفسيره في الكتب القديمة المحرفة ؟ ؟ سبحان الله جل جلاله .. انزل القرآن الكريم وجعله مهيمنا على الكتب السماوية السابقة فلم يترك كبيرة ولا صغيرة الا اوردها فيه وبينها بيانا كافيا لاولي العلم فيمكنكم تفسير آياته وبيان مجمله يقول الله سبحانه وتعالى وما فرطنا في الكتاب من شيء ولم يامرنا سبحانه بالرجوع الى الكتب السماوية السابقة بل جمع سبحانه ما جاء فيها جميعا في القرآن الكريم ، فالقرآن كتاب الله سبحانه وتعالى نسخ به الكتب السابقة يقول الله تعالت كلماته ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ويقول «ان الدين عند الله الاسلام» فكيف اذن يرى فضيلة الشيخ الباقوري ان تفسير القرآن يكون بالرجوع الى التوراة ...

ان التوراة الموجودة بين ايدى اليهود ليست توراة موسى عليه السلام لانها تتهم الانبياء وتصفهم بايشع ما يوصف به انسان .. تتهمهم بالزنى وشرب الخمر والقتل الى غير ذلك من والاصاف الذميمة)3(.

والانبياء كما نعلم فوق الشبهات لانهم معصومون فكيف بنا والحال هذه نؤمن بانه يمكن الاعتماد على هذه التوراه والرجوع اليها لتفسير مبهم او تفصيل مجمل في القرآن .

ان هذه جراه على كتاب الله واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب ان يتنزه عنها قلم مثل

(1) بيان الحق للكاتب المسيحي يسى منصور .
(2) راجع سلسلة مقالاتنا بعنوان شبهات حاقدة حول الاسلام — مجلة دعوة الحق المغربية من العدد 6 ذو الحجة 1392 هـ وبها الرد على هذا الكاتب الضال الحاقد.

فضيلة الشيخ الباقوري بل وكل مسلم يشهد بان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله .

ان المسلمين مطالبون اليوم اكثر من اى وقت مضى ان يكونوا على يقظة تامة ووعى كامل بكل ما يدبر ضد دينهم لا ان اعداء الاسلام يكرسون كل جهودهم للقضاء عليه ومحاولة انتزاعه من قلوب ابنائه .

ولكن مهما حاولوا فسيظل الاسلام الى يوم القيامة ، وسيظل المسلمون متمسكين بدينهم مدافعين عنه مهما كلفهم ذلك من نفس ومال .

ادعوا الله سبحانه وتعالى ان يحفظ الاسلام دائما ظاهرا قاهرا وان يكتب النصر للمسلمين وان يمنحنا القوة ويوفقنا بمنه وكرمه الى قول الحق والعمل بما يحبه ويرضاه .

«ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين»

«ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب»

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه باحسان الى يوم الدين .

« ان البلاد الاسلامية » وهي من البلاد التي تجاهد في سبيل النهضة في جميع مجالاتها يفرض عليها وضعها ان تكون اسرع البلاد استجابة لدواعي النهضة وتوفيرها . باعتبار ان دينها يدعو لذلك ، ومجتمعها السابق قد حققه ، ومن الخير ان تسير في هذا الطريق الملهون دينا ودنيا » . الدكتور عبد المنعم النمر « الى الشباب » ص 342 .

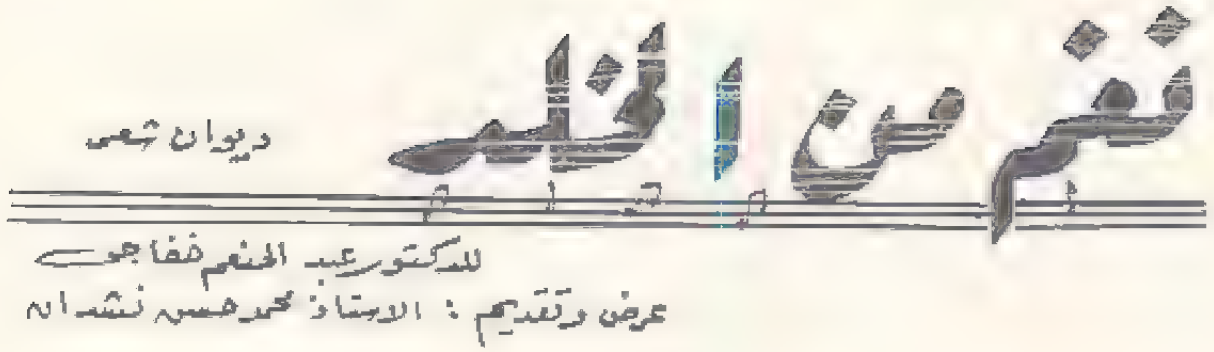

ديوان « نغم من الخلد » هو الديوان الرابع (1) للشاعر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ، أصدرته رابطة الادب الحديث بالقاهرة فى مائتى صفحة وخمس من القطع المتوسط ، يشتمل هذا الديوان على ثنتين وأربعين قصيدة وملحمتين شعريتين أولاهما بعنوان : (ملحمة الشياء) ، وثانيتهما بعنوان : (زاهد يحترق فى النور) .

والشاعر يلتزم فى تلك القصائد جميعها بالوزن والقافية ، ما عدا ملحمتيه السابقتين اللتين نوع فى نغمهما الشعرى على نحو واضح ، وكان هذا التنويع نفسه — فيما اعتقد — سببا فى اطالة النفس الشعرى ، وبخاصة فى هذا اللون من الشعر ، شعر المطولات والملاحم ، الذى يقتضى الطول ، والموضوعية ، والخيال المسرف ، وما الى ذلك ، وكذا قصيدته التى جعل عنوانها : (الوداع الاخير) ، التى يعود تاريخها — على حد تعبير الشاعر نفسه — الى اربعين عاما مضت ، وهى من الشعر المقطوعى ، الذى يتفق فيه الوزن من اول بيت فى القصيدة الى آخر بيت فيها ، مع تغير القافية كل عدة أبيات ، قد تتفق فى العدد من فترة لاخرى ، وقد تختلف ، حسب ما يتطلبه النظم ، وهذا التنوع الواضح فى النغم الشعرى سواء فى ملحمتيه السابقتين ، او فى قصيدته السابقة أيضا ، يذكرنا بصنيع شعراء مدرسة أبولو ، الذين درجوا على تنويع النغم فى القصيدة ، حتى تستوعب شتى الانفعالات والعواطف ، ومختلف التيارات والخواطر ، فالشعر الجيد انما يكون بارتعاشاته ، وهمساته ، وايحاءاته ، وايماءاته ، وما فيه من خلجات الانشدة ، وتبضات القلوب ، ووحى العاطفة ، وتحفز الشعور والوجدان .

وقارىء هذا الديوان يحس بالاسلامية الخالصة ، والايمانية الواضحة تتدفق فى جل قصائده ، وتترقرق بين خمائله ، وبخاصة فى قصائده : (يا عيد) (2) ، و (ميكب علوى) (3) و (انسان القرآن) (4) ، و (انسان الاسم العظيم) (4) و (يا دار حبى) (3) وغيرها .

وعنوان القصيدة الاخيرة يوهم بأن الشاعر انما جعل قصيدته فى بكاء دار احبابه ، والتفجع على مفارقته لها ، ونأيه عنها ، بيد ان القارىء لا تلبث نظرته أن تتغير سريعا كلما تقدم فى القراءة بيتا بعد بيت اذ لم تكن دار حبه سوى أرض مكة المكرمة التى زارها ، ووصل فى فترة اقامته بين أرجائها بين ماضى الاسلام وحاضره ، وبين اسلاميته الثرة ، وايمانيته الفوارة وتلك البقاع الطاهرة ، ومواطن الذكريات الاسلامية العامرة :

الترتيب : وحى العاطفة ، واحلام الشباب ،

---

1) الدواوين الثلاثة التى سبقت هذا الديوان هى على واحلام السراب .
(2) ص 12 (3) ص 16 (4) ص 19 .
3) الديوان ص 24
4) الديوان ص 32 .

يـا أرض مكـة طبت مـن ارض مبـا
ركـة وطـال على الهـوى اسعـادى

فيك المنى ، وبك الرؤى ، ولك الهـوى
يـا ارض مكـة منك كـان سهادى

ما ذقت يـا ارض الهوى طعم الهوى
ابـدا بغيـرك يـا منـى آمـادى

انـت التـى اسعدتنـى أنـت التـى
بهواك ، كـل هواك كـان جهـادى

فى الكعبـة الشمـاء ، والحرم الاميـ
ـن ، وزمزم ، والحجر كان رقـادى

والى الصفـا والمـروة البيضاء والـ
ـحجـر الاسـم حججت فى اعيـادى

والركـن يبسـم ، والمقـام منـور
والحشـد والحجـاج كالابـاد

ان كان يحسدنـى الحسود فقد تصـا
عـف فى هـوى دار الهوى حسادى

ودعتهـا وبقلبـى المكلـوم نـا
ركـا للظـى شـت بـلا ايقـاد

هذه العاطفة الحارة ، التى يحسها القارىء ، وهى تتدفق فى ابيات القصيدة يستعين الشاعر فى سبيل ابرازها بذلك الاسلوب الفوار المتدفق فى غير انقطاع

حين يقول — على سبيل المثال — :

فيك المنى ، وبك الرؤى ، ولك الهوى . .
أنـت التـى اسعدتنى ، انت التـى
بهواك ، كـل هواك كـان جهـادى

ثم بذلك الحشد الهائل من الكلمات التى تجسم اروع ما على ارض الحرم المبارك من مشاهد ومزارات، لها قداستها ومنزلتها فى نفوس المسلمين ، كل المسلمين من مثل : (الكعبة الشماء) (الحرم الامين) (زمـزم) (الحجر) (الصفـا والمـروة) (الركـن) (المقـام) (البيت الحرام) ، وهو حين يذكرها انما يجد فى هذا الذكر لذاذة نفسه ، ومنى خاطره ، فقلبه ينبض بحبها ، ولسانه يترجم عن جليل قدرها ، وعواطفه مشدودة دوما اليها ، حتى انـه ليتمنى أن يقضى بين افيائها البقية الباقيه من عمره :

يـا ليـت أيامـى هنـاك وليتنـى
فى ارض احـلامـى ودار تـلادى

وما ذلك الا لانهـا — على حـد قول الشاعـر نفسـه — :

كـل السنـا من نورها ، كـل المنى
فى قربهـا ، كـل الهـوى بفـؤادى

ثم نراه فى نهاية القصيدة يشتعل قلبه حماسة ، وتضج روحه وفاء لرسول الاسلام العظيـم ، حـين يقـول :

قـدس من الاقداس فى دار الهـدى
نعمت بـه روحـى وطـاب فـؤادى

وشريعـة مـن أحمـد ، ومحمـد
صلـى عليـه اللـه فـى الآبـاد

صلـى عليـه اللـه فـى الآحـاد
صلـى عليـه اللـه فى الاشهـاد

صلـى عليـه اللـه أكـرم مرسـل
سمـت الحيـاة بـه وعـز الـوادى

والشاعر فى جل قصائد الديوان يمزج بين الروح الدينية ، والروح الوطنية او القومية ، وهو فى ربطه بين كلا الاتجاهين ، ومزجه بين هذين الغرضين لا يتورط فى عيب يزرى بشعره ، او يغض من شانه ، او ينزل بقيمته ، فلا فجوات ظاهرة ، ولا انقطاع فجائى فى روحه الشاعرة ، بل اتصال والتحام ، وتواؤم واتزان ، ففى قصيدته : (انسان القرآن) المتشحة بثوب رائع من الشفافية الدينية ، والمتزرة بغلالة رقيقة من الايمانيـة القويـة يقـول :

يـا ليلـة البعث الجديـد تحدثـى
عـن كـل ماض فى العلالـم يهـزم

طويـت صحائفـه ، وغاب صباحـه
ومضـت مفـاخـره بطـول تنـدم

وتحدثـى يـا ليلتـى عـن حاضـر
بالهـون ، بالالـم المضاعـف منعـم

والمسجـد الاقصى هنـاك وقدسنـا
باثـا بمآدبـة اللئـام اللـوم

ونقيم نحن على الشجا وكأنما
نحيا ونحن بأرضنا بجهنم

لا لن ننام عن النضال عن الكفاح
عن التراث وكل فخر المسلم

ولسوف نشعلها لظى ماججا
ونقول للبطل المدجج : اقدم

ونقول : كل التضحيات رخيصة
ان مات منا الف الف مقدم

قومي الالى استولوا على الدهر فى
ومشوا الى الامال فوق الانجم

وبامكاننا أن نعثر على انماط أخرى من هذا الصنيع الفذ فى قصائده : (الى عرفات) (1) و (امم تطوى) (5) وغيرهما .

بل ان هذا الصنيع نفسه يتعدى قصائده المطبوعة بطابع الدين ، أو التى تظهر عليها مسحة من التصوف الى قصائده الراثية الباكية ، التى لا يرثى فيها صديقا عزيزا ولى ، ولا يبكى فيها خلا وفيا ودع الدنيا ، وانما يبكى فيها جده وحظه ، ويندب يومه وأمسه ، ويرثى نهاره وليله ، ففى قصيدته : (سراب) (6) التى تكتنفها روح عالية من الرومانطيقية المحلقة المبدعة يقول :

وى لامسى ، ولايامى وى
وللونى ونهارى العبقرى

المنى كل المنى قد ذهبت
وتلاشت بددا من راحتى

وبقايا الحلم كانت بيدى
اين ما كان قريبا بيدى

اين امس الصفو ؟ ولى ومضى
ثم ابقى لى الاسى فى وجنتى

والرؤى اضحت خيالا ودجى
بعدما كانت سنى فى ناظرى

وسراب كاذب يخدعنى
كلما سمرت ويغشى ناظرى

تجربة وجدانية لا احسبها الا صادقة . تجربة حية نابضة ، عاشت فى نفس الشاعر ، وغشيت روحه ، واستقرت فى وجدانه ، وطغت على احاسيسه ومشاعره ، وفجاة طفت على تيار شاعريته ، بعد أن سبحت طويلا فى اعماقه المثخنة بالجراح ، والالام ، فكانت تلك الابيات وغيرها ترجمة صادقة عنها ، وبيانا واعيا لكل ما يكتنفها ، ويجلل جوانبها من شعور صادق ، واحساس فياض ، بيد انه وهو فى قمة الانفعال الكاتى ، والاسى الشاجن ، يعود الى ماضى امته ، امة الاسلام العريقة فيعدد صورا من امجادها الذاوية ، وآمالها المحطومة ، واحلامها المضيعة ، ثم يرسل اناته الخالصة ، وتوجعاته الالمة حين قال :

يا لماضى امتى اين مضى
اين ولى ذلك الماضى الزكى ؟

ويفيق الشاعر على حقيقة هذا العصر ، الذى ضيع اهله كتاب الله ، وهى حقيقة مرة بلا شك . لذا اخذت ابيات القصيدة تنساب من جديد فى بحر الاسى القاتم ، والشجن الغائم ، والحزن العميم ، الذى سبحت فيه ابياته طويلا فى تلك القصيدة المبدعة ، فكانت الاجابة على السؤال الذى طرحه آنفا :

حطمته امتى حين رمت
بكتاب الله ، بالنور السنى

وفى قمة اليأس الذى سيطر على روحه من كل اصلاح تنتظره الامة يعود الى الشاعر الامل من جديد ، ويبعث بخاطره وفكره ذلك النور اللائح من بعيد ، فى غضون المستقبل الزاهر ، الذى تنتظره امة الاسلام التى لا تقهر ولا تذل ، ولا تهان ولا تضام :

امتى لا تيأسى ، لا تيأسى
معك العزة من وحى نبى

ومع اليوم غد يصنعه الـ
ـله بالدين ، وبالهدى السوى

---

5) الديوان ص 83
6) الديوان ص 91 .
6) الديوان ص 95 .

الى ان قال :

كانت الدنيا لنا بالامس والـ
يوم هنا ، وغدا يأتي الندى

وتطفي الروح الوطنية التي خصها بعدة قصائد من بينها : (وطن الخلد) (1) و (انتصار الشعب) (2) و (شهيد العروبة) (3) و (هي الاحلام) (4) و (الى الشباب) (5) وغيرها، تطغى هذه الروح على باقي قصائد الديوان على نحو واضح أكيد .

وقارىء الديوان يدرك ان ولاء الشاعر الوطني ليس بمقصور على وطنه مصر ، ولا على الوطن العربي الكبير فقط ، بل ان هذا الولاء يمتد ليشمل العالم الاسلامي بأسره ، وهي مسألة على جانب كبير من الاهمية ، لان هذا الاتجاه الحميد منه يسلكه في عداد العلماء الذين وسعوا بقلوبهم مشاكل العالم الاسلامي الكبير ، وشغلوا اذهانهم به فترة طويلة من الزمن ، ثم راحوا يترجمون عن هذه المعاني وغيرها في قصائد تفيض ولاء وحبا ، ورحمة وعطفا على هذا الوطن الكبير .

والديوان — بحق — يتحول في الجانب الكبير منه الى سجل حافل بالمكرمات ، والذكريات الاسلامية الخالدة ، والنماذج الوطنية الفارهة ، التي ترفد الشاعر فيها ثقافة عالية متنوعة الروافد ، ولا غرو فالدكتور الشاعر ، او الشاعر الدكتور مكتبة ضخمة عامرة متنقلة ، وهو تعبير اسمح به لنفسي في هذا المقام ، يشهد على ذلك اعماله التي تراوحت بين التأليف ، والشرح ، والتحقيق ، والاشراف على العديد من الرسائل الجامعية ، وغير ذلك من الجهود العلمية المشرفة (6) .

اقرأ له — مثلا — قصيدة (يا عيد) (7) أو قصيدته (صوت التاريخ) (8) أو غيرهما من القصائد من امثال : (دارها الشمس) (9) و (أم تطوى) (10) لتحس بأن الشاعر قد تحول فيها جميعا الى موسوعة ضخمة ، ترفد القارىء بمدد لا ينقطع من الامجاد الاسلامية والعربية المطوية في سجل الزمن ، والمكفورة في تربة الايام .

والشاعر — فوق هذا — يحسن استعمال الصورة في شعره ، ففي قصيدته (الحلم الكبير) يترجم عن اسمى معاني الوفاء والحب للبلد الحرام ، مكة أم القرى ، بعد أن شارفت رحلته اليها على نهايتها حين قال :

ولمحت أترابي وعدت بعبرتي
والدمع والاحزان تملأ رحلنا

وتطرت والنور المشعشع رائدي
ويغيب حينا ثم يبدو خلفنا

وتسير بي سيارة مذعورة
مثلي أكفكف بالتعثل شجونا

تعسا لها ، وكأن صوت زئيرها
نعب الغراب الشؤم أو تعسا لنا

وتصدني قمم الجبال ، وانثني
بيدي على كبدي ، وامسح جرحنا

واقول : يا للدهر فرق بيننا
وغدت ليالي الوصل تندب حظنا

وأنا الجريح وعانت الايام تقـ
طع بالفراق وبالتشتت شملنا

واطل والدمع الهتون وصورة
الماضي الجميل ، وآه من هذا الضنا (11)

---

7) الديوان ص 7
8) ص 109 .
9) ص 111 .
10) ص 140 .
11) انظر في ذلك ص 155 الى ص 186 من الديوان .
12) ص 12 .
13) ص 67 .
14) ص 79 .
15) ص 91 .
16) الديوان ص 78 .

هذه الصورة الكاملة يحشد لها الشاعر جملة من الصور الجزئية ومن الالفاظ ما يعين على اعطاء الصورة حجمها الطبعي ، وابعادها الحقيقية ، التي ارادها الشاعر لها من امثال : (عبرة) (دمع) (الاحزان) (مذعورة) (اكتنفه شجونا) (تعسا لها) (نعب الغراب) (الشؤم) (اصبح جرحنا) (فرق بيننا) (الدمع الهتون) .. الخ .

ثم يوازن بين تلك السيارة المذعورة وبين نفسه التي نكأها الدهر بالفراق مخلفا للشاعر دموعا هتانة ، وجراحا غائرة في صميم قلبه ، ويرحل الشاعر في اغوار نفسه ، سالكا دروبها المبهمة ، يلتمس لهذه السيارة شبيها فلم يجد لها من شبيه سوى الغراب ، عزيزها تعيبه ، وشأنها في الشؤم شأنه ، وقد كانت هذه المقابلة بين السيارة ونفسية الشاعر ، ثم بينها وبين الغراب وليدة احساس صادق ، وعاطفة قوية جياشة وانفعال واضح اكيد ، بكل ما كان يحس به الشاعر من مرارة الرحيل والم الوداع .

ويغرق الشاعر في احزانه واشجانه في بعض قصائد الديوان ، ويترجم عما يلاقيه من معاناة صحيحة ، نابعة عن مجاهدته للحياة ، او عن مجاهدة الحياة له ، ذلك لانه اذا كان للحياة وجه مشرق ، فلها ألف وجه عابس كريه ، وهنا يكون الانفعال ، وتثير قوة العاطفة في نفس الشاعر ، الذي ابلى بلاء حسنا في مجالدة الزمن ، وتحدي رياح العدم ، معركة دائمة متصلة انطبع اثرها على لوح القافية ثم عبر عنها على نحو واضح دقيق ، سابح في اجواء خالصة من الرومانطيقية المحلقة المبدعة ، حتى ان بسماته لتتحول الى عبرات لقصر اعماته ، وتبز وجدانه وخافقه :

بسماتي عبرات عصرت
كل اعماقي وهزت خافقي

وان الغيد لينفرن منه ، وقد رأين الشيب يغشى هامته ، ولكنها يرى نفسه غريبا في دنيا المعاني والغواني والمنى ، حتى الطيف يجتويه اجتواء المال ، ويهجره في غير وصال ، نطالع هذه المعاني وغيرها من قوله :

نظر الغيد لراى الشيب في
هامتي في لمتي وعارضي

ما امر البين كم اشقى به
بالزمان الغادر الحر الشقي

يا اخلاء شبابي والصبا
انا بعد الوصل بالنأي تعس

المغاني والغواني والمنى
انا منهن غريب اجنبي

واجتوائي الطيف حتى الطيف يهـ
ـجرني كالمال يا لي من شجي !(1)

صورة رائية باكية حزينة ، وواقع اليم مر ، لا يقل عنها في صداها القابض ، ووقعها الآلم ، ونبضها الأسى قصيدته : (أين الصدى) التي يقول فيها :

كل احلامك عادت سدى
لا تقل لي : اين الصدى ؟

ذهبت كل المنى بددا
ومضى اليوم كرهت الغدا

وتستمر الابيات على هذا النمط الشاجن الساهم الراثي الحزين حتى انه ليتمنى ان يكون جمادا ، او زبدا على امواج اليم ، او موعدا حلوا على فم العذارى ، او بليلا غردا على الدوح ، او قطرات حلوة من الندى تترقرق في رعشة عذرية على الزهر في وقت السحر ، ثم يقول :

لا تقل لي لم هذا انا
لي من امس قد نفضت اليدا

وكأني آه في تمتم
وعلى الباب قد وصدا

يا اخي تلك الشجون تعيـ
ـش وتحيا بيننا ابدا

قد تحداني الزمان وما
يصنع العاجز طول المدى ؟

وفجاة يعاوده الامل ، الذي كان قد افتقده — على ما يبدو — في زحام الايام والليالي ، فتنفرج اسارير وجهه ، وتفتر من مقلتيه دمعة فرحة نشوى ، ويزايله العبوس فيقول :

ربما تأتي الليالي بما
يبهر الحالم به الامدا

ليس في الدنيا محال وما
يعجز الساعة قد يأتي الغدا

هكذا يطوف بنا الشاعر فى آفاق نفسه الفسيحة، ويسرب بنا فى اغوارها المبهمة ، ويسلك دروبها الملتوية ويضرب على كل الاوتار الحزينة الآسية ، ويطوف باذهاننا صورا شتى من الهموم التتال ، والمآسى العظام ، ثم يفجؤنا فى النهاية بتلك النبرة الآملة ، والهمسة الواعدة فخفف عنا كثيرا من وقع الهموم ، وازال عنا ركاما هائلا من الاحزان .

ويلفت نظرنا فى الديوان تلك الكثرة الكاثرة من القصائد التى كانت بمثابة الرسائل . او الهدايا الثمينة الغالية يزجيها الشاعر الى اصدقائه وخلانه فى مصر وفى غيرها من بلاد العروبة والاسلام، وهى وان اتسمت بطابع شخصى ، لانها فى الحقيقة قطعة من حياة الشاعر ، ونبضة من نبضاته ، الا انها لم تخل من لمسة شاعرة فى الاغلب الاعم ، ففى قصيدته : (بقايا حلم) (18) التى اهداها الى الاديب السعودى الكبير عبد العزيز الرفاعى نطالع له هذه الابيات التى توجت بها القصيدة :

امسيات الخميس طبت وطابت
فى الليالى لسلاتك الخالدات

وكأن الشتاء منك ربيع
والربيع الزهور والبسمات

أنا لى فيك ساعة من صفاء
يعذب السعى بعدها والسبات

واتول الغداة : لاقدم الصـ
ـيف ، ولا جاء تائه ليلات

انقل الخطوة فيه على الشو
ك وشمل الاحباب فيه شتات

وغدى آه كله لفرح صوف
فاتنى الحب والاحباء فاتوا

وستبقى لهم على الدهر ذكرى
اين منها الافراح والذكريات ؟

الى أن قال :

ايها القلب يا فؤادى المعنى
حسبك الشجو المر والعبرات

وجفاء الاحباب والقيل والقا
ل وعذال فى الهوى ووشاة

فعلى ايام الوصال صلاة
وعلى أيام الهوى الرحمات

هى فى قلبى سلوة وحنين
وهى فى سمعى اللحن والنغمات

وهذا الوفاء الذى يتغلغل فى مسارب تلك الابيات، ويملأ اقطارها الفسيحة يجعلنا نشد على يد الشاعر ، طالبين منه المزيد من القصائد والاشعار التى نرجو لها ان تتحول الى رافد جديد يصب فى نهر العربية الخالد ، فيزداد بذلك خيرها وعطاؤها فى المستقبل الواعد القريب .

---

17) الديوان ص 95 .

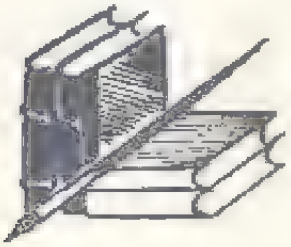

● قصة قصيرة :

طريقة بليسنجتون

بقلم : ستانلي ايلسين

ترجمة : الأستاذ أحمد عبد السلام البقالي

كان (تريدويل) رجلا صغير الحجم ، محبوبا ، يعمل مع شركة موسرة بمدينة نيويورك . وكان منصبه يخوله مكتبا له وحده . وفي يوم من ايام يوليو دخل عليه زائر فارع القامة ، ممتلىء البنية ، حسن الهندام ، وردي البشرة ، تشع عيناه الصغيرتان بالمرح من الخلف نظارته السميكة ذات الاطار القرني .

وبعد ان وضع الزائر حقيبة يده السميكة ، مد يده فصافح (تريدويل) بقوة حتى كاد يسحق يده وقال :

ـ اسمي (بروس) .. وامثل جمعية علم الشيخوخة وقد جئت لاساعدكم على حل مشكلتكم ياسيد (تريدويل) .

فتنهد تريدويل وقال :

ـ بما انك غريب عني كل الغرابة ياصاحبي ، وبما انني لم اسمع قط بهذه الشركة التي تزعم تمثيلها ، وفوق كل هذا ، بما انني ليس لي اي مشكل يمكن ان يتعلق بك ، يؤسفني ان اقول لك انني لست في حاجة الى بضاعتك . والآن لو سمحت .

فرد بروس :

ـ اسمح ؟ بالطبع لا اسمح . فجمعية علم الشيخوخة لاتحاول بيع اي شيء لاي انسان ياسيد تريدويل واهدافها خيرية محضة . فهي تبحث تواريخ بعض الحالات ، وتعد التقارير ، وتعمل من اجل الوصول الى حل احد الاوضاع المأساوية في مجتمعنا الحديث .

ـ والتي هي ؟

ـ كان يسعى ان تعهم ذلك من اسم المنظمة فعلم الشيخوخة يدرس مشاكل كبر السن وكل ما يتعلق بها . وارجو الا تخلطه مع مرض الشيخوخة فعلم الشيخوخة يبحث في الشيخوخة نفسها كمشكل .

فقال (تريدويل) متصبرا :

ـ سأتذكر ذلك . ومادمت هنا فاني سأتبرع للمنظمة بمبلغ صغير .. هل تكفي خمسة دولارات ؟

ـ لا ، لاياسيد تريدويل .. لن آخذ منك فلسا ولا سنتيما احمر .. انا افهم جيدا ان هذه هي الطريقة التقليدية للتخلص من المنظمات الخيرية المتعددة ، ولكن جمعية علم الشيخوخة تعمل بطريقة مختلفة تماما . فهدفنا ان نساعدك على حل مشكلتك اولا . وحينئذ فقط نشعربان لنا حق مطالبتك بشيء .

فقال تريدويل منشرحا :

ـ حسن جدا .. اتفقنا اذن . فانا ليس لي مشكل ، واظنكم لاتاخذون التبرع الا اذا اعدت النظر .

فقال بروس بصوت به الم :

ـ انا اعيد النظر ؟ انت الذي يجب ان تعيد النظر . فمن اكثر الحالات اثارة للشفقة والتي كان على الجمعية ان تعالجها حالات اشخاص رفضوا الاعتراف بالمشكل لمدة طويلة وقد اشتغلت بحالتك شهورا متعددة . ولم يخطر ببالي ان اصنفك من بين اولائك .

وتنهد تريدويل بعمق وقال :

ـ هل تسمح ان تخبرني بماذا تعني بكلامك الفارغ حول استغلالك بحالتي ؟ فانا لم اكن ابدا حالة بالنسبة لاية جمعية او منظمة كيفما كان نوعها .

وفي لحظة فتح بروس حقيبته واخرج منها رزمة اوراق ، وقال :

ـ اذا صبرت معي قليلا فسوف الخص لك هذه التقارير . انت في السابعة والاربعين من العمر ، وفي صحة ممتازة . ولك دارا بشرق (سكوتسبت ـ مونغ ايلاند ماتزال عليها اقساط تسع سنوات . وتملك كذلك سيارة جديدة ماتزال مدينا لبائعها بثمانية عشر قسطا شهريا وبما ان اجرتك ممتازة فانت تعيش في يسر . هل انا على حق ؟

فقال تريدويل :

ـ تماما مثل وكالة الديون التي اعطتك ذلك التقرير !

واختار بروس ان يتجاوز عن ذلك ؛ فقال :

ـ سندخل الآن في صلب الموضوع . انت متزوج مدة ثلاث وعشرين سنة وسعيد في زواجك . ولك ابنة تزوجت في السنة الماضية ، وهي تعيش مع زوجها الان في شيكاغو . وعند مغادرتها دارك ، جاء حموك الارمل ، العكر المزاج نوعا ليقيم معكما انت وزوجتك وابنته .

وانخفض صوت بروس فزاد تاثيره وهو يقول :

ـ حموك يبلغ من العمر اثنين وسبعين سنة ، وبصرف النظر عن التهاب كيسي خفيف في كتفه الايمن فهو يفتخر بصحة ممتازة بالنسبة لسنه . وقد ذكر في عدة مناسبات انه يامل ان يعيش مدة عشرين سنة اخرى . وحسب الاحصائيات التي تحتوي عليها ملفات جمعيتنا فان فرصه في ادراك ذلك السن جيدة للغاية . والآن ، هل تفهم ياسيد تريدويل ؟

ولم يات الجواب الا بعد مدة طويلة .. فقال تريدويل اخيرا بصوت هامس :

ـ نعم .. الآن افهم .

فقال بروس متلطفا :

ـ حسنا .. حسنا جدا .. الخطوة الاولى هي اصعب الخطوات .. الاعتراف بان هناك مشكلة تحوم فوقك كغيمة داكنة في كل يوم يمر . وليس هناك حاجة لنسال لماذا نجتهد في اخفائها حتى عن انفسنا فانت تتمنى لو وفرت على زوجتك شقاءك ، اليس كذلك .

فحرك تريدويل راسه موافقا فساله بروس :

ـ هل سيريحك لو قلت لك ان مسز تريدويل تقاسمك نفس الاحساس ؟ وانها كذلك تشعر بان وجود والدها في بيتها يشكل عبئا يثقل كل يوم .

فرد تريدويل :

ـ لايمكن .. فهي التي ارادته ان يعيش معنا من البداية ، بعد ان تزوجت ابنتنا (سليفيا) وبقيت غرفتها فارغة . وذكرتني بالخدمات التي قدمها لنا في بداية حياتنا الزوجية ، وبانه سهل المعاشرة قليل المصاريف .. كانت هي التي اقنعتني بالفكرة ولا اصدق انها لم تكن تعني ذلك .

ـ طبعا كانت تعني ما تقول : فقد كانت تعرف جميع العواطف التقليدية عن اب عجوز يعيش وحده في مكان ما ، وجاءت بجميع البراهين التقليدية نيابة عنه وكانت صادقة في كل لحظة . وقد قادتك الى الفخ الذي يقع فيه كل من ينغمس في التفكير العاطفي التافه . حقا ، فانا احيانا اميل الى الاعتقاد بان حواء اكلت التفاحة لاسعاد الحية فقط .

وحرك راسه ، فقال تريدويل :

ـ مسكينة كارول ... لو انني فقط عرفت انها كانت تحس بنفس الشقاء الذي احس به .

فسال بروس :

ـ نعم ؟ وماذا كنت ستفعل ؟

فغضب تريدويل جبينه وقال :

ـ لاادري .. ولكن لابد كان يمكن التفكير في شيء لو فكرنا فيه معا .

فسال بروس :

ـ ماذا ؟ تخرج الرجل من الدار ؟

ـ لا ... لا اعني ذلك بالضبط .

فالح بروس :

ـ ماذا اذن ؟ ترسلونه الى ملجأ ؟ فهناك بعض المؤسسات الفاخرة جدا لهذا الغرض . وسيكون عليكما ان تفكرا في احداها اذ لايمكن اعتباره حالة احسانية ، ولا اتصور انه سيرحب بفكرة الذهاب الى ملجا خيري عمومي .

فقال تريدويل :

ـ ومن يرضى بذلك ؟ اما عن مصاريف المؤسسات الفاخرة ، فقد بحثت في ذلك مرة ولكن حين عرفت

الاثمان ادركت انها فوق طاقتنا فهي تتطلب ثروة طائلة .

فاقترح بروس :

ـ لعله من الاحسن ان يعطي شقة مستقلة ، رخيصة مع احد يدير شؤونه .

ـ في الواقع انه رجل من شقة واتى ليعيش معنا اما عن مسالة احد يدير شؤونه فليست لك فكرة عما يكلف ذلك . هذا لو استطعنا العثور على من يناسبه.

فقال بروس ، وهو يضرب المكتب بقبضته :

ـ صحيح. صحيح كل ماقلته ياسيد تريدويل . فنظر تريدويل اليه بغضب سائلا :

ـ ماذا تعني بصحيح ؟ كنت اعتقد انك تريد مساعدتي على هذه المشكلة ولكنك لم تات باي حل حتى الآن . وفوق ذلك تتكلم وكاننا في طريق الخلاص.

ـ وهو كذلك .. فرغم انك لا تشعر بتقدمنا ، فنحن قد قطعنا المرحلة الثانية نحو الحل . الخطوة الاولى كانت الاعتراف بان هناك مشكلا ، والثانية هي ادراكك انه لايبدو ان هناك حلا منطقيا او عمليا للمشكل كيفما نظرت اليه . وهكذا فانت لست تشاهد فقط طريقة بليسنجتون الرائعةالتي تضع الحل الواحيد الممكن بين يديك في النهاية فقط بل انك تشارك في تسييرها .

وتساءل تريدويل :

ـ طريقة بليسنجتون ؟

فقال بروس معتذرا :

ـ سامحني فقد استعملت في غمرة حماسي مصطلحا لم يصبح بعد مبتدعا علميا متداولا ولابد ان اشرحه لك (فطريقة بليسنجتون) هي الاصطلاح الذي يستعمله زملائي في جمعية علم الشيخوخة . وقد سميناها كذلك تقديرا للسيد بليسنجتون مؤسس الجمعية ، واحد كبار رجال عصرنا هذا . فهو لم يحقق الشهرة اللائقة به بعد ، ولكنه لابد فاعل وسوف ترى ، ففي يوم ماسيصبح اسمه اشهر من اسم (مالتوس) العالم السكاني .

فقال تريدويل :

ـ غريب انا لم اسمع به قط . وفي العادة اتابع كل ما يصدر بالجرائد . واضاف وهو ينظر الى بروس مضيقا عينيه :

ـ وشيء آخر ،انك لم توضح لي كيف تم وضع اسمي في لائحة حالاتكم ، وكيف استطعت الحصول على كل تلك المعلومات عني ؟

فضحك بروس بمرح قائلا :

ـ يبدو الامر غامضا حين نعبر عنه بذلك الاسلوب اليس كذلك ؟ في الحقيقة ليس في الامر غموض على الاطلاق . فالجمعية لها مئات المستطلعين يجوبون خلال ارضنا العظيمة هذه من الشاطيء ، الى الشاطيء وان كان الجمهور على العموم لايعرف ذلك . فقواتين الجمعية تحظر على اي موظف ان يكشف عن هويته كمخبر محترف اذ يفقد التاثير في الحال . وعملاء المخبرون لايبدأون باحد على انه موضوع عملهم فاهتماهم ينحصر في اي شخص متقدم في السن يرغب في الحديث عن نفسه وسيدهشك ان تعرف مبلغ ثرثرة اغلب العجزة عن اخص شؤونهم ؛ هذا طبعا اذا كانوا بين غرباء ونحن نتصرف على هؤلاء الشيوخ بطريقة مفوية في الحدائق العامة ، والصالونات والمكتبات اي في اي مكان يوحي بالراحه والحديث فياتي المخبر ويكسب مودتهم ويشجعهم على الكلام عن حياتهم وخاصة عن افراد عائلتهم الاصغر سنا ، والذين يعتمدون عليهم .

فقال تريدويل باهتمام متزايد :

ـ تعني افراد العائلة الذين يعولونهم

فقال بروس مسترضا :

ـ كلا .. كلا لقد وقعت في الخطا الشائع يخلطك بين الاعتماد والتمويل ؛ طبعا في كثير من الاحيان هناك اعتماد مادي .. ولكن ذلك جزء بسيط من الصورة . ما العامل المهم فهو ان هناك دائما اعتماد عاطفيا . حتى حيث تفصل مسافة بين الشخص الكبير السن والشاب فالاعتماد العاطفي دائما موجود . فهو مثل تيار يجري بينهما . فالشاب بمجرد ادراكه لوجود الرجل الكبير السن يحس بعبء الشعور والغضب . وقد كانت تجربة السيد بليسنجتون الشخصية ، في مواجهته لهذا المعضل الماساوي حافزا لبدء هذا العمل العظيم .

فقال تريدويل :

ـتعني انه حتى ولو لم يكن الشخص الكبير السن عائشا معنا ، سيكون الامر بهذه الشناعة بالنسبة لكارول ولي ؟

فقال بروس :

ـ يبدو انك تشك في ذلك . قل لي اذن ، ما هو سبب تضايقك الآن ؟

ففكر تريدويل قليلا ثم اجاب :

ـ اعتقد انه راجع لوجود شخص ثالث معنا طول الوقت .. فبعد مدة من الزمن يصبح ذلك مصدر اثاره للاعصاب .

فلاحظ بروس قائلا :

ـ ولكن ابنتك عاشت معكما كشخص ثالث اكثر من عشرين سنة ، الا انك لم تشعر بنفس الشعور نحوها .

فقال تريدويل محتجا :

ـ ولكن ذلك يختلف .. الطفل متعة فانت معه وتراه ينمو ويترعرع .

فقاطعه بروس :

ـ قف ثم بالضبط ! الآن اصبت الهدف .. فطيلة السنوات التي عاشتها طفلتك معكما كنتما تنعمان بالنظر اليها وهي تنمو وتتفتح مثل نبات رائع لتصبح مخلوقا بالغا .. ولكن الرجل المسن في بيتكم الآن لا يمكن الا ان يذبل ويضعف ، ومشاهدة ذلك تلغي طبعا حزينا على حياتكما اليس كذلك ؟

فاجاب تريدويل :

ـ اعتقد ذلك .

فقال بروس

ـ وفي تلك الحالة ، هل تعتقد انه سيكون هناك فرق لو عاش في مكان آخر ؟ هل ستكون اقل شعورا بذبوله وانهياره ، وهو ينتظر نحوك من بعيد.

فاجاب تريدويل

ـ طبعا لا .. فزوجتي كارول ربما لن تنام نصف الليل من القلق عليه وسيبقى في بالي طول الوقت بسببها ، فذلك طبيعي ، اليس كذلك ؟

فقال بروس :

ـ حقا .. بكل تاكيد . ويسرني ان اقول لك ان تعرفك على تلك الحقيقة هو تمام الخطوة الثالثة من طريقة (بليسنجون) . فانت الآن تدرك ان المشكلة ليست في حضور الشخص المسن ، ولكن في وجوده .

فزم تريدويل شفتيه قائلا :

ـ لايعجبني وقع كلامك هكذا .

فسأل بروس :

ـ لماذا ؟ انه فقط تقرير للواقع ، اليس كذلك ؟

فقال تريدويل :

ـ ربما ، ولكن في باطنه شيء يترك في الفم طعما رديئا . فهو كما لو قلت ان الوسيلة الوحيدة لحل مشكلتي انا وكارول هي موت الرجل .

فقال بروس متاثرا :

ـ نعم .. فهو كما لو قلت ذلك .

فقال تريدويل :

ـ اذن لايعجبني .. اطلاقا . فالتفكير في ان يرغب الواحد في موت شخص ما يجعله يحس بانه انسان شرير . وحسب ما اعلم فذلك لم يقتل بعد احد ابدا .

فابتسم بروس وقال يلطف :

ـ صحيح ؟

وتامل الرجلان بعضهما في صمت . ثم سحب تريدويل منديلا من جيبه باصابع هادئة ولمس به جبينه ، وقال :

ـ انت اما مجنون او لاعب مقالب . وعلى كل حال فانا اريدك ان تخرج من هنا . وقد اعذر من انذر .

فقال بروس بوجه كله عطف واهتمام :

ـ سيد تريدويل ، الا تدرك انك كنت قاب قوسين من الخطوة الرابعة ؟ الا ترى كم كنت قريبا من حل مشكلتك ؟

فاشار تريدويل للباب قائلا :

ـ اخرج ، قبل ان ادعو الشرطة .

فتغير التعبير على وجه بروس من الاهتمام الى الاشمئزاز ، وقال :

ـ لاتكن عجولا ياسيد تريدويل . فانت لاتعتقد ان احدا سيصدق شيئا مما يمكن ان تطبخه من قصص واحاجي عما دار بيننا ارجوك ان تفكر في الموضوع بعناية قبل ان تقوم باي عمل متسرع ، الآن او فيما بعد . فمجرد ذكر موضوع حديثنا سيجلب لك المتاعب انت وحدك ! وصدقني . وسوف

اترك لك بطاقتي ، وفي اي وقت شئت مقابلتي ساكون على استعداد لخدمتك .

فسال تريدويل وقد امتقع وجهه :

ـ ولماذا ساحتاج اليك ؟

فقال بروس :

ـ هناك اسباب عدة ، ولكن واحدا هو اهمها .

وجمع اوراقه وتوجه نحو الباب ثم التفت ليقول

ـ تذكر هذا . كل من خطا الخطوات الثلاث الاولى في طريق بليستجتون لا بد ان يخطو الخطوة الرابعة . وقد حققت تقدما ملحوظا في وقت قصير وقريبا تطلب مقابلتي .

فقال تريدويل :

ـ سارالك في جهنم قبل ان افعل ذلك .

= ٪ =

ورغم هذا الوداع فقد عاني تريدويل كثيرا في المدة التي تلته . فقد صعب عليه نسيان طريق بليستجتون بعد ان علم بها . بدات تفرض عليه افكار كان يجد من العسير اخراجها من دماغه كما انها لونت نظرته الى علاقته بوالد زوجته بلون مختلف ، فلم يعد يراه الا حجر عثرة في طريقه ، وكل ما كان يقوله او يفعله اخذ يبدو له وكانه يقصد منه مضايقته . اما ما اثار غيظه الشديد فهو تفكيره في هذا العجوز الطفيلي وهو يثرثر منحنيا باسرار بيته الحسية سعريا والمحرجين المحاجرين لذين لاشغل لهم الا اثارة المتاعب . ولم يشفع للعجوز عند زوج ابنته انه لم يكن يعرف انه يتحدث الى مخبرين

وفي مدى بضعة ايام كاد تريدويل ، الذي يفتخر بانه رجل اعمال متزن عاقل ، ان يعترف بانه في موقف سيء فقد بدا يرى علائم مؤامرة عائلة عى كل وجه . واخذ يتصور مئات ، بل الاف المخبرين مثل بروس يتزاحمون على مكاتب مثل مكتبه في جميع انحاء البلاد . وكان يحس بالعرق باردا يتصبب به جسمه للفكرة .

ولكنه قال لنفسه ان الموضوع باسره مجرد امر خيالي بعيد عن الواقع . واستطاع ان يثبت ذلك لنفسه بمراجعة المناقشة التي دارت بينه وبين بروس . فعل ذلك عشرات المرات . فقد كان الامر مجرد نظرة موضوعية الى مشكلة اجتماعية . فهل قيل شيء يخجل من مواجهته انسان ذكي ابدا فاذا كان قد استنتج بعض النتائج المزعجة فلان الافكار كانت فعلا في ذهنه تبحث عن مخرج

وشعر بارتياح كبير حين قرر اخيرا ان يقوم بزيارة لجمعية علم الشيخوخة . كان يعرف ما سيجد هناك ، غرفة قذرة او غرفتين وكائنين تافهي الاجرة ، ورائحة اناث قديم تنبيء بالفقر المدقع .

ذهب يبحث عن المكان مقتنعا بهذه الفكرة حتى كان يجتاز العمارة ناطحة السحاب المبنية بزجاج والالومنيوم التي كان عليها عنوان الجمعية . فدخل مندهشا احد المصاعد الناعمة ليخرج منه الى غرفة استقبال الادارة المركزية للجمعية . وكان مايزال مأخوذا بما حوله حين قادته شابة منسوقة القوام داخل متاهة طويلة من الممرات والغرف المكسوة بالزرابي ، وقابل عددا آخر من البنات الجميلات وعددا اكبر من الشباب القوي ، ورأى صفوفا من الالات الاليكترونية الصقيلة تدق او تهمس في مرح آلي ، وجبالا من البطاقات الشخصية المصنوعة من الصلب اللماع .. يضيء ذلك كله انعكاس الاناره غير المباشرة . حتى ادخل اخيرا على بروس واقفل الباب من خلفه .

فقال بروس مستمرئا امارات الدهشة والانبهار البادية على وجه (تريدويل) :

ـ شيء باهر ، اليس كذلك ؟

فرد تريدويل في عجب :

ـ باهر فقط ؟ لم ار في حياتي شيئا مثله . قيمته لا تقل عن عشرة ملايين دولار .

فقال بروس :

ـ ولماذا لا ؟ فالعلم يعمل لبل نهار مثل (فرانكنستاين) لاطالة العمر الى حد يتجاوز المعقول . في البلد الآن اربعة عشر مليون شخص فوق سن الستين . وفي ظرف عشرين سنة سيصبح عددهم واحدا وعشرين مليونا . وبعد ذلك لا احد يستطيع التكهن بالرقم الذي سيبلغونه . ولكن هناك مايدعو للتفاؤل ، فكل شخص ممن يحيط به جماعة من الشباب المنخرطين في جمعيتنا . ومع ارتفاع المد ، نزدهر نحن ونقوى لنقفر على مواجهته .

وشعر تريدويل بتيار بارد من الرعب يتسرب اليه ، فسال :

ـ الامر صحيح اذن ، اليس كذلك ؟

فقال بروس

ـ عفوا ؟

فصرخ تريدويل بعنف :

ـ طريقة ليستجتون هذه التي تتكلم عنها دائما ما هي الا وسيلة للتخلص من العجزة فقال بروس :

ـ صحيح ، تلك هي الفكرة بالضبط . ولم يعبر عنها باحسن من ذلك حتى السيد بليستجتون نفسه فانت ماهر في استعمال الكلمات . وانا اعجب دائما بالرجل الذي يدخل في صلب الموضوع مباشرة ، وبدون حشو عاطفي .

فقال تريدويل غير مصدق ما يسمع :

ـ ان تعتبروا من هيئة القانون . فهل تعتقد انك قادر على الافلات ؟

فاشار بروس الى ماوراء الباب من نشاط قائلا :

ـ اليس ذلك دليلا كافيا على نجاح الجمعية .

فسال تريدويل متحديا :

ـ ولكن اولائك جميعا ، هل يعرفون ماذا يجري ؟

فرد بروس :

ـ مثل جميع المستخدمين المدربين جيدا ، فهم لا يعرفون الا اختصاصاتهم اما ما نناقشه انا وانت الآن فيعد من الاختصاصات العليا .

فانخفضت كتفا تريدويل وهو يقول :

ـ مستحيل .. لا يمكن ان يكون

فقال بروس بحنان :

ـ دع عنك هذا .. ولا تترك الاشياء تهيمك او تغلب عليك . ففي ظني ان اشد ما يقلقك هو ما يسميه بليستجتون احيانا (بعامل السلامة) ولكن انظر الى الموضوع من هذه الزاوية : اليس من الطبيعي جدا ان يموت العجزة ؟ اذن جمعيتنا تضمن ان تبدو الموت طبيعة جدا . فالبحث نادر،ولم تسبب لنا حالة ما اية متاعب . واكثر من ذلك ، ستتعجب من عدد الاسماء الموجودة على لوائح زبائننا فيما شخصيات سياسية وعالية كبيرة . وكلهم يمكن ان يقدم شهاداته وضمانة على كفاءتنا . وتذكر ان هؤلاء الزبناء المهمين يحمون جمعيتنا من كل من يحاول مهاجمتنا . وان هذه الحماية تمتد الى كل زبون من زبائننا ، بما فيهم انت ، اذا رايت ان تضع طلبك بين ايدينا .

فقال تريدويل محتجا في يأس :

ـ ولكن لاحق لي ، حتى ولو اردت ذلك . فمن انا لاسوي المشاكل بهذه الطريقة ؟

فمال عليه بروس قائلا :

ـ آها ! ولكنك ترغب في تسوية الامور . ؟

فقال تريدويل :

ـ ليس بهذه الطريقة .

فسال بروس :

ـ هل تقترح اية طريقة اخرى .

فسكت تريدويل .

فقال بروس راضيا :

ـ رايت ؟ جمعية علم الشيخوخة تعطي الحل العملي الوحيد للمشكل فهل ماتزال ترفضه ياسيد تريدويل ؟

فقال هذا بعناد :

ـ لااراه حلا .. فليس عدلا .

فسال بروس :

ـ هل انت متاكد من ذلك ؟

فرد تريدويل بحدة :

ـ طبعا . هل ستقول لي انه من العدل ان يخرج الانسان لقتل الناس لمجرد انهم كبار السن ؟

فرد بروس :

ـ ذلك ما اقوله بالضبط . واريدك ان تنظر الى الموضوع من هذه الزاوية . نحن نعيش اليوم في عالم من التقدم ، عالم المنتجين والمستهلكين ، وكلهم يبذل قصارى جهده لتحسين حال المجموع والعجزة ليسوا منتجين ولا مستهلكين . فهم عراقيل فقط في طريق التقدم . فاذا اردنا ان نلقي نظرة عاطفة على الماضي الغابر فقد نجد انهم كانوا يقومون بمهمة . اذ حين كان يذهب انسان لحرث الحقول يبقى العجزة للقيام باعمال البيت . ولكن حتى ذلك العمل لم تعد الحاجة اليه اليوم . فعندنا مائة اختراع للقيام به ، وهي ارخص بكثير . فهل تجادل في ذلك ؟

فرد تريدويل بعناد :

ـ لاادري .. فانت تقول بان الناس مجرد الات وانا اخالفك في ذلك .

فصاح بروس :

ـ ياالهي ! لاتقل انك تراهم شيئا غير ذلك .

طبعا نحن آلات ، كلنا .. آلات فريدة من نوعها ورائعة .. ذلك شيء مسلم به ، ولكن آلات ليس الا انظر الى العالم حولك ، فهو كائن حي شاسع الاطراف مكون من اجزاء يمكن استبدالها، وكلها تعمل لتنتج وتستهلك ، تنتج وتستهلك حتى تبلى .. فهل ينبغي الابقاء على القطعة البالية في مكانها ؟ طبعا لا يجب ان يلقى بها جانبا حتى لا يتعثر الكائن الحي .. فالمهم هو الكائن الاشمل لا اجزاؤه المفردة الا تستطيع فهم ذلك ؟

فقال بروس مترددا :

ـ لا ادري .. لم افكر في ذلك قط بهذه الطريقة ومن الصعب هضمه مرة واحدة .

فقال بروس :

ـ اعرف ذلك ياسيد تريدويل . ولكنه جزء من طريقة بيستجتون القاضية بان يقدر كل مشترك القيمة العظمى لمساهمته من جميع الوجوه ليس فقط فيما يعود عليه هو وحده بالنفع ، بل وعلى الكائن الاجتماعي باسره . وحين يوقع التزاما لجمعيتنا فهو بذلك يقوم بانبل عمل في حياته ..

فاستفسر تريدويل :

ـ التزام اي التزام ؟

فاخرج بروس ورقة مطبوعة من درجه ووضعها امام تريدويل بعناية ليقراها . وحين قراها هذا انتعص في مكانه قائلا :

ـ تقولون عنابانتي اتعهد بان ادفع لكم الفي دولار في مدى شهر من الآن ، وانت لم تقل لي شيئا عن هذا المبلغ من قبل .

فاجاب بروس :

ـ لم تكن هناك مناسبة لذكر موضوع المال من قبل . وقد درست اللجنة المالية حالتك المادية فوجدت انك قادر على دفع هذا المبلغ دون مشقة او عناء .

فرد تريدويل :

ـ ماذا تعني بمشقة ؟ فالفا دولار مبلغ كبير كيفما نظرت اليه .

فهز بروس كتفيه قائلا :

ـ كل التزام يرتب حسب قدرة المشترك على الدفع وتذكر ان مايبدو غاليا بالنسبة اليك ، قد يبدو رخيصا بالنسبة لكثير ممن تعاقب معهم من المشتركين فسال تريدويل

ـ وماذا سيحدث لي من ذلك ؟

افرد بروس :

ـ داخل شهر من توقيعك الالتزام سيتم اخلاص من مسالة حميك . وبعد ذلك مباشرة عليك ان تدفع المبلغ المتفق عليه بكامله . وسيوضع اسمك على لائحة مشتركينا ، وينتهي الامر عند ذلك .

ـ فقال تريدويل :

ـ لا احب فكرة وضع اسمي في اي شيء ،

فرد بروس :

ـ اقدر ذلك ، ولكن دعني اذكرك بان مساهمتك لجمعيتنا الاحسانية تعفيك من الضريبة .

فوضع تريدويل اصابعه برفق على الورقة وسال :

ـ والان ، لنفرض جدلا فقط ، ان احد وقع التزام كهذا ولم يدفع المبلغ . اعتقد انكم تعرفون ان التزام كهذا لايمكن استخلاصه بمساعدة القانون .

فابتسم بروس وقال :

ـ واعرف ان عددا من الشركات لا تستطيع استخلاص التزامات لها على افراد وقعوها عن حسن نية ولكن جمعية عم الشيخوخة لم تصادف تلك الصعوبة ابدا . فنحن نتجنب ذلك بتذكير مشتركينا بان الشبان قد يموتون فجاه كالكبار ، اذا عم تصرفوا بطيش ..

ومد الورقة نحوه قائلا :

ـ لا، لا ، امضاؤك في اسفل الورقة يكفي .

+ × +

وحين تم العثور على جثمان تريدويل غارقا قرب ميناء شرق (سكونسيت) بعد ثلاثة اسابيع دخلت وفاته في سجلات شرطة شرق (سكونسيت) على انه حادث غرق ، فقد كان الرجل العجوز يصطاد باستمرار هناك رغم ان السلطات المحلية كررت له مرارا انه لا توجد اسماك تذكر في ذلك المكان .

وقام تريدويل نفسه بترتيب جنازة فاخرة . اثناء الجنازه خطرت له (الفكرة) اولا . كانت مجرد فكرة عابرة مكدرة ، ولكنها كانت كافية لجعله يتعثر على درجة في مدخل الكنيسة . ونظرا لاختلاط الموقف فلم يكن صعبا عليه تسيانها في تلك اللحظة .

وبعد بضعة ايام حين عاد الى مكتبه المالوف عادت (الفكرة) فجاة اليه . وهذه المرة لم يكن من السهل اهمالها . فقد بدات تكبر بالتدريج فى راسه حتى ملات عليه ساعات يقظته ، واصبح نومه سلسلة من الكوابيس المفزعة .

ولم يكن هناك الاشخص واحد يستطيع توضيح المسالة له ، فذهب الى جمعية علم الشيخوخة يحترق قلقا لمعرفة جواب بروس — ولم يكن واعيا بعملية تسليم سبكة لبروس ، وادخال الوصل فى جيبه ، فقد كان يساله بلهفة :

— هناك شىء يقلقنى . وسوف اخبرك به دون مقدمات . هل تذكر ما قلته لى عن عدد العجزة الذين سيكونون على قيد الحياة بعد عشرين سنة من الآن ؟

فرد بروس : طبعا .

ففتح تريدويل ياقة عنقه ليخفف الضغط على حنجرته وقال .

— الا ترى اننى ساكون واحدا منهم ؟

فاجاب بروس :

— اذا اعتنيت بنفسك بشكل معقول . فلا سبب يمنعك من ان تكون منهم .

فقال تريدويل :

— انت لاتفهم قصدى . فساكون حينئذ فى حال دائم من القلق خشية ان ياتى احد من جمعيتكم ليضع نفس الافكار فى راس ابنتى وصهرى . شىء فظيع ان يقضى الانسان بقية حياته فى قلق مستمر .

فحرك بروس راسه ببطء نافيا وقال :

— لا يجب ان يخطر ذلك ببالك ياسيد تريدويل .

فاجاب تريدويل : لماذا لا ؟

فقال بروس :

— فكر فى ابنتك .. هل انت تفكر فيها .

فقال تريدويل : نعم .

— هل تراها كطفلة صغيرة عزيزة تصب عليك حبها مقابل حبك لها ؟ وهل تراها كفتاة ناضجة تجتاز عتبة الزواج دائما حريصة على زيارتك واشعارك بعطفها عليك ؟

فقال تريدويل : اعرف ذلك .

فقال بروس :

— وهل ترى بعين عقلك ذلك الشاب الطيب الذى هو زوجها : هل تشعر بدفء مصافحته وهو يستقبلك هل تعرف مقدار امتنانه لك بمساعداتك المالية المستمرة له .

فقال تريدويل : اعتقد .

فقال بروس :

— والآن ، هل تستطيع ان تتخيل ان ايا من هذين الشابين الحنونين يستطيع ان يفعل شيئا — ابسط شىء — لاذايتك ؟

وبمعجزة انحلت عقدة حنق تريدويل ، وذاب البرد الذى كان يغلق قلبه . وقال باقتناع .

— لا .. لا استطيع تصور ذلك .

فمال بروس بكرسيه الى الوراء وابتسم بحنان الحكماء وقال :

— هائل ! تمسك الآن بهذا الشعور ياسيد تريدويل واحفظه قريبا من قلبك فى جميع الاوقات .. فسوف يكون عزاؤك حتى النهاية .

= x =

(يدق جرس الباب — اصوات حذاء نسوى — قفل الباب يفتح :

كارول : (بترحيب) محمد ؟ اهلا .. مرحبا .. ادخل .. تفضل ..

محمد : شكرا ..

(يدخلان .. تقفل الباب)

كارول : (منادية زوجها جون تريدويل) جون . انزل لترى من هنا ؟

جون : (تريدويل من فوق) : من ؟

كارول : انه محمد .. الطالب العربى ..

جون : انا نازل حالا ..

كارول : لمحمد ادخل .. وارتح ، فى غرفة الجلوس حتى ينزل جون . كيف حالك ؟

محمد : انا بخير .. وشكرا .. (وقفة قصيرة) دعيني اولا اعزيك في وفاة والدك العزيز .. انا لم اعرف الا مؤخرا .. ولا كنت حضرت الجنازة ..

كارول : (متاثرة) اشكرك يامحمد .. كان موته مفاجأة للجميع .. لم يمرض ويلزم الفراش حتى نستعد للحادث الاليم

جون : (ينزل السلم الخشبي يدخل عليهم) : محمد اهلا . مرحبا بك ..

محمد : كيف حالك ياجون ؟

جون : انا بخير .. لم نرك مدة طويلة اين كنت تخبيء نفسك ؟

محمد : (معتذرا) بين دفات الكتب ومنصات المحاضرات جامعاتكم متعبة .

جون : (يضحك) حياتنا كلها تعب .

محمد : انا اسف انني لم احضر الجنازة . كان والد كارول عزيزا علي ..

كارول : وكنت انت الاخر عزيزا عليه .. كان دائما يسال عنك .. (وقفة) اجلسا .. ماذا تشربان ؟

جون : (سائلا محمد) محمد ، ماذا تشرب ؟

محمد : قهوة ، اذا لم يكن فيها تعب ..

كارول : لاتعب الاطلاق .. جون ؟

جون : نفس الشيء ..

كارول : (تذهب)

محمد : لم اعلم بالحادث الا بعد الجنازة وكان بودي لو حضرتها .. فانا اعتبر نفسي طرفا من العائلة .

جون : ونحن نعتبرك كذلك .. وخصوصا الراحل العزيز ..

محمد : ولكن كيف وقع الحادث ؟

جون : لا احد يدري .. وحسب تقرير الشرطة ، فهو حادث غرق عادي فقد كان ، كما تعرف ، مولعا بالصيد على رصيف الميناء .. وقد سبق لرجال الشرطة ان حذروه من الصيد في ذلك المكان الخالي وحده ، وخصوصا وانه لا توجد به أية اسماك ..

كارول : تدخل بصينية عليها ادوات القهوة تضعها فوق المائدة وتقعد ، اثناء حديث جون .. تحرك القهوة وتناول فنجانا لمحمد ..

كارول : محمد .. تفضل ..

محمد : يتناول الفنجان (شكرا) .

جون : شكرا يا عزيزتي ..

كارول : كان المرحوم يحب الحديث الى محمد ، وكان يقعدان للعب الضامة وتبادل الاحاديث الساعات الطويلة في عطله اخر الاسبوع ..

جون : فعلا .. كان حديثهما يثير فضولي (لمحمد) عماذا كنتما تتحدثان ؟

محمد : كان المرحوم شديد الشغف بمعرفة عادات وتقاليد الامم الاخرى .. وكان يمطرني بالاسئلة عن كل ما يتعلق بذلك في بلادي ـ وخصوصا انه زارها اثناء الحرب ..

كارول : لابد ان فلسفة الشرق اثرت عليه كثيرا من خلال ما كان يسمع منك .. فقد كان دائما يكرر ان الغرب اصلح للشباب ، اما الشرق فهو جنة الشيوخ ..

جون : ياترى ماذا كان يعني بذلك ؟

محمد : (مفكرا) اعتقد انه كان يفكر في حديث دار بيننا عن حياتكم العائلية .. فقد ابديت انا له ملاحظة على سبيل المقارنة بين الحياة هنا في اميريكا والحياة في بلادي .. قلت له هذه اول دار اميريكية عرفتها تطبق احدى قيم الشرق الانسانية .. وهي احترام كبار السن ، واسكانهم في نفس الدار مع العائلة .. الامر الذي لا اعتقد انه يتوفر في كثير من البيوت هنا .. وحكيت له عن كيف نعامل شيوخنا وجداتنا ، وكيف انهم يكونون طرفا مهما من كيان العائلة .. وكيف اننا نستشيرهم في شؤون الحياة لطول تجربتهم وما الى ذلك فكان يعجبه كلامي ..

كارول : فعلا .. وقد كان يتأسف حين لا تحضر في بعض الاحاد ..

محمد : اعتقد انها ذبابة الغرب عضتني . قبلات اعطى للوقت اهمية لايستحقها (يضحكون)

كارول : (متذكرة) كانت هناك كلمة سريلنكما هي الزربية كنتما تضحكان لها كلما ذكرت .. فماذا تعني ؟ حاولت مرارا معرفتها منه فلم افلح ..

محمد : (ضاحكا) حكاية الزربية ؟ هي حكاية من فلكلور الاطلس المغربي ، تعطى كمثل للبر بالوالدين

وملخصها ان رجلا تضايق من وجود والده المجوز معه في نفس الدار ، فطلب من ابنه ان يلفه في زربية قديمة ويرمي به في النهر .. وذهب الابن فجاء بمقص وجلس يشطر الزربية شطرين ، فساله ابوه ماذا تفعل ؟ فقال : سأشق جدي في نصفين واحتفظ بالنصف الاخر ليلتف فيه ابني . فصعق الرجل العاق ، وابقى على حياة جده ، واخذ يعامله كما ينبغي ان يعامله ابناؤه هو حين يكبر ويهرم .

كارول : (تضحك) والله انها لقصة عجيبة .. ينبغي ان تدرج في كتب اطفالنا في المدارس .. اليس كذلك ، ياجون ؟

جون : اخشى انه فات الاوان فقد طغت المادية على الناس لدرجة انستهم الانسانية والاخلاق ..

الأستاذ مولاي عبد الواحد العلوي
عميد كلية الشريعة
في ذمة الله

انتقل الى عفو الله صبيحة يوم الاثنين 18 جمادي الثانية 1397 موافق 6 يونيو 1977 الاستاذ العلامة الشريف مولاي عبد الواحد العلوي عميد كلية الشريعة بجامعة القرويين ورئيس المجلس العلمي بفاس العاصمة العلمية للمملكة .

وكان الفقيد قد اعتذر عن حضور المؤتمر السادس لرابطة علماء المغرب المنعقد اخيرا بأكادير بسبب المرض الذي كان يشكو منه وترك غيابه بين زملائه السادة العلماء فراغا شعر به الجميع .

والفقيد من الرعيل الاول الذي ضحى اعظم التضحية في سبيل اثبات القيم الاسلامية الخالدة والحرص على الاصالة المغربية المؤمنة والوقوف في وجه اعداء الاسلام والعروبة والعرش العلوي المجيد طيلة عهد الحماية البغيض . ونال الفقيد شرف الجهاد وراء ابي المغاربة وبطل التحرير والاستقلال جلالة المغفور له الملك محمد الخامس طيب الله ثراه ، وكانت له مواقف مشرفة على الصعيدين الوطني الاسلامي والفكري والثقافي بحيث يعتبر — رحمه الله — من طليعة رواد السلفية والوطنية والثقافة الاسلامية العربية في المغرب الحديث .

وقد عرفت كلية الشريعة على يده تقدما ملحوظا وارتفاعا في نسبة الخريجين كل سنة . كما كان سباقا دائما الى تاييد الخطوات الايجابية لجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله سواء في ايام التعبئة الجماعية من اجل تحرير الصحراء أو زمن المسيرة الخضراء المظفرة وشتى المواقف الوطنية التي كان يسارع فيها الى التعبير عن حنكته وحصافته كعالم عامل ومثقف اسلامي مجاهد ورائد من رواد التعليم والفكر في بلادنا .

رحم الله الاستاذ مولاي عبد الواحد العلوي رحمة واسعة جزاء ما قدم للاسلام والوطن والعرش من خدمات جليلة واياد بيضاء .

ديوان المجلة

- على هدي القلب
- مراكش
- من مشاعر الالهام

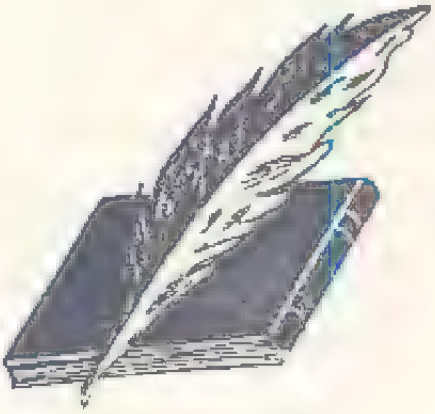

على هدي القلب

للشاعر الدكتور:

عمر بهاء الدين الأميري

يسأل عقلي .. أين ؟ أنى ؟ متى ؟
والقلب ماض ، واثق ، دون أين ؟

« وجهت وجهي » مطمئن الرضا
وسرت ... والدنيا بلاء ورين

تيه كفور البحر مستبهم
لا صدئها صدق ، ولا اليمن مبين

رحى ، ونفسي بين اشداقها
والعمر في اللأواء والحبرتين

الجد الدرب ، دروب الهوى
بلله ، والراى ما بين بين

عزم عمو المارد في قمقم
وأمل يستقطب الفرقدين

والغيب سر ، والمنى مطمح
والحدس وصل ، بعد سير وبين

ويلمع البرق ينير المدى
الناي ، فيزهو مشرقا كالجبين

ويفتح الله لقلبي وقد
اغمضت عيني خاشعا — الف عين

عمر بهاء الدين الأميري

مراكش

للشاعر الأستاذ عبد الواحد أخريف

بلد النخيل تحيتي وسلامي ... وعواطفي ومحبتي وغرامي
ملك الفؤاد جمالك الأخاذ يا ... مراكش الحمراء ، ربع مرامي
اني نظرت رأيت فيك مباهجا ... أحيت شعوري وصبوتي وهيامي
ان قلت يا عيني حذار من البها ... ألفيت قلبي لا يطيع زمامي
إشراق الاحرار نبع مودة ... يتحدثون كسامر بسام
تجري النكسات جداولا مغمورة ... تشمي من البرحاء والآلام
بحت الخمائل في جنانك انتشى ... واعب من كأس الجمال مدامي
اغصانك الولهى تعانق اختها ... بحكى حبيبا بات في الاحلام
ومسارح الغزلان تطفح تحتها ... بالحب والاشعار والانغام
ومسابح مثل اللجين مياهها ... رأق العشي بها على الايام
ان تعلها ريح الصبا بهبوبها ... يسبد النسوج لامعا كحسام
وزلالها يروى الظما ويزيد من ... نعس الغليل لواضح الابتسام
و « منارها الكتبي » يشمخ للعلا ... يروى تجاوبنا مع الاسلام
قد زرتها والبدر يرسل نوره ... والليل ساج والسورى لمقام
وكواكب الزرقاء ترنو نحوها ... وكأنها انوار قصر سلام
فوقفت مشدوها أمام جمالها ... يا للجمال محير الافهام

⁂

يا وردة بين النخيل وبسمة ... بين الشفاه وبلدة الاعلام
أثارك الجلى تحدث جيلنا ... عن همة الاجداد والاقوام
والاطلس الجبار يمكث رابضا ... نعما الاسود ولن يزال يحامي
ويزيد فتنتك الكبيرة فتنة ... بثلوجه البيضاء وهي هوامي
يا عاشق الحسن البديع مصورا ... لك في « مراكش » لوحة الرسام
لك في الفؤاد عواطف مشبوبة ... سأصوغها في عودة الالهام

تطوان : عبد الواحد أخريف

شاعر الإلهام

للشاعر الدكتور زاهر عواض الألمعي

● في اطار المهرجان الثقافي السعودي بالمملكة المغربية من 4/27 الى 1397/5/15 احيى الدكتور الشاعر زاهر عواض الألمعي امسية شعرية بقاعة المحاضرات بوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية.

ويسر « دعوة الحق » أن تنشر للشاعر السعودي الكبير احدى قصائده الرائعة التي تجاوب معها الجمهور المغربي بعمق وحرارة ، آملين ان تستمر الصلة بين المجلة والشاعر زاهر الالمعي في مناسبات متعددة ان شاء الله .

طلعت غلاح اليمن في طلعاتها ... وبدا جمال الورد في وجناتها
وسرى النسيم على مشارف ثغرها ... تستنوع الارجاء من نسماتها
ورنت بالحاظ الجنون نواعسا ... تتراقص الاطياف في ومضاتها
وتبسمت عن ثغر حسن باسم ... فتشتائق الاكمام من بسماتها
ونظرت — لا النوء — سحر جمالها ... ومصارع العشاق في لمحاتها
ومفاتن السحر الحلال تشدني ... شوقا وما مسته يدي حرماتها
فاطل ثم الحار ان واشرها ... نحوي الاسنة من كمين كماتها
غادرت في ذهني عجائب امرها ... وخشيت هول السطو من طعناتها
فاذا هما فوق الترائب والحشا ... من قلبها الخفاق بعض سماتها
تالله روبدك فالمراقي صعبة ... لا ترتقيها الطير في غدواتها
فاجبتها او ما علمت بأنني ... كالصقر يقزو الطير في وكناتها
قالت معاذ الله ان تغشى الحمى ... وتبيح مجلى الدر من صدفاتها
اني عشقت من الفضائل خيرها ... ومن الرجال عشقت خير فتاتها

ولقد اثارت بين جنبي الجوى ... وسرى الهوى والشوق في جنباتها
لولا ارتياعي من مغبات الهوى ... لقطفت زهر الورد من جناتها
ولسرت امتاح الرياض واجتلي ... منها رضاب الشهد من زهراتها
لكن اطيافي وان جنحت بها ... سنن الخيال تشوب عن زلاتها
وتتوق اشواقي الى سنن الهدى ... فمشاعر الالهام في رحباتها
يا من حملت ابر قلب في الورى ... واعز نفس جانبت شهواتها

* * *

تهفو اليك قصائدي ومشاعري ... في ظل هديك واصلت رحلاتها
فلقد نشأت على سلامة فطرة ... وصفاء نفس في عظيم صفاتها
ولقد اويت الى « حراء » وكنت في ... غسق الدجى نورا يضيء جهاتها
فأتاك جبريل الامين ولم تكن ... من قبل تتلو أو ترى قبساتها
فدنا وقال اقرأ ولست بقارىء ... او كاتب تدري بمروياتها
بل كنت اميا ولكن الذي ... رفع السماء حباك خير هباتها
فقرأت باسم الله فاقترع الدجى ... واضاء نور الوحي من مشكاتها
آي من الذكر الحكيم ومنطق ... احنت له البلغاء من هاماتها
واذا تسامى الفيلسوف واوغلت ... نظراته في الآي من آياتها
رجعت اليه الموغلات ضوالعا ... دون ارتقاء حول قدسياتها
سور يشع النور من آياتها ... ويفيض بحر العلم من صفحاتها

* * *

لكن قريش جانبت سبيل الهدى ... وتجانبت للاثم في ندواتها
لم تلتفت للنور فوق رباعها ... او تلتمس خيرات مؤتمراتها
بل كذبت داعي الهدى وتنكرت ... واستوحشت والانس في جنباتها
ولربما تغشى الصباح نواظرا ... وتموت مرضى وهي بين اساتها

* * *

من لي بناشئة على درب الهدى ... وثابة العزمات في دعواتها
تحمي حمى الغراء مما يفترى ... وتصد بالاقدام كيد غزاتها
ان الحياة مع الجهاد شريفة ... لا خير في الاخلاد في شهواتها
والله انزل في الكتاب بصائرا ... تهدي الورى وتنير درب هداتها
فامضوا على نهج الوئام وجددوا ... من دعوة الاصلاح مجد دعاتها

اخضاع مناهج التعليم في العالم الاسلامي للمفاهيم القرآنية

◆ نشرنا في العدد الماضي مقتطفات من التوصيات التي اصدرها المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي المنعقد في المملكة العربية السعودية خلال الفترة الاخيرة . ونواصل في هذا العدد نشر بقية التوصيات التي تعتبر من وجهة النظر الاسلامية الخالصة وثيقة عمل يجدر بالمسلمين في كل مكان الالتزام بها لانشاء اجيال اسلامية تنتمي لهذا الدين عقيدة وسلوكا وعملا وليس انتماء بشريا وجغرافيا فارغا من اي مضمون .

ان قضية « التعليم » في العالم الاسلامي من أشد القضايا الحاحا في الوقت الراهن ، وان مستقبل هذا الدين مرتبط ارتباطا وثيقا بمدى توفيقنا في اخضاع مناهج التعليم في شتى مراحله للمفاهيم القرآنية الخالصة .

العناية باللغة العربية

● ان المؤتمر ، وقد لاحظ ضعف مستوى الطلاب في اللغة العربية في البلاد العربية والاسلامية على السواء .

يوصي بالعناية البالغة بجميع فروع اللغة العربية واعتبارها مادة اجبارية في كل اقطار العالم الاسلامي .

كما يوصي المؤتمر باتخاذ الخطوات الكفيلة بتعريب التعليم في كل المراحل وخاصة في البلاد العربية مع الاستفادة من التجارب والدراسات التي تمت بالفعل في هذا الصدد .

النقد الادبي

● يحث المؤتمر الادباء في العالم الاسلامي على تكوين مدرسة اسلامية اصيلة في النقد الادبي وعلم الجدل مبنية على اصول اسلامية لها معايير خاصة بها حتى تستطيع القيام بنقد الآداب الدخيلة على الفكر الاسلامي .

كما يوجه المؤتمر عناية المسلمين الى دراسة الفنون والصناعات الاسلامية وتنمية الذوق الفني الاسلامي .

● يوصي المؤتمر بدعم الدراسات الشرعية والعربية في جميع مراحل التعليم في البلاد الاسلامية باعتبارها التعليم الاساسي الذي تعتمد عليه حضارة الاسلام ويحفظ للامة شخصيتها الاسلامية المتميزة .

كما يوصي باتاحة الفرص المشجعة للمتخرجين في هذا النوع من التعليم للعمل في مجالات الحياة المختلفة وفق تخصصاتهم .

احياء التراث الاسلامي

● الاهتمام بتحقيق نوادر المخطوطات لتكون — بجانب ما حقق بالفعل من كتب التراث الاسلامي — مادة للدراسة في الاقسام الشرعية بالجامعات الاسلامية لرفع المستوى العلمي لدارسي الشريعة الاسلامية ، وأن توضع مناهج الدراسات العليا الشرعية وخططها بحيث تؤدي الى تخريج العلماء القادرين على النظر والاجتهاد في مصادر الشريعة واستنباط الحلول الاسلامية لكل ما يواجه العالم من مشكلات .

● أن المؤتمر اذ يرفض فكرة ترقيع وتلفيق العلوم الاجتماعية بالصبغة والافكار الاسلامية .

يوصي بضرورة العمل على استنباط مجموعة جديدة من العلوم الاجتماعية تتفق مناهجها والاسلام لاحلالها محل العلوم الاجتماعية الغربية . كما يوصي بتوفير المساعدات للعلماء المسلمين الملتزمين

وترشيح أفضل العناصر لتأهيل أعلى وتنمية الابحاث اللازمة وتشجيع انشاء المعاهد والجمعيات والدراسات المتخصصة والبحوث الجماعية . والبدء في طبع وتحقيق ونشر كتب التراث الاسلامي في هذه الفروع وحصر مؤلفاتها ببليوجرافيا مع الدراسات المقارنة والتاليف المبسط المختصر والموسوعي معا .

ضرورة تحكيم شريعة الله

● يرى المؤتمر أن الطريقة المثلى لدعم المؤسسات التربوية ومعاونتها في تنشئة الاجيال على الاسس الاسلامية السليمة هي تطبيق الاسلام تطبيقا كاملا في شتى مجالات الحياة . وان وسائل الاعلام بصفة خاصة من اخطر الادوات التي يمكن ان تفاون المدرسة في مهمتها اذا سارت على النهج الاسلامي والتي في امكانها كذلك أن تهدم كل اثر للتربية المدرسية اذا سارت على نهج مضاد للقيم الاسلامية .

كما يشير الى اهمية البيئة الصالحة خارج المدرسة وضرورة تنقية المحيط الاجتماعي من الشوائب الدخيلة كاساليب الغزو الفكري والامراض الاجتماعية والاهتمام بالمحافظة على البيئة الاسلامية في العمارة وتخطيط المدن وغيرها حتى تكون منطلقة من المفاهيم الاسلامية وخاصة في المدن المقدسة مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس ، وحث جامعة الملك عبد العزيز على القيام بالابحاث اللازمة في هذا المجال .

لذلك يوصي المؤتمر جميع الدول الاسلامية بضرورة تحكيم شريعة الله في بلادها ، واقامة حياتها على اساس من المبادىء والقيم الاسلامية ، وتوجيه وسائل اعلامها بصفة خاصة على النحو الذي يضمن توكيد هذه القيم والمبادىء ولا يعمل على اضعافها .

تاريخ العلوم عند المسلمين

● يرى المؤتمر أن تضم مناهج التعليم في العالم الاسلامي في كافة مراحلها تدريس تاريخ العلوم والمعرفة لدى المسلمين ودورهم في تطوير هذه العلوم علميا واجتماعيا ومنجزاتها العلمية في كل منها واهمية ما قدموه للفكر البشري في المجال العلمي وتوكيد الحقيقة التاريخية من أن المسلمين هم الذين قدموا للبشرية المنهج التجريبي في البحث العلمي وان النهضة العلمية الاوربية المعاصرة قد قامت على اساس منهج المسلمين في البحث وعن العلوم الاسلامية وخاصة في الطب والفلك والفيزياء والكيمياء والرياضات مع التركيز بصفة خاصة على اسباب نمو العلوم في عصر النهضة الاسلامية واسباب تخلفها فيما بعد وحث الطلاب على استعادة الروح العلمية التي كانت لاجدادهم وقت الازدهار .

صياغة اسلامية للعلوم التجريبية

● يوصي المؤتمر باعادة صياغة العلوم التجريبية صياغة اسلامية تربطها بالعقيدة وتعمق الوجدان الديني عند الدارسين ، وتشعرهم بعظمة الخالق وقدرته المعجزة بما يحقق قوله تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء » ، ويزيل تلك الفرقة المصطنعة بين الدراسات الشرعية عند البعض من ناحية والعلوم من ناحية اخرى . تلك الفرقة التي سرت الينا من اتخاذ المناهج الاسلامية في تدريس تلك المواد بمعزل عن الدين . كما ينبه المؤتمر الى ضرورة تنقية مناهج تلك العلوم وكتبها المقررة مما يتدس في ثناياها من أفكار واتجاهات تصادم العقيدة الاسلامية او تخالف التصور الاسلامي الصحيح ، وضرورة الفصل بين الحقائق العلمية النهائية — وليس منها ما يخالف العقيدة — وبين الفروض والنظريات العلمية التي لم تثبت نهائيا والتي قد تحتوي على مقررات مخالفة لمقررات العقيدة الاسلامية

كما يوصي المؤتمر من جانب آخر بعدم الربط بين الاشارات الكونية في القرآن وبين الفروض والنظريات العلمية الحديثة — الا ما ثبت منها نهائيا على انه حقيقة علمية — مما لا يخدم القرآن في الحقيقة ، ويثير بلبلة فكرية وعقيدية حين يثبت خطأ بعض هذه الفروض والنظريات .

وتحمل الجامعات ومراكز البحث العلمي امانة تدوين العلوم على اساس النظرية الاسلامية . في موسوعات يستقي منها مؤلفو الكتب المدرسية على اختلاف انواعها ودرجاتها كما يوصي بتدريس قدر من العلوم الشرعية والانسانية لطلاب العلوم البحتة والتطبيقية .

المدرس المسلم

● يؤكد المؤتمر على ضرورة العمل على اعداد المدرس المسلم الذي ينطلق في تصوره وتفكيره من المنطلق الاسلامي ، ويكون سلوكه الفردي والاجتماعي سلوكا اسلاميا ممثلا لقيم الاسلام ومبادئه ليكون قدوة علمية لطلابه ، نظرا لان القدوة الصالحة هي افضل وسائل التربية ، كما ان القدوة السيئة من اقوى الوسائل لتدمير القيم الاسلامية او تعويق نموها . ولذلك يجب ان يتم اختيار المدرسين على اساس من عقيدتهم وسلوكهم وان لا يقتصر على المؤهلات العلمية فقط .

● يؤكد المؤتمر على ضرورة العناية التامة بان تتوافر في الكليات التي تخرج المعلمين جميع الوسائل والادوات التي تلزم لاعداد المدرس الصالح ويوصي بتوجيه العناصر الصالحة من الطلاب للالتحاق بهذه الكليات وتقديم الحوافز الكفيلة لتشجيعهم .

ويطالب بان ينال المعلم حظه الكامل من الرعاية، وان تكون للمعلمين ميزات مادية وادبية تساعدهم على الاستمرار في هذا العمل ونادية الرسالة فيه .

● وبالنسبة لتعليم البنات فان المؤتمر يرى ان البلاد التي اقامت نمطا مخططة للتعليم ، وعلمت المراة على مناهج موضوعة في الاصل لتناسب طبيعة الرجل واحتياجاته متجاهلة طبيعة المراه ووظيفتها الانسانية والاجتماعية قد بدات نتائج تلك النظم تظهر في مجتمعاتها من فساد خلقي وتفسخ في الاسرة ، ونقص في رعاية النشء ، وتشرد الاجيال الناشئة وجنوحها الى الاجرام والشذوذ ، مما يأباه الاسلام وتنفر منه الفطرة السوية .

لذلك يوصي المؤتمر بوضع نظام خاص مبني على اسس علمية مدروسة لتعليم البنات يقوم على استقلال الدراسة في كل مراحل التعليم ، ويراعى فيه ما يناسب طبيعة المراة وما يحتاج اليه المجتمع من خدمات نسوية ، ويحقق ما يهدف اليه الاسلام من المحافظة على الفطرة السوية لكل من الرجل والمراة ، والمحافظة على الاسرة والاخلاق الفاضلة . ويعمل على مراعاة الخصائص الوظيفية الفطرية ، في ذات الوقت الذي يسعى فيه الى نشر التعليم بين النساء على اوسع نطاق ، لان طلب العلم فريضة على المسلمين كافة رجالا ونساء .

● ضرورة تطبيق الاسلام تطبيقا واقعيا داخل المدرسة بانشاء مساجد في كل مدرسة او مؤسسة تعليمية واداء صلاة الجماعة في وقتها وتشجيع السلوك الاسلامي بين التلاميذ من صدق وامانة ومروءة وايثار ونظام ونظافة ..... الخ ومقاومة كل سلوك غير اسلامي يبدر من الاساتذة او التلاميذ على السواء .

● تشجيع قيام مؤسسات الشباب بالانشطة المناسبة لهذه المرحلة والمتوافقة مع اهداف مجتمعنا الاسلامي وظروفه الراهنة مع تنقية برامجها من الشوائب الدخيلة على الاسلام وقيمه .

● يرى المؤتمر ضرورة قيام الدول الاسلامية التي تتوفر لديها الامكانيات المادية او الخبرة البشرية بتقديم تجربة رائدة في مجال التعليم الاسلامي تكون نموذجا تستعين به بقية الدول الاسلامية عند وضع مقررات هذا المؤتمر موضع التنفيذ .

● يرى المؤتمر ان الطريقة المثلى لدعم المؤسسات التربوية ومعاونتها في تنشئة الاجيال على الاسس الاسلامية السليمة هي تطبيق الاسلام تطبيقا كاملا في شتى مجالات الحياة . وان وسائل الاعلام بصفة خاصة من اخطر الادوات التي يمكن ان تعاون المدرسة في مهمتها اذا سارت على النهج الاسلامي والتي في امكانها كذلك ان تدمر كل اثر

للتربية المدرسية اذا سارت على نهج مضاد للقيم الاسلامية .

لذلك يوصي المؤتمر جميع الدول الاسلامية بتحكيم شريعة الله في بلادها ، واقامة حياتها على اساس من المبادىء والقيم الاسلامية ، وتوجيه وسائل اعلامها بصفة خاصة على النحو الذي يضمن توكيد هذه القيم والمبادىء ولا يعمل على اضعافها .

● لما كان العلم في الاسلام واجبا على كل مسلم في حدود ما يرشده الى خالقه ويمكنه من اداء ما فرضه عليه من عبادة والتزام ما شرعه في معاملاته وتصرفاته ، لذلك يحث المؤتمر الدول الاسلامية على توفير اسباب التعليم بجميع مراحله وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص للمواطنين في الوطن الاسلامي .

● يحث المؤتمر وزراء التربية والتعليم وكافة المشرفين على مؤسسات التعليم بالاهتمام بتصميم المنشآت التعليمية وفق الطراز المعماري الاسلامي وبما يحقق حاجات البيئة المحلية ومتطلبات العصر .

● العمل على ايقاف زحف العقول العلمية الى خارج العالم الاسلامي وتقديم الحوافز المختلفة لاعادة الموجودين منهم بالخارج .

● يوصي المؤتمر بالاعتماد على الخبرات الاسلامية الاصيلة في توجيه الدراسات الاسلامية في الجامعات والمعاهد والمؤسسات في البلاد الاسلامية ، وعدم الاستعانة في ذلك بالاشخاص والهيئات والمؤسسات التي لا تنطلق من منطلق اسلامي ولا تعمل على اسس اسلامية صريحة .

● يطلب المؤتمر من جميع المسلمين في بلاد العالم الاسلامي عدم ارسال ابنائهم وبناتهم الى المدارس التبشيرية والاجنبية ، مهما كانت المغريات التي تقدمها تلك المدارس ومن والاها من الهيئات والمؤسسات ، نظرا للنتائج المدمرة التي تصيب الدارسين في هذه المدارس من ناحية عقيدتهم وولائهم للاسلام والوطن الاسلامي ، واتخاذ اعداء الاسلام لهم جنودا يحاربون بهم الاسلام من داخل المجتمع الاسلامي ذاته .

كما يوصي المؤتمر بعدم السماح بانشاء مدارس تبشيرية في الوطن الاسلامي والعمل على الغاء الموجود منها .

● قصر ارسال البعثات الى الخارج على التخصصات النادرة بعد مرحلة الليسانس نظرا لما يتعرض له الشباب المبتعث الى الخارج من فتنة جارفة في عقيدته واخلاقه وتقاليده ونظرته الى حقيقة القيم في حياة الانسان . كما يوصي بضرورة رعاية المبعوثين في الخارج دينيا وخلقيا ، واختيار المبعوث على اساس دينه واخلاقه لا على اساس درجاته العلمية فحسب . مع العمل الدائب على ايجاد جميع التخصصات في داخل العالم الاسلامي حتى يتم الاستغناء عن الابتعاث الى الخارج الا في حالة الضرورة القصوى .

● يطلب المؤتمر من القائمين على وسائل الاعلام في البلاد الاسلامية عرض برامج مبسطة عن العلوم معروضة من المنطلق الاسلامي الذي يربط بين الدين والعلم ، ويستخدم العلم في تعميق الوجدان الديني .

كما يوصي بايجاد محاولات جادة لانتاج فنون اسلامية تملأ الفراغ الذي تملؤه في الوقت الحاضر المسرحيات والافلام الهابطة والصور الخليعة والتوجيهات المفسدة للاخلاق .

الاقليات الاسلامية

● يؤكد المؤتمر على اهمية دراسة احوال الاقليات الاسلامية في الدول غير الاسلامية ورسم السياسة التي تضمهم من الذوبان وتربطهم بالاسلام والعالم الاسلامي .

ويوصي المؤتمر في هذا الصدد بدعم قدراتهم على انشاء المدارس والمعاهد في الدول المقيمين بها ، والسعي لاعتراف هذه الدول بحقهم في ذلك

والاعتراف بمؤهلاتها مع تزويدهم بالكتب والمناهج اللازمة ، والمدرسين المؤهلين ، والتوسع فى تعليم هذه الاقليات فى معاهد متخصصة بالبلاد الاسلامية وتوفير المنح لهم وتحقيقا لهذه الاهداف يوصي المؤتمر باتخاذ الوسائل المناسبة ، ومن ذلك انشاء صندوق لدعم تعليم الاقليات تساعدهم فيه الدول الاسلامية .

ويثبه المؤتمر الى خطورة ما يتم من تعليم الصهاينة واعوانهم ابناء المسلمين فى داخل فلسطين المحتلة أو خارجها . ويستنهض همم المسلمين لكفالة تعليم سديد رشيد لابناء هذا القطر العزيز المغتصب .

● نظرا للوضع الخاص الذي تعانيه الاقليات الاسلامية ، والذي يحتاج الى رعاية خاصة ودعم مستمر من البلاد الاسلامية فان المؤتمر يوصي بما يأتي :

— انشاء صندوق لدعم تعليم الاقليات تشارك فيه الدول الاسلامية وذلك لتمكين تلك الاقليات من انشاء المدارس والمعاهد الاسلامية فى بلادها.

— دعم الاقليات بالمدرسين المؤهلين تأهيلا خاصا يناسب البلاد التي يبعثون اليها ، ليقوموا بتدريس اللغة العربية والثقافة الاسلامية وامدادهم بالكتب الدراسية .

— التوسط لدى الدول التي بها اقليات اسلامية لمنحهم حق انشاء المدارس الاسلامية والاعتراف بمؤهلات خريجيها .

— التوسع فى انشاء مراكز ومعاهد فى البلاد العربية بصفة خاصة لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من المسلمين .

— التوسع فى توفير المنح الدراسية لهذه الاقليات بالمؤسسات التعليمية فى البلاد الاسلامية .

— اجراء بحوث عن وضع المسلمين فى الدول غير الاسلامية والتعرف على احوالهم الاجتماعية والثقافية والدينية والتعليمية تكون عونا فى رسم سياسة تعليمية تربطهم بالاسلام والعالم الاسلامي .

الحروف العربية فى لغات الشعوب الاسلامية

● يؤكد المؤتمر على ضرورة الحفاظ على الحروف العربية لكتابة لغات الشعوب الإسلامية حتى لا يباعد بين هذه الشعوب وبين القرآن الكريم . كما يوصي المؤتمر الجامعات ومراكز البحوث الاسلامية باصدار مجلات ورسائل باللغات الاجنبية تقدم فيها اهم ما ينشر باللغة العربية من الاسلام .

منظمة عالمية للتربية والثقافة بمكة

● انشاء منظمة عالمية للتربية والثقافة والعلوم يكون مقرها مكة المكرمة وذلك للتنسيق بين الجامعات والمؤسسات التعليمية والعلمية الاسلامية والاشراف على السياسة التعليمية الاسلامية .

● يوصي المؤتمر جامعة الملك عبد العزيز بانشاء مركز عالمي للتعليم يسمى المركز العالمي للتعليم الاسلامي بمكة المكرمة يضم كفايات من مختلف بلاد العالم الاسلامي من المشتغلين بأمور التربية والتعليم والفكر والثقافة ليقوم بتنفيذ توصيات هذا المؤتمر ويدخل ضمن ذلك :

اولا — رسم السياسة التعليمية على غرار الخطوة الرائدة التي قامت بها المملكة والتي تقوم على أساس التصور الاسلامي وتستمد أصولها من مصادره، وتقديم مناهج تفصيلية فى مختلف مواد الدراسة ؛ وتاليف الكتب الدراسية الصالحة للمستويات الدراسية المختلفة من رياض الاطفال الى المرحلة الجامعية . وينشأ لهذا الغرض مكتبة مركزية للبحث يلحق بها مركز للوثائق .

ثانيا — يشتمل على شعبة للترجمة تقوم على ترجمة معاني القرآن ترجمة سليمة ميسرة خالية من الاخطاء التي تشتمل عليها معظم الترجمات الموجودة حاليا ، كما تقوم بترجمة الكتب العربية التي تتناول

حقائق الاسلام ومفاهيمه الى اللغات التي يتكلم بها المسلمون من غير العرب وترجمة الكتب الاسلامية النافعة المكتوبة بغير العربية الى اللسان العربي .

ثالثا ـ رسم سياسة للتعاون بين العاملين في حقل التعليم الاسلامي وتنسيق جهود الدول والمؤسسات العلمية الاسلامية في مجالات التربية والتعليم ، وتيسير الحصول على الوثائق اللازمة وتبادلها .

ويتبع هذا المركز جهاز لترجمة امهات كتب العلوم في اللغات الاجنبية الى اللغة العربية ، وترجمة مايجد كل حين من العلم في كل الاقطار الى اللغة العربية .

الاتحاد العالمي للمدارس الاسلامية

يرى المؤتمر أن تأسيس الاتحاد العالمي للمدارس العربية الاسلامية بادرة طيبة تستحق التشجيع ، وان المؤتمر ليشكر حكومة المملكة العربية السعودية على تأييدها للاتحاد ودعمها له .

● التوصيات التي اقرتها الحلقات الثلاث ستصدر عن المؤتمر بعد تنقيحها من قبل لجنة الصياغة ، وتعتبر جزءا من مقرراته ، على أن تكون منسجمة مع اهداف المؤتمر .

● نظرا للقيمة العلمية العظيمة للبحوث التي قدمت لهذا المؤتمر والمناقشات الجادة التي دارت فيه بين المتخصصين من علماء المسلمين في مجال التربية والتعليم في العالم يوصي المؤتمر بأن تقوم لجنة المتابعة فورا بطبع الاعمال الكاملة للمؤتمر ، لتكون مادة نافعة للدول والمؤسسات العلمية الاسلامية في بناء نظام تعليمي يقوم على أساس الاسلام ويستمد أصوله من مصادره .

والى ان يتم قيام مركز التعليم الاسلامي الموصي به فان المؤتمر يوصي بأن تتحول اللجنة التنظيمية للمؤتمر الى لجنة متابعة تكون مهمتها متابعة تنفيذ القرارات .

المغرب في المؤتمر الثامن لوزراء خارجية الدول الاسلامية

كان للكلمة القيمة التي القاها وفد المغرب في المؤتمر الثامن لوزراء خارجية الدول الاسلامية المنعقد مؤخرا بطرابلس الغرب صدى واسع في أوساط المؤتمرين لما تضمنته من تحليل علمي سليم لفلسفة التضامن الاسلامي باعتباره اختيارا ملحا لا مجال للتراجع عنه في عصرنا الراهن .

وقد ذكر وفد المغرب بالدور القيادي الذي لعبه المغرب وعلى راسه جلالة الملك الحسن الثاني لبلورة سياسة التضامن الاسلامي بانعقاد مؤتمر القمة الاسلامي الاول بالرباط سنة 1969 .

وقد اعاد المؤتمر بالاجماع انتخاب الدكتور احمد كريم جاي من السنيغال امينا عاما للمؤتمر الاسلامي لمدة سنة أخرى .

المغـــــرب :

● اسفر المؤتمر السادس لرابطة علماء المغرب المنعقد باكادير عن توصيات هامة تتناول قضايا الفكر والتعليم والحياة الاجتماعية في المغرب بالاضافة الى بعض مشاكل العالم العربي والاسلامي .

وقد تميز المؤتمر بالنداء الاسلامي الحار الذي وجهه علماء المغرب الى اشقائهم في الجزائر لينهضوا بمسؤوليتهم الدينية في ردع الظالمين ومنع التآمر على المسلمين خدمة لاغراض الصهيونية والاستعمار العالمي .

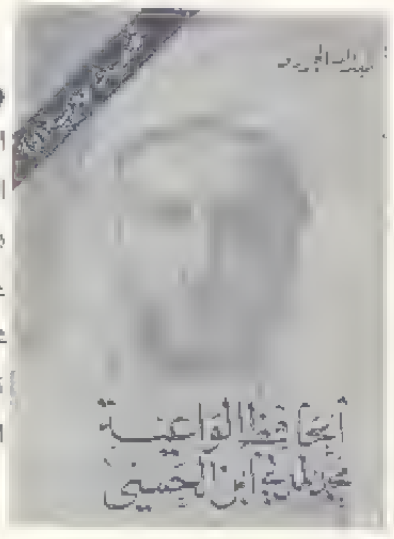

● اصدر الاستاذ عبد الله الجزائري الجزء الثاني من سلسلة « شخصيات مغربية » عن الحافظ الداعية محمد المدني ابن الحسني في 176 صفحة ، من الحجم المتوسط .

وكان الجزء الاول الصادر في السنة الماضية خاصا بالمحدث الكبير ابي شعيب الدكالي رحمه الله . وبهذا الجهد العلمي الدؤوب يكون الاستاذ عبد الله الجزائري قد وفى لرائدين من رواد السلفية المغربية اللذين ندين لهما بالفضل في حركتنا العلمية والفكرية .

● قام كل من الدكاترة عباس الجراري ومحمد ابن شريفة وعبد الله العروي بجولة ثقافية الى الجمهورية الموريطانية الاسلامية والقوا مجموعة من المحاضرات باللغتين العربية والفرنسية في موضوعات تتعلق بالتراث المغربي الادبي والحضارة العربية الاسلامية . وتدخل هذه الجولة في نطاق التبادل الثقافي بين البلدين الشقيقين .

ومما يذكر ان الدكتور عباس الجراري قام مؤخرا بزيارة للمملكة العربية السعودية بدعوة من وزارة التعليم العالي القى خلالها عدة محاضرات بالجامعات السعودية .

● اقيم مهرجان كبير بفاس لاحياء الذكرى الثالثة لوفاة المفكر المغربي والداعية الاسلامي الكبير الاستاذ علال الفاسي . وبالمناسبة اصدرت اللجنة المكلفة بنشر تراث المرحوم كتاب « الحرية » الذي يظهر عبقرية المرحوم علال الفاسي وفهمه العميق لمضمون الحرية في الفكر الاسلامي .

● شارك الاستاذ الاخضر غزال في مؤتمر استخدام اللغة العربية في الحاسبات الالكترونية الذي انعقد مؤخرا بالقاهرة .

وقد ناقش المؤتمر بحثا للدكتور علي حلمي موسى عن كلمات جديدة يمكن ادخالها الى اللغة العربية والى معاجم اللغة .. كبديل للتعبيرات

والكلمات العلمية الاجنبية المستخدمة حاليا . تمكن الباحث من الوصول الى هذه الكلمات الجديدة من طريق استخدام الحاسب الالكتروني في حصر الكلمات الموجودة بمعاجم اللغة وابتكار هذه الكلمات مع المحافظة على قواعد اللغة العربية .

كما القى الدكتور عبد الرحيم صبري بحثا عن تجربة الهيئة العامة للكتاب في استخدام اللغة العربية في الحاسب الالكتروني . وقد قدم الاستاذ الاخضر غزال باسم المغرب مشروعه عن الحروف الجديدة للغة العربية الذي يسهل استخدام اللغة العربية كلغة للتعامل مع الحاسب الالكتروني .. كما القى المهندس صلاح عامر باتحاد الاذاعات العربية بحثا في هذا المجال .

● صدر اخيرا في باريس كتاب جديد بعنوان « الاصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية » للدكتور عبد الله العروي .

ويقدم الكتاب تحليلا للوضع الاجتماعي والسياسي في المغرب قبل الاستعمار والنتائج المختلفة لحركات الاصلاح التي لجأت اليها البلاد للتخلص من الحماية الاجنبية .

الكتاب باللغة الفرنسية ، نال به المؤلف درجة الدكتوراه من السربون .

● الدكتور محمد حجي اصدر الطبعة العربية من كتابه « الحياة الفكرية في عهد السعديين » . وهو اطروحته بالفرنسية التي نالها بها درجة الدكتوراه من فرنسا .

تونس :

● اصدر الكاتب التونسي ابو القاسم محمد كرو طبعة جديدة من كتابه « العرب وابن خلدون » عن الدار العربية للكتاب بتونس في 143 صفحة يتناول فيه المؤلف ثلاثة كتب صدرت في نفس الموضوع هي : « مؤلفات ابن خلدون » للدكتور عبد الرحمان البدوي ، « لقاء ابن خلدون لتيمورلنك » للمستشرق والترفيشل ، « منطق ابن خلدون » للدكتور علي الوردي .

ليبيا :

● يعقد اتحاد الادباء العرب مؤتمره الحادي عشر بطرابلس ابتداء من 24 سبتمبر القادم ولمدة اسبوع .

ويناقش المؤتمر مشاكل الادب العربي المعاصر الذي تتفرع من خلاله موضوعات هامة مثل اللغة العربية في الادب المعاصر ، والادب المعاصر وعلاقته بالتراث ، ومشكلة النشر والتوزيع .

ويسبق انعقاد هذا المؤتمر اجتماع المكتب الدائم للاتحاد في هذا الشهر بطرابلس ايضا لتحضير الترتيبات النهائية للمؤتمر .

● صدر عن الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان بليبيا مجموعة قصصية لمحمد علي الشويهدي بعنوان « اقوال شاهد عيان » تضم 12 قصة قصيرة .

مصر :

● اعلنت الآنسة « سوزان ماكس » ـ اميركية الجنسية ـ اسلامها امام فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر . وقد اسلمت الآنسة المذكورة بعد دراسة عميقة للدين الاسلامي وفهم لمبادئه السامية واحكامه الصادقة .. واختارت ان يكون اسمها « سوزان محمد » . وقد اهداها الدكتور مصحفا شريفا ومجموعة من الكتب الاسلامية باللغة الانجليزية .

● صدر عن دار المعارف بمصر كتاب جديد للدكتور « أحمد فؤاد الأهواني » في سلسلة دراسات في التربية بعنوان « التربية في الاسلام » وفي هذا الكتاب يثبت المؤلف ان التربية كانت ميسرة وقائمة منذ الف عام لها خططها ومناهجها واساليبها ، وكانت اداة صالحة لتربية وتعليم المسلمين واطفالهم .

● احتفلت اذاعة القرآن الكريم من القاهرة بمرور ثلاثة عشر عاما على انشائها . وكانت هذه الاذاعة قد بدأت ارسالها باذاعة القرآن المرتل فقط، ثم تطورت تطورا ملموسا ، فأصبحت تقدم القرآن المرتل والقرآن المجود والاذان وبرامج التفسير والسيرة والفتوى ومحو الامية والاحتفالات الاسلامية

في المساجد وغيرها .. ويأمل المسلمون في مصر أن يتدعم ارسال هذه الاذاعة . فتعتمد الحكومة مبالغ مناسبة لتستطيع اداء رسالتها ، وتقوي ارسالها حتى يصل الى جميع بقاع الوطن المصري والاسلامي .

● عن دار « الاعتصام » صدرت طبعة جديدة من كتاب الدكتور عيسى عبده « وضع الربا في البناء الاقتصادي » وهو نظرات في بناء الاقتصاد وهيكل المجتمع وما يحدث فيه من اخذ وعطاء ، وتقليب للاموال ، وتكاثر للارزاق ، والكتاب يضم مجموعة صالحة من معالم الطريق نحو الاقتصاد الاسلامي .

● صدر كتاب جديد للدكتور عبد الجليل شلبي أمين مجمع البحوث الاسلامية بعنوان « الاسلام والمستشرقون » . والكتاب رد على مفتريات هيئة اليونسكو في موسوعتها التي صدرت عن الاديان وكان الكاتب المصري « محمد عبد الله السمان » قد أصدر منذ فترة كتابا حول نفس الموضوع .

● أعلن المجلس الاعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية نتيجة مسابقة « يوم الارض » التي نظمها تضامنا مع الشعب الفلسطيني ، وقد فاز بالمركز الاول كل من : حلمي محمد القاعود (في البحث الموجز) ، واحمد مخيمر (في الشعر) وحامد بكري (في التصوير) واسماعيل فراج (في الزجل) ، وقد حجبت الجائزة في المركز الاول بالنسبة للمسرح والقصة القصيرة . الجائزة الاولى قيمتها (250 جنيها) وقد اشترك في المسابقة عدد كبير من كبار الكتاب والشعراء والمصورين .

● أصدر « عبد التواب يوسف » كتابا جديدا للاطفال بعنوان « حياة محمد في عشرين قصة » وهو يوضح حياة الرسول صلى الله عليه وسلم على لسان الطير والحيوان على نمط كليلة ودمنة . عبد التواب يوسف ، حصل من قبل على جائزة الدولة التشجيعية في أدب الاطفال .

● تشهد وزارة الاوقاف المصرية حركة تغيير واسعة النطاق حيث تقرر اعادة تنظيم الهيكل الوظيفي بالوزارة وتطوير أسلوب العمل في مختلف ادارات الوزارة والمديريات الاقليمية ، مع التوسع في برامج تدريب الموظفين العاملين بالوزارة وفق الخطة الموضوعة ..

كما تقرر مرونة الحركة للاجهزة والغاء المركزية واعطاء اللجان الاقليمية بالعمالات صلاحية واسعة في تخطيط واعداد برامج الدعوة حسب ما تراه مناسبا لكل بيئة ومجتمع محلي .

● تواصل « دار الشعب » في القاهرة نشر اجزاء دائرة المعارف الاسلامية تباعا . وقد صدر منها مؤخرا العدد 109 .

كما اصدرت الدار الجزء السادس من موسوعة « مع أعلام الفكر الاسلامي » للمهندس محمود عبد الوهاب . كما صدر الجزء 29 من « صحيح البخاري المفسر » والجزء 18 من « تيسير تفسير ابن كثير ».

ومن الكتب الجديدة التي اصدرتها الدار كتاب « التفسير الديني للتاريخ » لمحمود الشرقاوي .

● اثار كتاب الاستاذ انور الجندي عن الدكتور طه حسين الذي صدر في السنة الماضية بعنوان « طه حسين في ميزان الاسلام » ردود فعل مختلفة في الصحافة العربية الادبية .

فقد تصدى اكثر من ناقد لكتاب انور الجندي . وكان ابرز ما نشر في الموضوع مقال للاستاذ رجاء النقاش المشرف على تحرير مجلة « الهلال » القاهرية ناقش فيه المؤلف ورد على ما جاء في كتابه ردا مطولا استغرق 30 صفحة من صفحات « الهلال » .

ومما تجدر الاشارة اليه أن عدد من كبار الكتاب والمفكرين في البلاد العربية شهدوا للمرحوم الدكتور طه حسين بالتراجع الكامل عن أفكاره في الشعر الجاهلي التي كانت سببا مباشرا لشهرته ، ومن هؤلاء اعضاء في مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

● شهريات الفكر والثقافة

● « قضايا في الاجتماع الاسلامي » كتاب جديد للدكتور محمد ابراهيم القيومي صدر عن مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة .

● « التشريع بين الفكرين الاسلامي والدستوري » بحث أكاديمي موسع صدر مؤخرا للاستاذ هانىء أحمد الدرديري .

● أعد الدكتور حسين فهمي الشافعي مرجعا جديدا باسم « قاموس الالفاظ القرآنية » وهو دليل ابجدي لالفاظ القرآن الكريم ، مع شرح للكلمات الصعبة ، بالاضافة الى احصائية أبرزت تكرار اللفظ الواحد في السور المختلفة .

والدليل يختلف عن الادلة السابقة في انه يورد اللفظ كما ورد في القرآن الكريم بصورة سهلة واضحة، اذ يعتمد على قواعد الاملاء البسيطة للالفاظ ، مما يسهل استخدامه لاى قارىء يجيد القراءة والكتابة دون حاجة لان يكون القارىء متعمقا في قواعد اللغة وأصولها .

● اعتمد الشيخ محمد متولي الشعراوي وزير الاوقاف وشؤون الازهر 2300 الف جنيه مصري للادارة العامة لشؤون القرآن الكريم ، وذلك لانشطة حفظ القرآن الكريم والمقارىء المصرية في المساجد وبعثات قراء القرآن الكريم في شهر رمضان المقبل .

السعودية :

● اجتمع بالرياض المجلس التنفيذي لوكالة الانباء الاسلامية وناقش نشاط الوكالة خلال المرحلة الماضية وقرار وزراء خارجية الدول الاسلامية في المؤتمر السابع الذي عقد في اسطنبول فيما يتعلق بانشاء وكالة الانباء الاسلامية ودورها في خدمة العالم الاسلامي وقضاياه .

وتناول المجتمعون بالنقاش التقرير الفني عن مشروع الوكالة للاتصالات السلكية واللاسلكية والتعديلات التي يقترح ادخالها على نظامها المالي والاداري .

● بلغ مجموع ما صرفته رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة من الكتب ثمانية ملايين وثلاثمائة وثلاثين الف كتاب منذ انشائها في 14 ذي الحجة 1362 هـ .

وتقوم الرابطة بتشجيع 25 صحيفة اسلامية في مختلف بلاد العالم وتعمل على نشر لغة القرآن الكريم بين الشعوب المسلمة كما تساهم في انشاء المدارس والمعاهد الاسلامية في كافة انحاء العالم الاسلامي .

الكويت :

● صدرت في الكويت الترجمة العربية لثلاث مسرحيات من اعمال (جون ملنجتون سنج) وهي (ظل الوادي) و (الراكبون الى البحر) و (زفاف السمكرى) . الترجمة بقلم الدكتور أحمد السيد النادي والمسرحيات الثلاث صدرت بتقديم (يوتا ايلس فيرمور) ضمن سلسلة المسرح العالمي .

الهند :

● انعقد في مقاطعة (تاميللى نادو) بجنوب الهند المؤتمر الاسلامي العالمي للدراسات والفنون الاسلامية القديمة بحضور ثلاثة الاف عالم اسلامي .

واعتبر المؤتمر جزءا من الاحتفالات بالعيد الذهبي لمعهد الدراسات الاسلامية في المقاطعة الهندية .

المانيا الغربية :

● ظهرت في مكتبات المانيا الغربية مجموعة من الترجمات العربية لكتب من الادب الالماني . منها: (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري) لادم متز ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريده ، (اقنعة الحب) للدكتور وليم شتيكل وترجمة احمد سامح الخلدي .

انجلترا :

● اصدر الكاتب الانجليزي بيتر ما نسفيل كتابا تاريخيا بعنوان (العرب) تناول فيه تطور الاحداث التي طرأت على الامة العربية منذ ظهور الاسلام وحتى وقتنا الحاضر .

وقد اعتمد الكاتب على تحليل الاحداث في الرقعة العربية كما تحدث عن بعض الاقطار العربية كل على حدة .

● صدرت الترجمة الانجليزية لكتاب (شكسبير للمرة الالف) الذي كتبه الناقد الايطالي (اتريكو دي كريكو) عن دار كونستابل في حوالي (237) صفحة .

ويقترب الكتاب من حياة شكسبير الخاصة اكثر من تعرضه لاعماله وانتاجه المسرحي .

ويحاول الكتاب ان ينفي كل الشائعات التي صدرت من قبل البعض للتشكيك في حقيقة نسب اعمال شكسبير اليه .

الولايات المتحدة :

● يصدر اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة وكندا عددا من الكتب الاسلامية باللغة الانجليزية ويوزعها على نطاق واسع في الجامعات ومراكز البحوث والمؤسسات الاسلامية ودور النشر الكبرى .

كما يصدر الاتحاد مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية الجادة وباخبار العالم الاسلامي ويقبل عليها الطلبة والدارسون في الغرب .

البرازيل :

● احتفلت مجلة « المراحل » الادبية التي تصدر في البرازيل باللغة العربية بمرور اثنين وعشرين عاما على انشائها .

والمجلة تديرها الاديبة العربية « مريانا دعيول فاخوري » وتسد فراغا هائلا في المهجر الامريكي وتعتبر صلة الوصل بين العرب وثقافتهم الوطنية

ان احدث العلوم وهو الطب النفسي ينوه بمبادىء الدين ، وان الاطباء النفسانيين ، ادركوا ان الايمان بالله واستحضاره في القلب كفيلان بأن يقهر القلق والمخاوف والتوتر العصبي وبأن يشفيا اكثر من نصف الامراض التي نشكوها ، وقد تأكد لي ان المرء المؤمن حقا ، لا يعاني قط مرضا نفسيا .